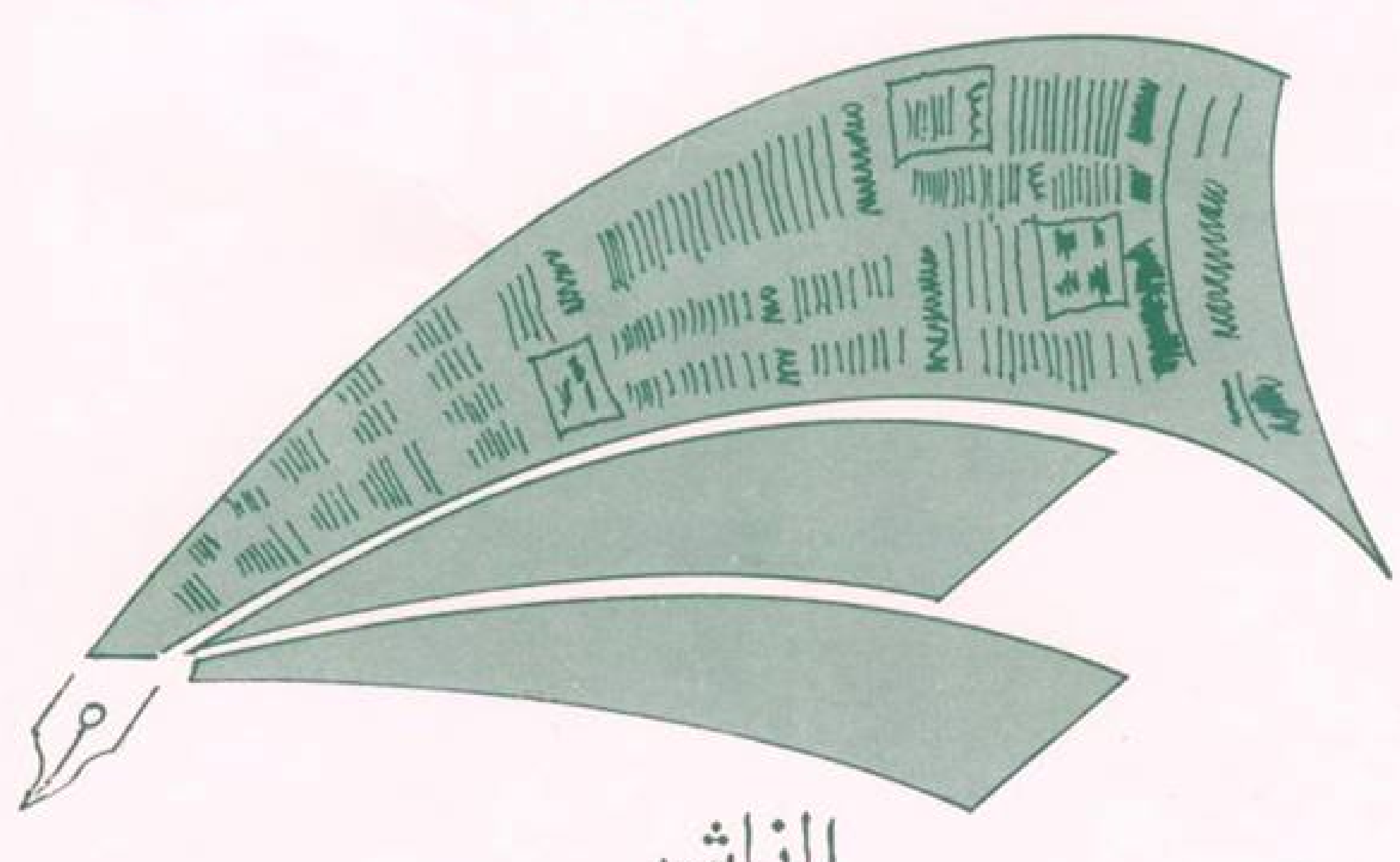
«وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض
كما استخلف الذين من قبلهم» ـ القرآن المجيد

القول الصريح
في
ظهور المهدي والمسيح



الناشر

الشركة الإسلامية

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (القرآن المجيد)

القول الصريح
في
ظهور المهدي والمسيح

بقلم:

نذير أحمد مبشر السيالكوتي

المبشر الإسلامي الأحمدي

وأمير الجماعة الأحمدية في غانا

(أفريقيا الغربية) سابقا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله أهل الثناء ذي الآلاء والصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود سيد الثقلين وخاتم الرسل نبينا وإمامنا محمد المصطفى وآله وأصحابه وأزواجه وخليفته أحمد المسيح الموعود وعلى كل من آمن واعتصم بحبل الله واتقى واتبع سبل السلام وما غوى وعلى جميع عباد الله الصالحين. أما بعد فقد شعرت بحاجة ماسة إلى كتاب يتضمن المسائل المتعلقة بظهور الإمام المهدي والمسيح عليه السلام، فألفت هذا الكتاب واجتهدت فيه جهد المقل وسميته: "القول الصريح في ظهور المهدي والمسيح".

وقسمته على ثمانية مباحث وما كان لي أن أكتب شيئًا من دون أن أقتطف من كتب المسيح الموعود عليه السلام وأقتبس مما كتبه علماء الأحمدية الكرام في هذا الباب فاقتطفت من كلامهم ونهجت منهجهم وسلكت مسلكهم المستنبط من القرآن المجيد والأحاديث الصحيحة، بقدر وسعي وطاقتي، وأسأل الله أن يجعله نافعًا لطلاب الحق وهاديًا للمسترشدين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نذير أحمد مبشر السيالكوتي

المبشر الإسلامي الأحمدي وأمير الجماعة الأحمدية في غانا

(أفريقيا الغربية) سالت باند: غانا

شعبان ١٣٨٠ هـ /فبراير ١٩٦١م

فهرست مواضيع الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

المبحث الأول

وفاة المسيح ابن مريم عليه السلام

إن مسألة وفاة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام مسألة أساسية بيننا – معشر الجماعة الأحمدية – وبين من لا يؤمنون بالمسيح الموعود عليه السلام من المسلمين. نحن نعتقد بأنه توفي كما توفي الأنبياء الآخرون، وقد صرح الله في القرآن المجيد بوفاته أكثر مما صرح بوفاة الآخرين من الأنبياء، لأن الله تعالى كان يعلم أن عددًا لا يستهان به من المسلمين سوف يزعمون بحياته في وقت من الأوقات ويؤيدون النصارى في عقيدهم بأن المسيح كان إلهًا و لم يكن بشرًا كبقية الرسل والأنبياء. فها نحن نذكر ههنا من القرآن المجيد، الآيات الدالة على وفاته ليتدبر العقلاء ويعرفوا الحق المستبين.

الآية الأولى

﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ما دُمْتُ فِيهِمْ فَلَما تَوَفيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُل شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (سورة المائدة ١١٨)

لا شك أن هذه الآية تدل دلالةً واضحةً على وفاة المسيح ابن مريم عليه السلام. لأن السؤال المذكور في ابتداء الآية ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟﴾ إذا سلّمنا كما قال بعض المفسرين لا يكون إلا يوم القيامة بدليل قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ وبدليل قول المسيح عليه السلام ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾، فإن عيسى عليه السلام يقول في جوابه أنه كان رقيبًا شهيدًا على قومه، وأنه لم يفارق قومه إلا بالموت بدليل قوله ﴿وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم﴾ ولم يفارقهم إلا بالوفاة لقوله ﴿فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم﴾ والمسيح لم يعلم أبدًا بأن النصارى كفروا وضلوا بعد أن فارقهم واتخذوه إلهًا، فلو كان رجوعه من السماء محتملاً لعلم ضلالهم وكفرهم واتخاذهم إياه إلهًا. ومن المعلوم أن النصارى اتخذوا المسيح إلهًا قبل نزول القرآن المجيد كما أشار الله تعالى إليه في الآية: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الذِينَ قَالُواْ إِن اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ سورة المائدة. وما زالوا يتخذونه إلهًا. ومن المتفق عليه أنه يأتي لإبطال ديانة النصارى خاصةً، فكيف يصح جوابه بأنه لا يعلم شيئًا من أمرهم أصلا، فلا ريب في كون الآية المذكورة صريحة الدلالة على موته، وقد استشهد بها النبي ﷺ في حديثه المذكور في البخاري ولم يُرِدْ من لفظ التوفي الوارد في الآية إلا الموت كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله

عنه: "قال قال رسول الله ﷺ يجاء برجال من أمتي... ثُمَّ يُؤْخَذُ بِرِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِي ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ أَصْحَابِي فَيُقَالُ إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. عَنْ قَبِيصَةَ قَالَ هُمْ الْمُرْتَدُّونَ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ فَقَاتَلَهُمْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ." (صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب واذكر في الكتاب مريم).

فكما أن الارتداد في الصحابة حصل بعد وفاة النبي ﷺ كذلك الارتداد في النصارى حصل بعد وفاة عيسى عليه السلام. فلو سلمنا أن المسيح عليه السلام حي في السماء بجسده العنصري ثم ينـــزل منها ويشاهد بنفسه أن النصارى اتخذوه إلهًا، فلا شك أن جوابه المذكور في الآية يوم القيامة يكون كذبًا وخلاف الحقيقة. ولا يمكن لنبي أن يكذب أمام الله تعالى يوم القيامة.

الآية الثانية

﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِي مُتَوَفيكَ وَرَافِعُكَ إِلَي وَمُطَهرُكَ مِنَ الذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الذِينَ اتبَعُوكَ فَوْقَ الذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (سورة آل عمران: ٥٥)

إن التوفي إذا كان من باب التَّفَعُّل وكان المتوفي (الفاعل) هو الله أو أحدٌ من ملائكته، والمتوفى (المفعول به) من ذوي الأرواح، وليس ثمة قرينة صارفة عن المعنى الذي وضع له - كالمنام أو الليل مثلا - فليس معناه سوى الموت وقبض الروح. ولا يوجد في القرآن المجيد ولا في الأحاديث ولا في اللغة العربية ولا في دواوين الشعراء ولا في كتب نوابغ العرب مثال واحد يدل على غير الموت في مثل هذا التركيب. وكفاك بعض أمثلة من القواميس والقرآن المجيد والأحاديث.

توفى الله فلانًا أي قبض روحه (أقرب الموارد).

توفاه الله أي قبض روحه (القاموس المحيط).

توفاه الله: إذا قبض نفسه (لسان العرب)

توفاه الله أماته. توفي فلان: قبضت روحه ومات (المنجد)

يقول الله تعالى:

﴿وَالذِينَ يُتَوَفوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾(سورة البقرة)

﴿وَتَوَفنَا مَعَ الأبْرَارِ﴾(سورة آل عمران)

﴿تَوَفنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصالِحِينَ﴾ (سورة يوسف)

وفي الأحاديث:

"عن عائشة رضي الله عنها قالت تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِي" (البخاري، المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته).

"فلما توفي رسول الله ﷺ ودفن في بيتها" (تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك الجزء الأول صفحة ٢٣١)

"من توفيته منا فتوفه على الإيمان" (مصنف ابن أبي شيبة).

وفي البخاري "قال ابن عباس متوفيك مميتك (الجزء الثالث كتاب التفسير: تفسير سورة المائدة).

فما استعمل لفظ التوفي في الأمثلة السابقة إلا بمعنى قبض الروح فقط، ولا يوجد له استعمال أبدًا بمعنى الرفع إلى السماء بالجسد العنصري.

وأما قول بعض الناس أن الواو لا تقتضي الترتيب في هذه الآية، ورافعك مقدَّم ومتوفيك مؤخَّر، فيستلزم التحريف في كلمات الله، كاليهود الذين كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه، ومن ذا الذي يجترئ أن يقدم آيةً ويؤخر أخرى ويبدل ترتيب الله مع أن الله بنفسه رتب القرآن كما قال ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلهُمْ يَتَذَكرُونَ﴾(سورة القصص)

يقول العلامة أبو القاسم راغب الأصفهاني في معنى هذه الآية (وقوله ﷻ: ولقد وصلنا لهم القول أي أكثرنا لهم القول موصولاً بعضه ببعض (المفردات صفحة ٥٤٦).

وورد في الحديث: "أن النبي ﷺ قرأ في الركعتين، قل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ إن الصفا والمروة من شعائر الله، أبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا

فرقى عليه (صحيح مسلم الجزء الأول باب حجة النبي ﷺ، وفي جامع الترمذي "نبدأ بما بدأ الله به: كتاب الحج، باب ما جاء أنه يبدأ بالصفا قبل المروة، وكتاب التفسير: تفسير سورة البقرة).

فانظر كيف أن النبي ﷺ ما خالف ترتيب الله، فلا يحق لأحدٍ من المفسرين أو غيرهم أن يغيروه، فإن ترتيب الله أحق وأحرى أن يُتبع.

وأما لفظ الرفع في آية ﴿وَرَافِعُكَ إِلَي﴾ و﴿بَل رفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ فلا يقتضي صعود المسيح إلى السماء حيًا بجسده العنصري، لأن الناس يدَّعون بثلاثة أشياء ولا وجود لها في كتاب الله تعالى. وهي: الحياة والسماء والجسد. فكيف تتحقق دعواهم؟ فالرفع هنا رفعة المقام والدرجات والتشريف والتقريب إليه روحيًا لا جسديًا، لأن الله تعالى ليس بمتحيز في مكان حتى ترفع إليها الأجساد المادية، بل إنه ﷻ موجودٌ في الأرض كما هو موجود في السماء وغيرها، لقوله ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ (سورة الأنعام). فلا حيز له ولا مكان له، ولا يكون معنى الرفع إذا كان الله رافعًا والإنسان مرفوعًا غير المعنى المذكور كما جاء في النهاية لابن الأثير: "في أسماء الله تعالى: الرافع، هو الذي يرفع المؤمنين بالإسعاد وأولياء بالتقريب".

وكذلك قال الله تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ﴾ سورة الأعراف، و ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ﴾ (سورة النور)، و ﴿يَرْفَعِ اللهُ الذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾(سورة المجادلة).

وفي الأحاديث: "قال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص: "عسى الله أن يرفعك فينتفع بك ناس ويضر بك آخرون." (صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء)

وفي موضع آخر: "كل يوم هو في شأن يغفر ذنبًا ويكشف كربًا ويرفع قومًا ويضع آخرين" (صحيح البخاري، تفسير سورة الرحمن).

وفي صحيح مسلم: "قال عمر أما أن نبيكم ﷺ قد قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين (باب فضل من يقوم بالقرآن).

و"ما تواضعَ أحدٌ لله إلا رفعه الله" (باب استحباب العفو والتواضع).

والدعاء بين السجدتين في الصلاة: "رب اغفر لي وارحمني واجبرني وارفعني" (سنن ابن ماجة).

فهل جميع هؤلاء الناس ارتفعوا إلى السماء بأجسامهم المادية؟

ولا يظن أحد أن إدريس عليه السلام كان رفع إلى السماء حيًا بجسده العنصري لقوله تعالى ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنهُ كَانَ صِديقًا نبِيًّا، وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيا﴾(سورة مريم)، لأنه إذا قلنا إن إدريس عليه السلام حي في السماء بجسده العنصري فلا يخلو من حالتين: إما أنه ينـــزل من السماء إلى الأرض ثم يموت، أو يبقى في السماء إلى أبد الآبدين. أما نزوله فلا أصل له و لم يعتقد به أحد. وأما بقاؤه في السماء بجسده العنصري إلى الأبد بدون الموت الجسدي فيخالف الآية الكريمة: ﴿كُل نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (سورة الأنبياء)، وإذا قلنا أنه يموت في السماء فيكون مخالفًا لقوله تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا

تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾(سورة الأعراف). فالحق أن الله رفعه روحيًا لا جسديًا كما رفع إليه جميع الأنبياء.

وكذلك لا يوجد في كلمة (إلي) و (إليه) ما يدل على الرفع الجسدي. لقد قال إبراهيم عليه السلام ﴿إِني مُهَاجِرٌ إِلَى رَبي﴾ (العنكبوت: ٢٧) وقال: ﴿إِني ذَاهِبٌ إِلَى رَبي سَيَهْدِينِ﴾ (الصافات: ١٠٠)، والحال أنه لم يُرفع إلى السماء، بل ذهب إلى الشام كما ذُكر في تفسير هذه الآية في تفسير الجلالين: ﴿وَقَالَ إِني ذَاهِبٌ إِلَى رَبي﴾ مهاجر من دار الكفر ﴿سَيَهْدِينِ﴾ إلى حيث أمرني ربي بالمصير إليه وهو الشام.

ويقول الصابرون عند نزول المصيبة: ﴿إِنا لِلهِ وَإِنا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(البقرة: ١٥٧) وكقوله تعالى ﴿فَفِروا إِلَى اللهِ﴾ (الذاريات: ٥١) وفي الحديث: إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة": الفتح الكبير الجزء الأول صفحة ٩٥، وكنـــز العمال الجزء الثاني صفحة ٢٥". فالحاصل أن الرافع إذا كان الله المنـــزه عن المكان والحيز والجهات، والمرفوع هو الإنسان، فلا يكون معنى الرفعِ الرفعَ بالجسد، وإلا فليأت من كان منكرًا بمثال واحدٍ خلاف هذا.

وأما القول بأن الله توفى عيسى بن مريم عليه السلام ثلاث ساعات من النهار أو ثلاثة أيام ثم أحياه ورفعه إلى السماء فليس بثابت من القرآن ولا من الأحاديث الصحيحة، بل هو خيال باطل يُروى عن النصارى، يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ (يس: ٣٢)، ﴿فَيُمْسِكُ التِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى﴾ (الزمر ٤٣).

وفي الأحاديث: "يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ قَالَ يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لا يُرْجَعُونَ، فنــزلت الآيَةُ ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾(سنن الترمذي، جامع المناقب، وابن ماجة، باب فضل الشهادة في سبيل الله.)

وأيضًا ورد عن رجل ميت: "فجئنا رسول الله ﷺ وذكرنا ذلك وقلنا ادع الله يحييه لنا فقال استغفروا لصاحبكم.. وقال لهم اذهبوا فادفنوا صاحبكم" (مشكوة المصابيح عن مسلم: باب ما يحل أكله وما يحرم).

فلا شك أن القول المذكور هو في الحقيقة مأخوذ من عقيدة النصارى لأنهم اعتقدوا بأن المسيح عليه السلام مات على الصليب ثم قام من القبر بعد ثلاثة أيام ثم رفع إلى السماء حيًا وجلس عن يمين الله تعالى وينــزل في آخر الزمان مع الملائكة بكل قوة وشوكة ويغلب جميع الناس، وأما نحن فنقول كما يظهر بكل وضوحٍ من الآية القرآنية بأن المسيح عليه السلام كان عُلِّق على الصليب ولكنه لم يمت عليه وأوذي كما أذوي جميع الأنبياء، كما أن إبراهيم عليه السلام ألقي في النار ولكن نجّاه الله من النار، وكما أن سيد الرسل محمدًا ﷺ أوذي أشد الإيذاء حتى أغمي عليه يوم غزوة أحد من شدة ما أصابه من أيدي الكفار، كذلك المسيح بن مريم عليه السلام علق على الصليب وتحمل الأذى بضع ساعات ولما أنزل منه كان مغشيًا عليه، وعصمه الله من لعنة الموت الصليبي وجعله مقربًا طبق وعده إياه، وأعلن اليهود قتله مع أنه لم يكن ميتًا في الحقيقة ولكن شُبه لهم بالمقتول والمصلوب، وذهب إلى بلاد أخرى وعاش فيها.

كما أخبر النبي ﷺ "أن عيسى ابن مريم عاش عشرين ومائة سنة وإني لا أراني إلا ذاهبًا على رأس الستين" (كنــز العمال: الجزء السادس، صفحة ١٢٠). وكذلك قال النبي ﷺ "لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعي" (اليواقيت والجواهر، الجزء الثاني، صفحة ٢٤). وكذلك "لو كان عيسى حيًا لما وسعه إلا اتباعي" (شرح الفقه الأكبر صفحة ١٠١). ومات بموته الطبيعي ودفن مثل جميع الأنبياء حتى إن النبي ﷺ رآه ليلة المعراج في الموتى مع يحيى عليه السلام: "أن نبي الله ﷺ حدثهم ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية ... فلما خلصتُ إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى" (صحيح البخاري، الجزء الثاني، باب حديث الإسراء).

الآية الثالثة

﴿وَالذينَ يَدْعُونَ من دُونِ الله لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخلَقُونَ، أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (سورة النحل: ٢٠)

إن عيسى عليه السلام أعظم من دعي من دون الله، وإن كل من دعي من دونه ونسبَ إليه الخلق أخبر الله تعالى عنهم في هذه الآية بأنهم أمواتٌ غير أحياء ولا يشعرون أيان يبعثون.

الآية الرابعة

﴿وَمَا مُحَمدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرسُلُ أَفَإِن ماتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٤)

وليس معنى الخلو في هذا المقام غير الموت وقد استعمل لفظ الخلو بمعنى الموت في القرآن المجيد واللغة العربية بكثرة، قال الله تعالى:

﴿تلك أمة قد خلت﴾ سورة البقرة: الآية ١٤١.

﴿ قد خلت من قبلها أمم﴾ سورة الرعد: الآية ٣٠

﴿الذين خلوا من قبلهم﴾ سورة يونس: الآية ١٠٢

وفي (لسان العرب): "خلا فلان إذا مات".

وخلا الرجل: أي مات (أقرب الموارد).

وقال السموءل بن عاديا:

إذا سيد منا خلا قام سيد قؤول لما قال الكرام فعول (الحماسة).

ومعناه: إذا مات منا سيد قام مقامه سيد.

فالآية المذكورة تصرح بأن جميع الرسل قبل النبي ﷺ ماتوا، ومن ضمنهم عيسى عليه السلام، وبها استدل أبو بكر رضي الله عنه على وفاة النبي ﷺ بدليل أن جميع الأنبياء الذين جاؤوا قبله قد ماتوا. وقال في خطبته التي ألقاها بعد وفاة النبي ﷺ:

"أما بعد، من كان منكم يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله: ﴿وَمَا مُحَمدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرسُلُ ... إلى قوله الشاكِرِينَ﴾. قال (الراوي): واللهِ لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمعُ بشرًا من الناس إلا يتلوها. فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلّني رجلاي وحتى

أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها أن النبي ﷺ قد مات". صحيح البخاري، الجزء الثالث، كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر.

فلما سمع الصحابة استدلال أبي بكر رضي الله عنه بالآية الكريمة بأن رسول الله ﷺ توفي كما توفي جميع الأنبياء الذين جاؤوا من قبله، سكتوا و لم يرد أحد منهم على أبي بكر قائلاً بأن استدلالك ليس بصحيح لأن عيسى عليه السلام لم يمت وهو حي في السماء ويرجع إلى هذه الدنيا مرة ثانية. فهذا السكوت يدل على أن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على وفاة جميع الرسل الذين خلوا قبل النبي ﷺ. ولا يكاد يوجد إجماعٌ مثله في الأمة المحمدية.

الآية الخامسة

﴿وَالسلام عَلَي يَوْمَ وُلِدت وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيا﴾ (سورة مريم: ٣٣)

وإذا سلمنا كما يقول بعض الناس بأن المسيح عليه السلام كان رفع حيًّا إلى السماء بجسده العنصري فلا شك أن ذلك اليوم كان يوم سلام له خاص دون أن يشاركه فيه أحدٌ من الأنبياء، وكان لا بد من ذكره، ولكن الأمر الحق هو أن قصة صعوده إلى السماء مخترعة وأنه مات كما مات يحيى عليه السلام؛ لأن الله تعالى أيضًا يقول عن يحيى عليه السلام ﴿وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (سورة مريم: ١٥)

الآية السادسة

﴿ما الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرسُلُ وَأُمهُ صِدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطعَامَ﴾ (سورة المائدة: ٧٥)

فالمسيح جاء إلى الدنيا حسب سنة الأنبياء وخلا كما خلوا، والآن هو لا يأكل الطعام، وفي الزمان الماضي كان يأكل الطعام -وكما أن عدم أكل طعام مريم عليها السلام دليل على موتها، فهكذا عدم أكل طعام عيسى عليه السلام دليل على وفاته- ولا يمكن لبشر أن يحيا حياةً جسدية بغير طعام كما نصت عليه الآية الواردة في حق الأنبياء عليهم السلام خصوصًا: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لا يَأْكُلُونَ الطعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٨)

الآية السابعة

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ (سورة الأعراف: ٢٥)

وتقديم الظرف (فيها) على الفعل (تحيون) يفيد الحصر، والقانون عام يشمل جميع بني آدم، فكيف خرج عيسى بن مريم عليه السلام من جملة بني آدم ومن هذا القانون العام ورفع حيًا إلى السماء بجسمه العنصري؟ ويعيش في السماء منذ ألفي عام من دون أكل وشرب خلافًا لما قال الله تعالى في القرآن المجيد: ﴿ألم نجعل الأرض كفاتًا أحياء وأمواتا﴾ (سورة المرسلات، الآية ٢٥: ٢٦) ﴿ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ (سورة البقرة: الآية ٣٦).

وهناك آياتٌ أخرى كثيرة وأحاديث عديدة تدل دلالة قاطعة على وفاة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وأنه لا يعود إلى هذه الدنيا أبدًا، ولو كان من

الممكن رجوع نبي من الأنبياء إلى هذه الدنيا لكان نبينا محمد ﷺ أولى وأجدر بأن يرسل ثانيةً من حيث كماله وفضائله وإرشاده الخلق إلى الهداية، وما دام الله لم يشأ إرجاعه فكيف يرجع المسيح المتوفى؟ ولنعم ما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه يوم وفاة النبي ﷺ:

"كنتَ السوادَ لناظري فعَمِي عليك الناظرُ
من شاء بعدك فليمتْ فعليك كنتُ أُحاذِرُ"

المبحث الثاني

الرد على الأدلة التي يحتج بها بعض الناس على حياة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام

الدليل الأول

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء ١٥٨-١٥٩)

فمن لم يُقتل و لم يُصلب فهو حي.

الجواب

إن الله تعالى يقول أن اليهود ما قتلوا المسيح وما أماتوه على الصليب ولكن أغمي عليه وشُبِّه بالمقتول والمصلوب، واليهود أعلنوا موته على الصليب ليثبتوا أنه كان كاذبًا و لم يكن مرفوعًا إلى الله، فردَّ الله عليهم بأنهم ما قتلوه بل رفعه الله إليه؛ أي أكرمه وقرَّبه إليه، ومعلوم أن اليهود إنما أنكروا رفعه الروحاني فقط، وظنوا أنه صار ملعونًا بموته على الصليب حسب التوراة، فردَّ الله عليهم بقوله ﴿بل رفعه الله إليه﴾ بأنه لم يكن ملعونًا بل كان من المقربين، وقد مر بحث الرفع مفصلاً.

ومن أعجب العجائب أن يقال عن رجلٍ أنه لم يمت لأنه لم يُقتل و لم يُصلب. إذ إن وسائل الموت ليست منحصرة في القتل والصلب فقط، بل هناك أسبابٌ أخرى أيضًا للموت كالأمراض المختلفة وغيرها.

وأما ما ذهب إليه المفسرون بأن رجلاً آخر شبه بالمسيح وحُوِّل إلى صورته وقتله اليهود على الصليب، فليس بمقبولٍ لأنه مخالفٌ للتاريخ، وترد عليه اعتراضات شتى:

(الأول) أن واقعة الصليب وقعت قبل الإسلام بستمائة سنة تقريبًا و لم يشهدها إلا اليهود والنصارى، وهم متفقون على أن المعلَّق على الصليب كان المسيح ابن مريم بذاته لا غير، فكيف يمكن للنصارى أن يقبلوا قولاً مخالفًا لما وصل إليهم بالتواتر ويخالف كتبهم المقدسة؟ فهل يمكن أن يرد تواتر الأمتين من دون برهانٍ قوي؟

(الثاني) من أخبر المفسرين بأن المعلَّق على الصليب كان غير المسيح؟ هل أخبرهم اليهود أو النصارى أم النبي ﷺ؟ كلا! بل إنهم اخترعوا هذه العقيدة من عند أنفسهم.

(الثالث) قد اختلف المفسرون في مَن أُلقي عليه الشبه اختلافًا كثيرًا. فقال بعضهم أن الله تعالى ألقى شبه عيسى عليه السلام على يهودي، وقال البعض بأنه ألقي على بعض أصحابه، ومنهم من يقول أن شبهه ألقي على حارس (راجع الجلالين وابن جرير وروح المعاني وغيرها) فأي قول منها أقرب إلى الصواب ولماذا؟

(الرابع) هل خاف الله من اليهود من أن يصعدوا إلى السماء فيقبضوا على المسيح؟ فلذا ألقى شبهه على رجل آخر بعد أن رفعه حيًا إلى السماء حسب اعتقادكم؟

(الخامس) لماذا أهان الله تعالى صورة محبوبه برسم صورته على عدوه؟ وإذا كان الله قد أراد أن يعذب ذلك العدو، فكان من الأولى أن يمسخه ويجعله قردًا أو خنـــزيرًا.

(السادس) إذا سلمنا بأن اليهود أماتوا على الصليب الرجل الذي شُبِّه بالمسيح و لم يثبت إنكاره عن كونه مسيحًا، فلا شك أن اليهود يكونون على الحق عند الله في تكذيب المسيح، إذ أنهم لم يروه ذاهبًا إلى السماء، والذي صلبوه كان المسيح نفسه طبق زعمهم واعتقدوا بكونه ملعونًا حسبما هو مذكور في كتبهم المقدسة: "وإذا كان على إنسانٍ خطيئةٌ حقها الموت، فَقُتِلَ وَعَلَّقْتَهُ على خشبة، فهو ملعونٌ لأن المعلق ملعون من الله؟[1] (تثنية: ٢١: ٢٢-٢٣)

(السابع) قال الإمام أبو حيان الأندلسي في المحيط عن إلقاء شبه المسيح عليه السلام على رجلٍ آخر "أما أن يُلقى شبهه على أحدٍ فلم يصح ذلك عن رسول الله ﷺ، وكذلك قال الإمام الرازي في تفسيره الكبير".

فالأمر الحق هو أن المسيح عليه السلام ما رفع إلى السماء حيًا بجسده العنصري، وما أُلقي شبهه على أحد، بل عُلِّق على الصليب وتحمل مصائب الصليب وأوذي أشد الإيذاء، ولما أنزل منه كان في حالة الإغماء إلى درجة حتى خيل

[1] النص حسب العهد القديم: وإذا كان على إنسانٍ خطيئةٌ حقها الموت، فَقُتِلَ وَعَلَّقْتَهُ على خشبة، فَلاَ تَبِتْ جُثَّتُهُ عَلَى الْخَشَبَةِ، بَلْ تَدْفِنُهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، لأَن المعلق ملعون من الله؟

إلى البعض أنه مات! وبعدما أفاق وخرج من المقام الذي كان وضع فيه بقي في تلك البلاد مختفيًا إلى أن هاجر منها إلى الهند، وألقى عصا تسياره في أرض كشمير، ومات فيها ودفن هناك وقبره يزار إلى يومنا هذا.

الدليل الثاني

أن المسيح عليه السلام ينـــزل عند قرب القيامة لقوله تعالى {وإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (الزخرف: ٦٢)

الجواب:

(١) إن هذه الآية لا تدل على حياته ونزوله من السماء أبدًا، لأن الله تعالى قال"وإنه لعلم للساعة" وما قال "إنه سيكون علمًا للساعة"، فالآية تدل على أنه عِلْم للساعة من وجه كان حاصلاً له في الوقت نفسه لا أنه يحصل في المستقبل، وإلا فلا يصح الخطاب للكفار بقوله "فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم"، لأن الأمر الذي لم يحصل بعد كيف يكون دليلاً للممترين؟ أما الوجه الحاصل له فهو تولده من غير أب. وتفصيل هذا الإجمال أن فرقةً من اليهود - أي الصدّوقيين كما ورد في مرقس الإصحاح ١٢- كانوا كافرين بوجود القيامة، فبكَّتَهم الله وجعل ولادة المسيح من غير أب آية لهم على وجود القيامة، وإليه أشار الله تعالى في آية ﴿وإنه لعِلْمٌ للساعة﴾ وكذلك في آية ﴿ولِنجعَلَه آيةً للناس﴾.

(٢) أن المسيح عليه السلام كان علمًا لساعة انقراض النبوة من بني إسرائيل؛ لأن الله تعالى نزع منهم النبوة وأعطاها لبني إسماعيل ولذلك قال لهم المسيح عليه السلام

"لذلك أقول لكم أن ملكوت الله ينـــزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه." (مَتّى ٢١: ٤٣-٤٤). فلا ذكر فيها لنـــزوله مرة ثانية.

(٣) قال الحسن وجماعة من العلماء: وأنه أي القرآن لعلم للساعة (راجع معالم التنـــزيل ومجمع البيان وروح المعاني) ومن هذا يظهر أن المفسرين ذهبوا إلى أن الضمير في أنه لعلم للساعة يرجع إلى القرآن. ولا شك في صحة هذا المعنى أيضًا: فإن القرآن أحيا خلقًا كثيرًا من الأموات من حيث الروحانية وبعثهم من القبور. فهذا البعث الروحاني دليلٌ على البعث الجسماني أي على القيامة، فالحاصل أن الآية ﴿وأنه لعلم للساعة﴾ لا تدل على نزول المسيح من السماء أبدًا بل تفحم المنكرين بدليل موجود ثابت، فلهذا قال ﴿فلا تمترُنَّ بها واتبعونِ هذا صراطٌ مستقيم﴾.

الدليل الثالث

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: ٤٧)

استدل المفسرون بهذه الآية على نزول المسيح عليه السلام من السماء مستندين إلى أنه رُفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ولم يبلغ الكهولة، فيكون كهلاً بعد نزوله من السماء.

الجواب

أن هذا الاستدلال باطل لوجهين:

(الأول) أن القول بعدم جواز استعمال لفظ الكهل في حق ابن ثلاث وثلاثين سنة باطل من حيث اللغة، لأن الكهل في اللغة هو من كانت سنو عمره بين الثلاثين والخمسين تقريبًا (المنجد). فالمسيح عليه السلام كان بلغ الكهولة؛ إذ مكث في هذه الدنيا أكثر من ثلاثين سنة حسب أقوال المفسرين، فلهذا لا يرجع إلى الدنيا مرة أخرى، ثم ورد في الحديث الشريف "عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة في مرضه الذي توفي فيه "أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة وإني لا أراني إلا ذاهبًا على رأس الستين" (كنز العمال ج٦ ص١٢٠، وتفسير ابن كثير ج٢ ص٢٤٢). وأخرجه الطبراني والحاكم أيضًا بسند رجال ثقات (راجع صفحة ٨ من حجج الكرامة للسيد صديق حسن).

هذا وقد عزا بعض الناس تفاسير باطلة إلى الصحابة رضي الله عنهم، كما قال الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله: "هذه التفاسير الطوال التي أسندوها إلى ابن عباس غير مرضية ورواتها مجاهيل" (الإتقان: الجزء الثاني صفحة ١٨٨).

(الثاني) قال الحافظ ابن قيم رحمه الله في كتابه (زاد المعاد): "وأما ما يُذكر عن المسيح أنه رُفع إلى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة فهذا لا يُعرف له أثر متصل يجب المصير إليه" الجزء الأول صفحة ٢٧.

الدليل الرابع

قال الله تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**﴾ (النساء ١٦٠).

وفي الحديث: "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينـــزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنـــزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها. ثم يقول أبو هريرة رضي الله تعالى عنه فاقرؤوا إن شئتم: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا. (صحيح البخاري ج٢ باب نزول عيسى بن مريم).

الجواب

إن هذه الآية أيضًا لا تدل على حياة المسيح عليه السلام لوجوه:

(١) اختلف المفسرون في ضمير (موته) فقد ورد في تفسير الجلالين: "قبل موته (أي الكتابي حين يعاين ملائكة الموت فلا ينفعه إيمانه، أو قبل موت عيسى لما ينـــزل قرب الساعة"، فإذًا الضمير الوارد في (موته) ليس بمختص بعيسى عليه السلام.

(٢) جاء في قراءة أبي بن كعب ﴿قبل موتهم﴾ كما ورد في تفسير الكشاف للزمخشري: "وتدل عليه قراءة أبي ﴿إلا ليؤمنن به قبل موتهم﴾ على معنى وإن

منهم أحد إلا ليؤمنون به قبل موتهم". فثبت من هذه القراءة أن ضمير (موته) لا يرجع إلى عيسى عليه السلام بل يرجع إلى أهل الكتاب.

وأما أبي بن كعب رضي الله عنه فهو أحد الأربعة الذين أمر النبي ﷺ الصحابة أن يأخذوا القرآن منهم كما جاء في صحيح البخاري: "حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة .. قال سمعت النبي ﷺ يقول خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود فبدأ به وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وأُبيّ بن كعب. (الجزء الثاني: مناقب أبي بن كعب رضي الله عنه).

(٣) قد اختلف المفسرون في مرجع ضمير (به) أيضًا. فقال بعضهم إن هذا الضمير راجع إلى سيدنا محمد ﷺ، وقال بعضهم إنه راجع إلى الله تعالى، وقال بعضهم إلى عيسى عليه السلام، فورد مثلا في تفسير الجلالين: "(وإن) ما (من أهل الكتاب) أحد (إلا ليؤمننّ به) بعيسى (قبل موته) أي الكتابي". وفي (معالم التنـــزيل): "عن عكرمة أن الهاء في قوله ليؤمنن به كناية عن محمد ﷺ، يقول لا يموت كتابي حتى يؤمن بمحمد ﷺ: وقيل راجع إلى الله عز وجل يقول وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالله عز وجل قبل موته عند المعاينة حين لا ينفعه إيمانه". وفي (روح المعاني): قيل الضمير الأول لله وأيضًا إنه لمحمد ﷺ.

إن هذا الاختلاف المذكور في تعيين مرجع الضمير يدل على أن حياة المسيح عليه السلام لا تثبت من هذه الآية، ولو فرضنا صحة المعنى بأن اليهود كلهم يؤمنون بعيسى عليه السلام قبل موته للزم أن يبقى جميع اليهود إلى نزول المسيح عليه السلام أحياء سالمين؛ لأن أمر إيمان اليهود كلهم لا يتم بحياة المسيح عليه السلام

فقط، بل بحياة كفار بني إسرائيل كلهم من أول الزمان إلى يوم القيامة أيضًا. ومعلوم أن كثيرًا من اليهود قد ماتوا ودفنوا و لم يؤمنوا بعيسى عليه السلام، فكيف يصح أن يقال أن اليهود كلهم يؤمنون بعيسى عليه السلام قبل موته؟ فلا شك أن هذا المعنى باطل بالبداهة.

(٤) إرجاع الضمير في (موته) إلى عيسى عليه السلام يستلزم الاختلاف في القرآن المجيد لأن الله تعالى يقول: ﴿وَجَاعِلُ الذِينَ اتبَعُوكَ فَوْقَ الذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ٥٦)، أي أن أتباع عيسى عليه السلام واليهود يبقون إلى يوم القيامة، وأن متبعي عيسى عليه السلام يكونون ظاهرين على الذين كفروا بالمسيح عليه السلام من بني إسرائيل إلى يوم القيامة. ومن المعلوم أن كون اليهود مغلوبين إلى يوم القيامة يقتضي وجودهم وبقاءهم وكفرهم إلى يوم الدين، فكيف يؤمن جميع أهل الكتاب بعيسى عليه السلام وقت نزوله مرة ثانية؟ وإن هذا الاستدلال مردود بآيات أخرى أيضًا، منها: ﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلفِينَ، إلا مَنْ رَحِمَ رَبكَ﴾(هود ١١٩-١٢٠) وقال الله تعالى في حق أهل الكتاب خاصة: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (المائدة: ٦٥). وهذا الأمر بديهي بأن القول بإيمان جميع أهل الكتاب بالمسيح عليه السلام يوجب الاختلاف في القرآن المجيد، والقرآن المجيد منـــزه عن الاختلاف لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٣)، فثبت أن إرجاع الضمير في (موته) إلى عيسى عليه السلام باطل.

والتفسير الحقيقي لهذه الآية - الذي لا ينكره عاقل - هو: إنْ منْ أهل الكتاب إلا ليؤمنن بصلب المسيح وقتله قبل موته أي قبل موهم كما هو

الأمر الواقع. فكل يهودي ونصراني يعتقد بموت المسيح على الصليب اعتقادًا جازمًا لأهوائهم الفاسدة وأغراضهم الباطلة. فاليهود يعتقدون بقتله ليثبتوا أنه كان كاذبًا ملعونًا – معاذ الله – لا علاقة له بالله.

والمسيحيون يعتقدون بموته على الصليب ليثبتوا أنه صار فدية لهم وصار ملعونًا لأجل معاصيهم لينقذهم من لعنة الناموس. ولا يمكن لكتابي أن يبقى كتابيًا إذا لم يعتقد بهذه العقيدة الفاسدة. والمسيح عليه السلام يكذبهم ويكون شهيدًا عليهم لا لهم، لأن اعتقادهم هذا خلاف الحقيقة ومبني على الظن لا على اليقين، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِن الذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَك مِنْهُ﴾ (النساء ١٥٨) فنفى بذلك الكذب واللعنة عن المسيح عليه السلام وطهره من مزاعم اليهود والنصارى وجعله زكيًا.

وأما ما ورد في الحديث "فاقرؤوا إن شئتم وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا" فإن هذه الألفاظ ما تكلم بها النبي ﷺ، بل هذا اجتهاد أبي هريرة رضي الله عنه من الآية، وهذا الاجتهاد مخالف للقرآن المجيد كما مر آنفًا فكيف نقبله؟ وقال الأئمة الأصوليون عن أبي هريرة رضي الله عنه ما نصه: "القسم الثاني من الرواة هم المعروفون بالحفظ والعدالة دون الاجتهاد والفتوى كأبي هريرة وأنس بن مالك. فإذا صحَّت رواية مثلهما عندك فإن وافق الخبر القياس فلا خفاء في لزوم العمل به وإن خالفه كان العمل بالقياس أولى" (أصول الشاشي: طبعة دلهي، صفحة ٨٢). ولأجل ذلك قال صاحب التفسير المظهري في تفسير الآية وتأويل استشهاد أبي هريرة رضي الله عنه: "تأويل الآية بإرجاع الضمير الثاني إلى

عيسى عليه السلام ممنوع. إنما هو زعم من أبي هريرة ليس ذلك من شيء في الأحاديث المرفوعة. وكيف يصح هذا التأويل مع أن كلمة إن من أهل الكتاب شامل للموجودين في زمن النبي ﷺ البتة.. ولا وجه أن يراد به فريق من أهل الكتاب يوجدون حين نزول عيسى عليه السلام.

الدليل الخامس

تدل الروايات الآتية على أن المسيح عليه السلام يرجع إلى الدنيا ويُدفَن في قبر النبي ﷺ:

(١) عن عبد الله بن سلام قال يدفن عيسى بن مريم مع رسول الله ﷺ فيكون قبره رابعًا.

(٢) عن عائشة رضي الله عنها بأنها قالت: يا رسول الله إني أراني أعيش بعدك أفتأذن لي أن أدفن إلى جنبك؟ فقال: أنّى لك بذلك الموضع ما فيه إلا موضع قبري وقبر أبي بكر وعمر وعيسى ابن مريم (منتخب كنـــز العمال).

(٣) عن عبد الله بن عمر قال قال النبي ﷺ ينـــزل عيسى ابن مريم إلى الأرض فيتزوج ويولد له ويمكث خمسًا وأربعين سنة ثم يموت فيدفن معي في قبري فأقوم أنا وعيسى بن مريم في قبر واحد بين أبي بكر وعمر.

الجواب

أما قول عبد الله بن سلام: "يُدفن عيسى ابن مريم مع رسول الله إلخ" فغيرُ مُسَلَّم كما ورد في كتاب "كوثر النبي" كتاب في علم أصول الحديث: ويشترط أن لا يكون الصحابي ممن يأخذ من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام

وسلمان الفارسي وعبد الله بن عمرو بن العاص فإنه وجد في وقعة اليرموك كتبًا قديمة فكان يحدث بعجائبها، وربما قال أصحابه حدِّثنا عن رسول الله ولا تحدثنا عن الصحيفة.

وأما حديث عائشة رضي الله عنها فمفترى عليها وضعه الكذابون ونسبوه إليها كذبًا وزورًا، لأن هذا الحديث رواه صاحب كنـــزل العمال وضعَّفه، ويخالفه ما رواه البخاري ما نصه: "عن عمرو بن ميمون الأزدي قال رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يا عبد الله بن عمر اذهب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقل يقرأ عمر بن الخطاب عليك السلام ثم سلها أن أدفن مع صاحبي قالت كنت أريدها لنفسي فلأوثرنه اليوم على نفسي. فلما أقبل قال له ما لديك؟ قال أذنت لك يا أمير المؤمنين. قال ما كان شيء أهم إلي من ذلك المضجع فإذا قبضت فاحملوني ثم سلموا ثم قل يستأذن عمر بن الخطاب. فإن أذنت لي فادفنوني وإلا فردوني إلى مقابر المسلمين" (صحيح البخاري الجزء الأول باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما).

أفلا يدل قول عائشة رضي الله عنها (كنت أريده لنفسي فلأثرونه اليوم على نفسي) وقول عمر رضي الله عنه (فإن أذنت لي فادفنوني وإلا فردوني إلى مقابر المسلمين) على أنه لم يكن في علم الصحابة وعائشة رضي الله عنها ما رواه الرواة من دفن عمر وعيسى ابن مريم في حجرة عائشة رضي الله عنها.

وأما إذا حملنا الحديث الثالث على الظاهر فإنه يخالف ما ورد في البخاري كما مر آنفًا لأن الحديث (فيدفن معي في قبري فأقوم أنا وعيسى بن مريم في

قبر واحد بين أبي بكر وعمر) مروي عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما ومعلوم أن عمر رضي الله عنه أرسل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إلى عائشة رضي الله عنها كي يستأذنها أن يدفن مع النبي ﷺ في حجرتها، وإذا كان عبد الله بن عمر يعلم أن النبي ﷺ قد قال "فأقوم أنا وعيسى ابن مريم في قبر واحد بين أبي بكر وعمر" لما سكت ولأجاب والده عمر رضي الله عنه لماذا ترسلني إلى عائشة رضي الله عنها وقد صرح النبي ﷺ بأن تدفن معه؟ ولما قال عمر رضي الله عنه "فإن أذنت لي فادفنوني وإلا فردوني إلى مقابر المسلمين." وفوق ذلك لا يوجد في الحجرة موضع قبر آخر كما روى الإمام مالك رضي الله عنه "عن مالك عن يحى بن سعيد أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت رأيت ثلاثة أقمار سقطن في حجرتي فقصصت رؤياي على أبي بكر فسكت فلما توفي رسول الله ﷺ ودفن في بيتي قال أبو بكر هذا أحد أقمارك وهو خيرها (تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك: كتاب الجنائز باب ما جاء في دفن الميت، الجزء الأول صفحة ٢٣١).

(الثاني) وفي حديث آخر قال النبي ﷺ "أنا أول من تنشق الأرض عنه ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين (الفتح الكبير الجزء الأول صفحة ٢٧١). فأين ذكر عيسى عليه السلام؟ أما يثبت من هذا أنه لا يعود مرة أخرى إلى هذه الدنيا.

الدليل السادس

أن لفظ النــزول قد استعمل للمسيح عليه السلام في الأحاديث فلهذا هو ينــزل من السماء.

الجواب

أولاً ــ لما ثبت بالأدلة القرآنية والحديثية، أن المسيح عليه السلام قد مات وأن الموتى لا يرجعون إلى هذه الدنيا أبدًا، فلا يجوز أن يفسر لفظ النــزول بمعنى النــزول من السماء بالجسد العنصري.

ثانيًا ــ قد استعمل لفظ النــزول للدجال، كما ورد في البخاري "يأتي الدجال وهو مُحرَّم عليه أن يدخل نقاب المدينة ينــزل بعض السباخ بالمدينة، (صحيح البخاري، كتاب الحج، باب لا يدخل المدينة دجال). فهل ينــزل الدجال من السماء؟!

ثالثًا ــ قد استعمل لفظ النــزول في الأحاديث للنبي ﷺ وللصحابة "عن عائشة رضي الله عنها قالت خرجنا مع رسول الله ﷺ في أشهر الحج وليالي الحج فنــزلنا بسرف قالت فخرج إليه الصحابة (صحيح البخاري، كتاب الحج)، "وإن كان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية" (صحيح البخاري، كتاب المغازي).

رابعًا ــ كذلك استعمل لفظ النــزول للمهدي عليه السلام فهل هو ينــزل من السماء؟ والحال أن المسلمين يعتقدون أنه سيولد من أبوين، وقد ورد عنه: "وفي حديث أبي هريرة ينــزل المهدي فيبقى في الأرض أربعين (النهاية لابن الأثير، الجزء الأول صفحة ١٤).

خامسًا ــ قد ورد لفظ النـــزول في القرآن المجيد لأشياء شتى يقول الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾(الزمر ٧). ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾(الأعراف ٢٧) وكل واحد يعرف بأن البقر والحمير والجواميس والغنم لا تنـــزل من السماء، وكذلك اللباس يُتَّخَذ من الصوف والقطن والحرير وغير ذلك، وكذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحِجر ٢٢). ثم يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِلُ لَكُمْ مِنَ السمَاءِ رِزْقًا﴾(غافر: ١٤). فانظر كيف استعمل لفظ النـــزول في هذه الآية مع لفظ السماء أيضًا، وهل رأى أحد من الناس الرزق نازلا من السماء؟ كلا! بل يُتَّخذ الرزق من القمح والأرز والشعير وغيرها من نبات الأرض، فكما أن هذه الأشياء تنـــزل من السماء بتوسط علل وأسباب أرضية وتحدث وتتولد في الأرض، فهكذا يولد المسيح الموعود عليه السلام في هذه الأرض بتوسط أبويه بقوة الله الروحانية لا بحسب الظاهر نازلا من السماء كما زعم الزاعمون، ولذلك عبر عن مجيئه بلفظ النـــزول، إن الله تعالى يقول في حق محمد ﷺ: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ﴾(الطلاق ١١-١٢). ومعلوم أن النبي ﷺ لم ينـــزل من السماء بل كان له أبوان من نوع الإنسان.

سادسًا ــ قد جاء لفظ البعث أيضًا للمسيح عليه السلام في الأحاديث، وهذا أيضًا يدل على عدم نزوله من السماء: "كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم" (مسلم الجزء الثاني)، "فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم (مسلم الجزء الثاني باب في خروج الدجال ولبثه في الأرض). ونفس هذا اللفظ استعمل للنبي

ﷺ: ﴿هُوَ الذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ﴾ (الجمعة ٣). فلا تنخدعوا – أيها المسلمون – بلفظ النـــزول كما انخدع اليهود من قبلكم. إنهم كانوا يزعمون أن إيلِيًّا ارتفع إلى السماء وينـــزل مرة أخرى بجسمه العنصري، وهكذا أنتم تظنون أن المسيح بن مريم ارتفع إلى السماء بجسده وينـــزل مرة ثانية، وتسلكون مسلك اليهود ولا تفكرون، وتغترّون بالأحاديث الضعيفة وبأقوال المفسرين التي تخالف القرآن المجيد، وتقعون في هوة الضلال كما وقع اليهود من قبلكم، فذاقوا وبال أمرهم، فاعتبِروا يا أولى الأبصار فإن اللبيب الحازم يتعظ بغيره، ولا تُمْسِكوا بظواهر الروايات، فإن اليهود كانت عندهم نصوص أقوى وأوثق مما عندكم عن نزول إيلِيًّا (إلياس) عليه السلام، ولكن المسيح الناصري بنفسه أوَّلها حتى أن لفظ السماء كان موجودًا في كتبهم المقدسة المنـــزلة، ولا يوجد لفظ السماء في القرآن المجيد ولا في الأحاديث الصحيحة في حق المسيح عليه السلام. وقد ورد في كتب اليهود ما نصه "فصعد إيلِيًّا في العاصفة إلى السماء (الملوك الثاني ٢: ١١). و "ها أنا أرسل إليكم إيلِيّا النبي قبل مجيء يوم الرب العظيم (ملاخي ٤: ٥). وبما أن اليهود كانوا يعتقدون بأن إيلِيّا ينـــزل بنفسه من السماء قبل ظهور المسيح في بني إسرائيل، فلما جاء المسيح الناصري كفروا به وقالوا إن إيلِيّا لم ينـــزل بعد فكيف نؤمن بالمسيح؟ ولكن المسيح عليه السلام أوَّل لهم نبأ مجيء إيلِيّا، بأن المراد منه ولادة رجل صالح متصف بصفاته وخواصه لا مجيئه بنفسه، وقال لهم مشيرًا إلى يوحنا – يحيى عليه السلام – المعمدان ما نصه: "وإن أردتم أن تقبلوه فهذا هو إيلِيّا المزمع أن يأتي! من له أذنان للسمع فليسمع" (متى ١١: ١٤ – ١٥). وقال

مرة: "ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نـــزل من السماء" (يوحنا ٣: ١٣). ولكن اليهود لم يقبلوا تأويل المسيح وكذبوه ولم يؤمنوا بالمسيح، وهم إلى الآن ينتظرون نـــزول إيلِيّا من السماء بجسده العنصري.

واعلموا أن القرآن لا يجيز لأحد أن يرقى في السموات بجسده العنصري ثم ينـــزل منها، ألا تعلمون أن الكفار طلبوا من النبي ﷺ بأهم لن يؤمنوا به إلا إذا صعد إلى السماء ويُنـــزل عليهم بكتاب يقرؤونه دليلا على أنه ذهب إلى السماء، فقال تعالى ردًا عليهم: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبي هَلْ كُنْتُ إِلا بَشَرًا رَسُولا﴾ (الإسراء: ٩٤). ولو كان الذهاب إلى السماء ممكنًا لبشر مع جسده العنصري لكان النبي ﷺ أولى أن يصعد إلى السماء أمام أعين الكفار لكي يؤمنوا به، فالأمر الذي لا يجوز لأفضل الرسل محمد ﷺ كيف جاز للمسيح الناصري عليه السلام؟ لأنه أيضًا بشر ورسول، ولو فرض أن عيسى رفع إلى السماء بجسمه للزم أنه ليس ببشر. وهذا خلف!

ورُبَّ قائل يقول إن النبي ﷺ ذهب إلى السماء مع الجسد ليلة أسري به، فالجواب عنه أنه ما عرج ﷺ بهذا الجسد المادي، بل عرج بالروح فقط، وبصورة رؤيا أو كشف. يقول الله في نفس السورة عن الإسراء: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرؤْيَا التِي أَرَيْنَاكَ إِلا فِتْنَةً لِلناسِ﴾ (الإسراء: ٦١). وفي الحديث "واستيقظ وهو في المسجد الحرام" (البخاري، كتاب التوحيد، باب كلم الله موسى تكليمًا). كذلك ورد في زاد المعاد لابن القيم: "عن عائشة ومعاوية أهما قالا إنما كان الإسراء بروحه ولم يفقد جسده" (الجزء الثاني الصفحة ٦٨). وخلاصة القول إن الإسراء كان بالروح في حالة الكشف والرؤيا،

فالحاصل أنه لا يمكن للمسيح عليه السلام أن يذهب إلى السماء حيًّا بجسمه العنصري ويرجع مرة ثانية بنفسه؛ لأنه لم ينـــزل أحد من السماء قط ولن ينـــزل. والمراد من نزول عيسى عليه السلام مجيء رجل آخر من الأمة المحمدية يشبه عيسى بن مريم في صفاته وخواصه وحالاته، وقد ظهر في قاديان بنجاب في الهند باسمِ أحمد المسيح الموعود عليه السلام.

المبحث الثالث

لماذا سمي المسيح الموعود "ابن مريم" في الأحاديث

الجواب الأول

لما صرح القرآن المجيد والأحاديث الصحيحة أن المسيح ابن مريم قد مات وأنه لا يرجع أبدًا إلى هذه الدنيا، ثبت أن المسيح الموعود المنتظر هو شخص آخر يكون من الأمة المحمدية، وأما تسميته بالمسيح ابن مريم فلأجل التشابه الواقع في الصفات والخواص، وهذا الإطلاق معروف شائع عند البلغاء وأهل اللغة، وكثيرًا ما يُذكر المشبَّه ويحذف المشبَّه به وحرف التشبيه لإظهار كمال التشبيه بين الشيئين، ويطلق اسم المشبَّه به على المشبَّه كما قال العلامة عبد القاهر الجرجاني: "إن التشبيه ينقسم إلى الصريح وغير الصريح. فالصريح أن تقول (كأن زيدًا الأسد) فتذكر كل واحد من المشبَّه والمشبَّه به باسمه، وغير الصريح أن تسقط المشبَّه به من الذكر وتجري اسمه على المشبَّه؛ كقولك (رأيت أسدًا)، تريد رجلا شبيهًا بالأسد، إلا أنك تغير اسمه مبالغة وإيهامًا أن لا فصل بينه وبين الأسد وأنه قد استحال إلى الأسديَّة. فإذا كان الأمر كذلك وأنت تشبه شخصًا بشخص، فإنك إذا شبَّهت فعلا بفعل كان هذا حكمه، فأنت تقول مرة: كأنّ تزيينَه لكلامِه نظمُ درٍّ؛ فتصرح بالمشبَّه والمشبَّه به، وتقول أخرى: إنما يَنْظم درًّا، تجعله كأنه ناظم درًّا على الحقيقة" (أسرار البلاغة صفحة ٣٣٠). وقال الإمام الرازي في تفسيره: "إطلاق اسم الشيء

على ما يشابهه في أكثر خواصه وصفاته جائز حسن (الجزء الثاني صفحة ٦٨٩). وبما أن للمسيح الموعود مشابهات كثيرة بالمسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام، فلذا أطلق على أحمد المسيح الموعود اسم ابن مريم عليهما السلام وهاكم بعض هذه المشابهات:

(المشابهة الأولى) جاء المسيح ابن مريم على رأس القرن الرابع عشر بعد موسى عليه السلام، كذلك جاء المسيح الموعود على رأس القرن الرابع عشر بعد محمد ﷺ.

(الثانية) أن المسيح الإسرائيلي عليه السلام كان خادمًا ومصدقًا للشريعة الموسوية و لم يأت بشريعة جديدة مستقلة ناسخة لما قبلها، كذلك بعث أحمد المسيح الموعود عليه السلام مصدقًا للقرآن المجيد وخادمًا للشريعة المحمدية الغراء و لم يأت بشريعة جديدة مستقلة ناسخة لما قبلها.

(الثالثة) ظهر المسيح الإسرائيلي عليه السلام عند حدوث الضعف والاضمحلال في اليهود، وكذلك أتى المسيح المحمدي وقت ضعف الأمة الإسلامية.

(الرابعة) كما أن المسيح الإسرائيلي بعث في أيام الحكومة الرومية كذلك بعث المسيح المحمدي في أيام الحكومة المسيحية، والنبي ﷺ بنفسه أطلق لفظ الروم على المسيحيين: كما قال: "تقوم الساعة والروم أكثر الناس" (صحيح مسلم، باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس).

(الخامسة) بعث المسيح الإسرائيلي في حُلَّة الجمال وما نال السلطنة خلاف زعم اليهود، كذلك بعث المسيح الموعود في حُلَّة الجمال و لم يؤت ملكًا ظاهرًا من هذه الدنيا، وأتى خلاف أماني أهل الظاهر من المسلمين.

(السادسة) ما كان المسيح الإسرائيلي من بني إسرائيل من حيث الأب: لأنه ولد من غير أب، ولكنه كان إسرائيليًا من حيث الأم، كذلك ما جاء المسيح المحمدي من قريش من حيث الآباء! لأنهم كانوا من بني فارس، وإنه قرشي من حيث الأمهات، لأن بعض أمهاته كن من بني فاطمة ومن أهل بيت النبوة.

(السابعة) أن اليهود كفَّروا عيسى عليه السلام وكذَّبوه وأرادوا قتله وجروه إلى الحكام، كذلك فعل بعض علماء الإسلام بالمسيح الموعود وكفَّروه وكذَّبوه ورفعوا عليه القضايا في المحاكم الحكومية وسعوا كل سعي لقتله، ولكن الله عصمه من مكائدهم حسب وعده إياه (يعصمك الله من عنده وإن لم يعصمك الناس).

ومعلوم أن النبي ﷺ كان أفصح الفصحاء، فلذا قال عن المسيح الموعود على وجه الاستعارة "كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم" (صحيح البخاري باب نزول عيسى ابن مريم)، و "كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم فأمَّكُم" (صحيح مسلم باب بيان عيسى بن مريم)، مشيرًا إلى أنه يكون فردًا من أفراد الأمة المحمدية.

الجواب الثاني

وفي حديث آخر قال النبي ﷺ لبعض أزواجه: "إنكنّ لأنتُنَّ صواحبُ يوسف، مُرُوا أبا بكر فليصَلِّ بالناس" (صحيح البخاري: كتاب الأذان).

فانظر كيف أطلق النبي ﷺ على أزواجه ألفاظ صواحب يوسف استعارة لأجل التشابه في شيء واحدٍ فقط.

الجواب الثالث

هناك طائفة من المسلمين الأقدمين الذين توغلوا في استنباط دقائق القرآن والأحاديث النبوية وليسوا من أهل الظاهر ذهبوا إلى أن المراد من نزول ابن مريم مجيء رجل يشبه عيسى ابن مريم في الفضل والشرف، كما ذكر العلامة سراج الدين أبو حفص عمر بن الوردي في كتابه (خريدة العجائب وفريدة الغرائب) ما نصه: "قالت فرقة: نزول عيسى خروج رجل يشبه عيسى في الفضل، كما يقال للرجل الخيّر مَلَك وللشرّير شيطان تشبيهًا بهما ولا يراد بهما الأعيان" (صفحة ٢٠٥).

الجواب الرابع

وفي رواية للبخاري "قال أبو هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخًا من مسّ الشيطان غير مريم وابنها، ثم يقول أبو هريرة: إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم "(كتاب بدء الخلق، باب واذكر في الكتاب مريم).

قال العلامة الزمخشري في شرح هذا الحديث: "فالله أعلم بصحته، فإن صح فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها فإنهما كانا معصومين، وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله تعالى: ﴿لأُغْوِيَنهُمْ

أَجْمَعِينَ، إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾. (تفسير الكشاف: الجزء الأول صفحة ١٨٦)

ويؤيد ما قاله الزمخشري حديث آخر "قال النبي ﷺ لو أن أحدكم إذا أتى أهله فقال: اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتني، فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان و لم يسلط عليه (صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس). فثبت من هذا أن لفظ "ابن مريم" في الحديث اسم وصفي أُطلق على رجل تقي ورع، والمراد من "نزول" ابن مريم بعثة رجل من الأمة المحمدية.

الجواب الخامس

بين النبي ﷺ أن صفة المسيح الموعود مختلفة عن صفة المسيح الناصري، فإنه رأى ليلة أُسريَ به عيسى وموسى وإبراهيم عليهم السلام، وقال عن عيسى عليه السلام: "فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر (صحيح البخاري)، وَوَصف المسيح الموعود بقوله: "أَرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فِي الْمَنَامِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ كَأَحْسَنِ مَا يُرَى مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ رَجِلُ الشَّعَرِ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا فَقَالُوا هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ." (صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب واذكر في الكتاب مريم)

فاختلاف الصفتين يدل على أن المسيح الموعود به للأمة المحمدية هو غير المسيح عيسى ابن مريم الناصري عليه السلام.

الجواب السادس

يقول الله تعالى عن المسيح الناصري عليه السلام ﴿وَرَسُولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (آل عمران: ٥٠)، وقال المسيح بنفسه أيضًا ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ﴾ (الصف: ٧).. أي أن المسيح الناصري إنما أرسل إلى بني إسرائيل فقط. فلو فرضنا رجوعه كخليفة لسيدنا محمد ﷺ الذي أُرسل إلى جميع الناس كما قال الله تعالى ﴿قُلْ يَا أَيهَا الناسُ إِنِي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٩)، فلا بد من أن يقول المسيح الناصري إني رسول الله إليكم جميعًا، وقوله هذا يكون مخالفًا صريحًا لقول الله تعالى: ﴿وَرَسُولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (آل عمران: ٥٠)، وهذا ينافي رسالته إلى غير بني إسرائيل، فلزم أن يكون المسيح الموعود غير المسيح الناصري عليه السلام، ولا يكون إلا من الأمة المحمدية.

الجواب السابع

يقول الله تعالى: ﴿إِنا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولا﴾ (المزمل: ١٦). وقد مثل الله تعالى نبينا ﷺ في هذه الآية بموسى عليه السلام، فكما أن الله تعالى شبَّه محمدًا ﷺ بموسى عليه السلام كذلك شبَّه الأمة المحمدية بالأمة الموسوية، وقال: ﴿وَعَدَ اللهُ الذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (النور: ٥٦)، ووعد المؤمنين في هذه الآية أنه يستخلف منهم كما استخلف من قوم موسى، أي أن الخلفاء في الأمة المحمدية يكونون مثل الخلفاء في الأمة

الإسرائيلية، وكما أن الله أرسل مسيحًا إسرائيليًا لإصلاح الأمة الإسرائيلية، كذلك كان ضروريًا أن تعطى الأمة المحمدية مسيحًا محمديًا لكي تتم المماثلة بين السلسلتين؛ سلسلة موسى وسلسلة سيد المرسلين. ومُسَلَّمٌ أن المشبَّه والمشبَّه به لا يكونان شيئًا واحدًا؛ فالخليفة والمجدد الأعظم في الأمة الموسوية كان المسيح عيسى الناصري، وفي الأمة المحمدية المسيح المحمدي أحمد القادياني عليهما السلام.

هذا وإن الله رأى مفاسد آخر الزمان وفساد القسيسين وفلاسفة النصارى أنهم يطرون ابن مريم إطراء ويفضلونه على سائر الأنبياء؛ لا سيما على سيدنا ومولانا خاتم الأنبياء محمد المصطفى ﷺ، ويسبّون خير البرية ظلمًا وعدوانًا ويجرحون قلوب المسلمين بحصائد ألسنتهم ويؤلفون كتبًا في رد الإسلام على وجه الافتراء، فاشتد غضب الله وفارت غيرته واقتضت رحمته، فأراد أن يرحم العباد ويحافظ على عزة نبيه ﷺ القعساء، ويقيم الحجة على النصارى ويبطل مزاعمهم، فبعث رجلا من خدام النبي ﷺ وأعطاه منـــزلة المسيح وسماه "ابن مريم" لتظهر فضيلة النبي ﷺ ويتجلى المقام المحمدي وأن محمدًا ﷺ هو السيد وما المسيح إلا كالخادم فطوبى للذي لا يعترض على حكم الله.

المبحث الرابع

المسيح الموعود والمهدي المعهود رجل واحد من أبناء فارس

ينتظر عامة المسلمين ظهور المهدي وظهور المسيح الموعود به في شخصين، والحال أن أحاديث ظهور المهدي لا تخلو من الضعف والجرح، لا سيما الأحاديث الواردة في حق رجل فاطمي كلها ضعيفة مجروحة (راجع مقدمة ابن خلدون: الفصل ٥٢)، ولذلك لم يورد الإمام البخاري في صحيحه أيّ حديث عن المهدي المعهود. والحقيقة الواضحة هي أن المسيح الموعود والمهدي المعهود شخص واحد، وإليه أشار النبي ﷺ بقوله "لا مهدي إلا عيسى" (ابن ماجة الجزء الثاني باب شدة الزمان).

يقول الحافظ ابن كثير عن هذا الحديث: "هذا حديث مشهور بمحمد بن خالد الجندي الصنعاني المؤذن شيخ الشافعية وروى عنه غير واحد أيضًا وليس هو بمجهولٍ كما زعمه الحاكم بل روي عن ابن معين أنه ثقة (هامش على ابن ماجة: باب شدة الزمان).

وورد في حديث آخر: "يوشك من عاش منكم أن يلقى عيسى بن مريم إمامًا مهديًا وحكمًا عدلا". (مسند أحمد بن حنبل: الجزء الثاني صفحة ٤١١)

فالمسيح الموعود والمهدي المعهود ليس بشخصين مختلفين، بل فرد واحد متصف بصفة المهدوية والمسيحية أيضًا، ويجمع في ذاته وظيفتين مختلفتين نوعًا وأهمية، فباعتبار وظيفة إصلاح المسلمين وكونه حكمًا يزيل الاختلافات من

بينهم بالقرآن والسنة النبوية وكونه بروزًا للنبي ﷺ سمي مهديًا، وباعتبار مقاومته فتنة الدجال وكسره الصليب أي إبطاله الديانة المسيحية بالبراهين الساطعة والأدلة القطعية، وإرشاده النصارى إلى الإسلام، ولأجل تشابهه بالمسيح الإسرائيلي من حيث الزمان والوظيفة والظروف والصفات سمي مسيحًا، فلما ثبت أن الأحاديث الواردة في حق رجل فاطمي كلها ضعيفة مجروحة، وأن المسيح الموعود والمهدي المعهود هو شخص واحد وأنه من الأمة المحمدية، فلا بد من أن نفتش عن المسيح الموعود والمهدي المعهود الآتي، وبعد الفحص والتدقيق نصل إلى النتيجة: بأن المسيح الموعود والمهدي المعهود عليه السلام لا يكون إلا من بني فارس كما ورد في صحيح البخاري: "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، قال قلتُ: مَن هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثًا، وفينا سلمان الفارسي، فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: لو كان الإيمان معلقًا عند الثريّا لناله رجال أو رجل من هؤلاء" (صحيح البخاري: كتاب التفسير: تفسير سورة الجمعة). وفي حديث لمسلم "لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس أو قال من أبناء فارس حتى يتناوله." (باب فضل فارس)

تصرح هاتان الروايتان أن المسيح الموعود عليه السلام يكون من أبناء فارس، وأن هذا الأمر متحقق في شخصية أحمد المسيح الموعود والمهدي المعهود عليه السلام، لأنه فارسي أصلاً ونسبًا، وإنْ هو إلا مصداق النبأ النبوي ﷺ.

ربما يعترض معترض أن المراد من أبناء فارس هو الإمام أبو حنيفة نعمان بن ثابت أو الإمام البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل رحمهما الله. ولكن هذا الاعتراض باطل ومخالف لما ورد في الأحاديث. فقد قال النبي ﷺ: "خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينَه ويمينُه شهادتَه (صحيح البخاري الجزء الثاني باب فضائل أصحاب النبي ﷺ). وفي حديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: "سأل رجل النبي ﷺ أي الناس خير؟ قال القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث (صحيح مسلم الجزء الثاني باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم).

إن الروايات المذكورة تصرح بأن المسلمين لا يفسدون إلا بعد انقضاء القرن الثالث، ومعلوم أن الإمام أبا حنيفة - رحمه الله - ولد سنة ثمانين من الهجرة النبوية وتوفي سنة ١٥٠ هجرية (أحسن القصص الجزء الرابع)، ووُلد الإمام البخاري - رحمه الله- سنة ١٩٤ هـ وتوفي سنة ٢٥٢ هـ وعند البعض سنة ٢٥٦ هـ. فكلاهما قد توفيا قبل تمام القرن الثالث، فلا يجوز أن يقال أن مصداق الحديث: "لو كان الإيمان معلقًا عند الثريا لذهب به رجل من فارس" الإمامُ أبو حنيفة رحمه الله أو الإمامُ البخاري رحمه الله وإلا يلزم تكذيب حديث النبي ﷺ: "خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم".
والحق أن المراد من النبأ النبوي ﷺ: "لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء" أي من أبناء فارس هو سيدنا ميرزا غلام أحمد القادياني المسيح الموعود عليه السلام، وأنه أتى في الزمن الذي فسد فيه المسلمون وتشبهوا باليهود والنصارى في خصائلهم وشيمهم، وتفرقوا وتشعبوا أحزابًا وفرقًا،

وكثر فيهم الخمر والميسر والمعازف والرقص والغناء، ونسوا أحكام شريعة نبيهم الغراء، ونشأت فيهم سيئات ومكروهات أخرى لا تُعَدّ ولا تحصى، وتركوا العمل بالقرآن، يقرؤون الفرقان ويمرون عليه كالنشوان، ولا يفهمون ما في صحف الرحمن، وطار الإيمان من قلوبهم كما يطير من عشه الحمام، وتركوا الصوم والصلاة، حتى أن المشايخ أعرضوا عن كلام الرحيم، وصدق فيهم حديث النبي الكريم ﷺ، قال رسول الله ﷺ: يوشك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه؛ مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، علماؤهم شرُّ مَن تحت أديم السماء، مِن عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود (مشكاة المصابيح: كتاب العلم)، وهجم النصارى على المسلمين من كل جانب وناحية، ونشروا معتقداتهم الباطلة في الشرق والغرب حتى تنصر كثير من المسلمين، وما استطاع العلماء والمشايخ أن يدافعوا عن الإسلام بل سكتوا واختفوا في زوايا بيوتهم، وانهمكوا في دنياهم، وقل الصالحون وكثر الظالمون، وزبدة الكلام أن المسلمين جعلوا ينتسبون إلى الإسلام ولكن ضمائرهم منكرة، وأفئدتهم هواء، كما قالت الجرائد الإسلامية:

"إن المسلمين أمام أخطار تتناوبهم، وكوارث تنتابهم، جاءتهم من أنفسهم لإهمالهم، وممن يدعون أنهم مسلمون، فهؤلاء المفسدون من المسلمين منبثون فيهم، يقولون ولا يفعلون ويدعون ويحرضون، يطالبون بنبذ الدين وتعاليمه، وهجر الإسلام وقوانينه، ينفثون سمومهم، ويدسون دسائسهم في المجالس، والنوادي، والمعاهد والمدارس، والصحف والمجلات ودور اللهو وأماكن

الفساد ومحال التمثيل ومن العجب أن الصحف والمجلات المصرية تنشر الصور الفاتنة اللاهية للفتيات بلباس البحر بأشكال مثيرة، وخلاعة خبيثة، ألا إنهم هم المفسدون ولا يشعرون! لبئس ما قدمت لهم أيديهم أن سخط الله عليهم، لقد خسروا وهم لا يفقهون. ولقد صدق فينا قول رسول الله ﷺ: "لتتبعن سَنَنَ مَن قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه" يريد اليهود والنصارى؛ فإنا قد اتبعناهم في عاداتهم الخسيسة واقتدينا بهم في أعمالهم الخبيثة ونهجنا نهجهم في كل ذميمة وقبيحة (جريدة الإسلام، العدد ١٣ صفحة ٢٣، سنة ١٩٣٦م). فعند هذه المعضلات والمشكلات وظهور الفتن والفساد، اقتضت غيرة الله تعالى أن يحمي دينه الحنيف، فاختار رجلا من الأمة المحمدية، وخاطبه بقوله: (إنا جعلناك المسيح ابن مريم لأتِم حجتي على قوم متنصرين) وأعطاه علمًا من لدنه وعلمه معارف القرآن وأوحى إليه: (الرحمن علم القرآن. الخير كله في القرآن). حتى أنه نال الدين الذي كان ذهب إلى الثريا وجاء به إلى الدنيا وأفحم المسيحيين وأهل ديانات أخرى بالبراهين الدامغة وسدَّ أفواههم، وألَّف لكل قوم كتابًا أو كتبًا وتحدّاهم بأن يكتبوا مثله أو مثلها وجعل لهم جوائز مالية تقدر بالمئات والألوف، فما استطاع أحد منهم أن ينقض هذا التحدي بل بهتوا وما كان لهم أن يأتوا هذا المضمار. وأما العلماء والمشايخ فتحداهم سيدنا أحمد المسيح الموعود عليه السلام ودعاهم إلى كتابة تفسير القرآن المجيد باللغة العربية الفصحى، فلم ينازله أحد من المشايخ، ولم يبرز في ميدان التفسير لينقض هذا التحدي، وما كان لهم أن ينقضوه ولو كان بعضهم لبعض

ظهيرا، لقد نشر سيدنا المسيح الموعود منشورًا سنة ١٣١٨هـ دعا فيه العلماء عامة والسيد مهر علي شاه - الذي كان يحسب نفسه من أكابر الصوفية والعلماء - خاصة لكتابة تفسير سورة الفاتحة وسمحَ له أن يستنجد بالعلماء بل يدعو بعض العرب الأدباء أيضًا على أن يكتبوا جميعًا تفسير هذه السورة بالعربية الفصحى وينشروا ذلك التفسير في سبعين يومًا، وإن حضرته عليه السلام أيضًا يكتب تفسير أم الكتاب بالعربية الفصحى وينشره في هذه المدة. وقد جعل عليه السلام لزعيم خصومه أعني الشيخ مهر علي شاه جائزة قدرها خمسمائة روبية بشرط أن يأتي بتفسير الفاتحة باللغة العربية في بحر سبعين يومًا، لكي يظهر للناس من هو المؤيد من الله ومن الذي أوتي من الله علم القرآن الذي ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾، فانسلخت الأيام وانقضت المدة و لم يقدر أحد من العلماء على أن ينشر تفسير أم الكتاب باللغة العربية وعجزوا عنه تمام العجز، وأما سيدنا أحمد المسيح الموعود عليه السلام فقد نشر قبل نهاية الميعاد بخمسة أيام تفسير الفاتحة باللغة العربية الفصحى، وسماه (إعجاز المسيح) وقال فيه: "اعلموا أن رسالتي هذه آية من آيات رب العالمين، وتبصرة لقوم طالبين، وأنها حجة قاطعة وبرهان مبين، كذلك ليذيق الأفاكين قليلا من جزاء ذنوبهم، ويري الناس ما ترشح من ذنوبهم ويجنبهم بمعجزة قاهرة ويزيل اضطجاع الأمن من جنوبهم، ويستأصل رائحة كاذبة من قلوبهم، والحق والحق أقول إن هذا كلام كأنه حسام وأنه قطع كل نزاع وما بقي بعده خصام، ومن كان يظن أنه فصيح وعنده كلام كأنه بدر تام، فليأت بمثله والصمت عليه حرام، وإن اجتمع آباؤهم وأبناؤهم وأكفاؤهم

وعلماؤهم وحكماؤهم وفقهاؤهم على أن يأتوا بمثل هذا التفسير، في هذا المدى الحقير، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض كالظهير، فإني دعوت لذلك وإن دعائي مستجاب، فلن تقدر على جوابه كُتّاب، لا شيوخ ولا شاب" (صفحة ١٨"). "فإنه كتاب، ليس له جواب، ومن قام للجواب وتنمر، فسوف يرى أنه تندّمَ وتذمّرَ" (صفحة الغلاف). ولما تمت الحجة على علماء الهند ومشايخها أرسل سيدنا أحمد المسيح الموعود عليه السلام كتابه (إعجاز المسيح) إلى أشهر علماء مصر، ومنهم الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة (المنار)، فاستهزأ الشيخ رشيد رضا بهذا الكتاب وسخر من المؤلف في مجلته، ولكنه لم يستطع أن يكتب مثل هذا التفسير، ولما وصل خبر هذا الاحتقار والازدراء إلى سيدنا أحمد المسيح الموعود عليه السلام ورأى أن صاحب (المنار) طغى في كلامه وتجاوز الحد في التكذيب والاستهزاء، دعا ربه أن يوفقه لتأليف كتاب آخر يتحدى به صاحب (المنار) خاصة، فاستجيبت دعوته ووفق لتأليف كتاب سماه (الهدى والتبصرة لمن يرى)، فأرسل حضرته إلى صاحب (المنار) هذا الكتاب وقال فيه: "فإن أتى بالجواب الحسن وأحسن الرد عليه فأُحرِقُ كتبي وأقبّل قدميه، وأعلق بذيله، وأكيل الناس بكيله" (صفحة ٢٠).

"فعليه أن يكتب كتابًا كمثل كتابي وعلى منواله ليحكم الله بيننا بعد بث الأسرار، ونث الأخبار. وأرجو من الله أن يبعث بعض أولي الأبصار وفضلاء الديار، ليفتحوا بالحق بيني وبين من يرقص على المنار (صفحة ٢٣).

"وإن الخرور شيء عظيم فما بال الذي من المنار هوى؟ واشترى الضلالة وما اهتدى؟ أم له في البراعة يدٌ طولى؟ سيُهزم فلا يرى، نبأ من الله الذي يعلم السر وأخفى، وإنه مع قوم يتقونه ويحسنون الحسنى، ينصرهم في مواطن فتكون كلمتهم هي العليا" (صفحة ٩).

فلم يستطع صاحب المنار أن يكتب الرد على هذا الكتاب أو يأتي بتفسير سورة الفاتحة في اللغة العربية الفصحى كإعجاز المسيح ولا أحد من المشايخ الآخرين.

وكذلك كتب المسيح الموعود عليه السلام مكتوبًا إلى علماء العرب والشام والعراق وخراسان، وأسماه (لجة النور) وقال فيه: "وقد قلت لهم مرارًا إنني أنا المفلق الوحيد من كتاب هذه الأوان، والمنفرد بعلم معارف القرآن، ولي غلبة على الأواخر والأوائل، ولو جاءني سحبان وائل كالسائل، وإذا طلبت منهم مبارزًا في هذا الميدان فما بارزني أحد واختفوا كالنسوان" (صفحة ١٢٢).

وقال عليه السلام في حاشية هذا الكتاب (لجة النور): "كل ما قلت من كمال بلاغتي في البيان، فهو بعد كتاب الله وأنه فاق الكل ببيان لطيف، ومعنى شريف." (صفحة ١٢٢).

أيها القارئ الكريم! أرأيت مثل هذا التحدي من كاذب؟ وما أتى أحد لنقض هذا التحدي مع أن صاحب (المنار) عاش بعدما تحداه المسيح الموعود عليه السلام أكثر من ثلث القرن، فهل يمكن لبشر أن ينكر هذه المعجزة الكبرى ولا يخاف من ربه الأعلى؟

فخلاصة القول نحن آمنا بذلك الموعود الأعظم الذي كان الناس ينتظرونه من قرون وآمنا به قائلين: ﴿رَبَنَا إِننَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آَمِنُوا بِرَبِكُمْ فَآَمَنا رَبنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِرْ عَنا سَيِئَاتِنَا وَتَوَفنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ (آل عمران: ١٩٤)، واجتمعنا واتَّحدنا وتعلَّقْنا بأهداب الشريعة وصرنا جماعة أشار إليها النبي ﷺ بقوله "تفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا من هي يا رسول الله؟ قال ما أنا عليه وأصحابي.. وهي الجماعة (مشكاة المصابيح، كتاب الإيمان). وتلقينا علم القرآن من ذلك الرجل الفارسي الذي أتى بالقرآن من الثريا وبيَّن حقائقه ومعارفه، وأحيا رميمًا بالية بأنفاسه الروحانية المقدسة المسيحية، حتى صرنا أحياء! فوفقنا الله سبحانه وتعالى لإعلاء كلمته ولخدمة دينه الحنيف ورفع لوائه فوق كل لواء، وبَلَّغْنا الإسلام الحقيقي إلى الأقاصي والأداني، وإلى القرى والأقاليم، حتى أصبحنا ويضرب المثل بنا في تأييد الإسلام، وإليك نص ما قالته مجلة (الفتح) المصرية: "نظرت فإذا حركتهم أمر مدهش فإنهم رفعوا أصواتهم وأجروا أقلامهم باللغات المختلفة، وأيَّدوا دعوتهم ببذل المال في المشرقين والمغربين في مختلف الأقطار والشعوب، ونظموا جمعياتهم وصدقوا الحملة حتى استفحل أمرهم وصار لهم مراكز دعاية في آسيا وأوروبا وأمريكا وأفريقيا تساوي عِلْمًا وعملا جمعيات النصارى، فالقاديانيون أعظم نجاحًا لما معهم من حقائق الإسلام وحكمه..".

"... والذي يرى أعمالهم المدهشة ويقدر الأمور حق قدرها لا يملك نفسه من الدهشة والإعجاب بجهاد هذه الفرقة القليلة التي عملت ما لم تستطعه مئات الملايين من المسلمين .. ".

"أفلا يجب على المسلمين والحال هذه أن يزيلوا عن أذهان أهل أوروبا وأمريكا تلك العقائد الفاسدة التي يعتقدونها في دينهم ونبيهم..".

هذا فرض على أمراء الإسلام وعلمائهم وأغنيائهم وفقرائهم أيضًا. فمن ذا الذي يقوم اليوم بتبديد تلك الأوهام؟ لا أحد إلا القاديانيون وحدهم! هم الذين يبذلون في ذلك الأموال والأنفس! ولو قام المصلحون يصيحون حتى تُبَحّ أصواتهم ويكتبون حتى تنكسر أقلامهم ما جمعوا من الأموال والرجال في جميع الأقطار الإسلامية عشر ما تبذله هذه الشرذمة القليلة (مجلة الفتح: القاهرة ٢٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٥١).

ومن المعلوم أن مجلة (الفتح) ما كانت من أصدقاء الأحمديين بل من ألد أعدائهم. والفضل ما شهدت به الأعداء! ولنختتم هذا المبحث بنبذة من قصيدة سيدنا أحمد المسيح الموعود عليه السلام التي ذكر فيها مفاسد هذا الزمان وضرورة رجل يهدي إلى طريق الرحمن.

دموعي تفيض بذكرِ فتـــنٍ أنظُرُ ... وإني أرى فتنًا كقطرٍ يـــمطُرُ
تهبّ رياح عاصفات مـــبـــيدةٌ ... وقلَّ صلاحُ الناس والغيُّ يكثرُ
وقد زُلزلت أرضُ الهدى زلزالها ... وقد كُدّرتْ عين التقى وتُكدَّرُ
وما كان صَرْخٌ يَصْعَدَنّ إلى العُلى ... وما مِن دعاء يُسمَعنَّ و يُنصَرُ

فلما طغى الفسق المبيد بسيلــه تمنّيتُ لو كان الوباءُ المُــتَبِّرُ
فإن هلاك الناس عند أولي النهى أحبُّ وأولى من ضلال يُخسِّرُ
على أَجْدُرِ الإسلام نزلتْ حوادثٌ وذاك بسيئات تُــذاع وتُــنشرُ
وفي كل طرف نارُ فتن تأجّجت وفي كل ذنب قد تراءى التقعُّرُ
وعينُ هدايات الكتاب تكدرتْ بها العِيْنُ والآرام يمشي ويــعبُرُ
تراءتْ غواياتٌ كريح عاصفٍ وأرخى سدولَ الغيِّ ليلٌ مُكدِّرُ
وللدين أطلالٌ أراها كلاهف ودمعي بذكر قصوره يتــحدّرُ
أرى العصر من نوم البطالة نائما وكل جَهول في الهوى يتبخترُ
نسوا نَهْجَ دين الله خبثًا وغفلة وأفعالهم بغــيٌ وفسق ومَيسرُ
وما همُّهم إلا لــحظٍّ نفوسهم وما جهدهم إلا لعيشٍ يوفَّرُ
وقد ضيّعــوا بالجهل لبنًا سائغا ولم يبق في الأقــداح إلا ماضِرُ
تصيدُهم الدنيا بعــظمة مكرها فيا عجبًا منها ومــما تــمكُرُ
تُذكِّر إفلاسا وجوعا وفــاقــة فــتدعو إلى الآثام مــما تُذكِّرُ
تريد لتُهلِك في التــغافل أهلها وقد عقرتْ همَمَ اللئام وتعقِرُ
وألهتْ عن الدين القويم قلوبَهم فمالوا إلى لــمعاتها وتحيّــروا
تقود إلى نار اللظى وجنــاتُها ولــمعاتُها تصبي القلوب وتخترُ
تــميس كبِكْرٍ في نقاب المكائدِ وتُبــدي وميضًا كاذبا وتزوِّرُ
على كل قلب قد أحاط ظلامها سوى قلب مسعودٍ حماه الميسِّرُ
إذا ما رأيتُ المسلمين كــلابَها ففاضتْ دموع العين والقلبُ يضجَرُ
على فسقِهم لما اطّلعتُ وكسلِهم بكيتُ ولم أصبِــرْ ولا أتصــبّرُ

أكبّوا على الدنيا ومالوا إلى الهوى وقد حلَّ بيتَ الدين ذئبٌ مدمِّرُ
أرى ظلماتٍ ليتَني مِـــتُّ قبلها وذقتُ كؤوس الموت لولا أُنوَّرُ
فأنقضَ ظهري ضعفُهم ووبالهم ومِن دون ربي مَن يداوي وينصرُ؟
فيا ربِّ أَصْلِحْ حالَ أُمّةَ سيدي وعندك هَيِّــنٌ عندنا متــعسِّرُ
قد اندرستْ آثارُ دينِ مـــحمدٍ فأشكو إليك وأنتَ تبني وتَعمُرُ
أرى كل محجوب لدنياه باكيا فمن ذا الذي يبكي لدينٍ يُحقَّرُ
فيا ناصرَ الإسلام يا ربَّ أحمدا أَغِــثْــني بتأييد فإني مُـــدْخَرُ
ويعلم ربي سرَّ قلبـــي وسرَّهم وكلّ خفـــيّ عنـــده متحضِّرُ
ولو كنتُ مردودَ المليك لضَرَّني عـــداوةُ قومٍ كذّبوني وكفّروا
وهـــمّوا بتكفيري وقاموا للعنتي ولم يعلموا أن المهيـــمن ينظُرُ
إذا قيل إنك مرسَلٌ خِلْتُ أنني دُعِيتُ إلى أمر على الخَلْق يَعسِرُ
وكنتُ على نور فزاغوا من العَمى وهل يستوي الأعمى ورجلٌ يَبصُرُ
ووالله إنـــي قد تبِعتُ محمدًا وفي كـــل آن مِن سناه أُنوَّرُ
وكيف وللإسلام قمتُ صبابةً وأبـــكي لـــه ليلا نهارا وأضجَرُ
وعندي دموع قد طلَعْنَ المآقِيا وعنـــدي صراخٌ مثلُ نارٍ مُسَعَّرُ
سنا برقِ إلـــهامي ينيـــر لياليا وكشفي كصبح ليس فيه تكدُّرُ
وإن كلامي مثل سيف قاطـــع وإن بيـــاني في الصخور يؤثِّرُ
وأَدْعِيَتي عند الوَغى تقتُل العدا فـــطوبى لقـــلبٍ يتّقيها ويحذَرُ
وآذاني قـــومـــي بسبٍّ ولعنةٍ وكم من لسان لا يضاهيه خنجرُ
إذا مـــا تحامتْني مشاهير ملتي فقلتُ اخْسَأوا إن الخفايا ستَظهَرُ

فريق من الإخوان لا ينكرونني ... وحزب يكذّب كل قولي ويزجُرُ

فأقسمتُ بالله الذي جلَّ شأنهُ ... على أنه يُخزي عدوي ويَشزِرُ

فهذا على الإسلام يوم المصائبِ ... يُكفَّرُ مثلي والرياضُ حَبَوكَرُ

فمن ذا يعاديني وربي يــحبّني ... ومـــن ذا يُراديـــني وربي مُعزِّرُ

لنا كـــل يوم نصرةٌ بعد نصرة ... ويأتي الحـــبـــيب مقامَنا ويبشِّرُ

وعلّمـــني ربي علـــومَ كتـــابه ... وأُعطِيتُ مما كان يُخفى ويُستَرُ

وأسرار قـــرآنٍ مـــجيدٍ تبيّنتْ ... علـــيّ ويـــسّرَ لي عليمٌ مُيسِّرُ

ألا إن الأيام رجعتْ إلى الهدى ... هنيًّا لكم بعثي فبَشُّوا وأَبْشِروا

وقد اصطـــفاني خالقي وأعزَّني ... وأيَّدني واختارني فتدبَّروا

المبحث الخامس

علامات ظهور المسيح الموعود والمهدي المعهود عليه السلام

قبل أن أبحث في علامات ظهور المسيح الموعود عليه السلام أود أن أبين عقيدتنا في الأحاديث. يقول أحمد المسيح الموعود عليه السلام في كتابه (التعليم) ما تعريبه:

"إن الحديث ذريعة ثالثة للهداية لأن الأحاديث تقص علينا بالتفصيل شيئًا كثيرًا من الأمور الإسلامية مما يؤول إلى التاريخ والأخلاق والفقه، وعلاوة على ذلك فإن أكبر فائدة من الحديث هي كونه خادم القرآن وخادم السنة، ونحن لا نتفق مع الذين لم يُعطوْا حظًا من أدب القرآن وحرمته فيعتبرون الحديث حكمًا للقرآن كما اعتبر اليهود أحاديثهم حكمًا للتوراة، وإنما نرى الحديث خادمًا للقرآن والسنة ولا ينكر أن عظمة السيد إنما تزداد بوجود الخادم؛ إن القرآن قول الله وإن السنة فعل الرسول وإن الحديث شاهد مؤيد للسنة. ولعمري إن ذلك لخطأ قول الناس بأن الحديث حكم؛ ما شأن الحديث أن يكون للقرآن حكمًا وهو على ما هو عليه من المنـــزلة المظنونة! إن هو إلا شاهد مؤيد، لا غير .. وإن الحديث وإن كان أكثره في مرتبة الظن حقيق أن يتمسك به أيضًا بشرط أن لا يعارض القرآن والسنة. فإنه لا ريب يحتوي على ذخيرة من كثير من المسائل الإسلامية وإسقاطه عن نظر الاعتبار معناه بتر عضو من أعضاء الإسلام. بيد أنه إذا كان حديث يخالف صحيح البخاري فلا يجوز والحالة هذه أن يُقبل مثل ذلك الحديث، فإنه يلزم

من قبوله أن يُرفض القرآن وجميع الأحاديث التي توافق القرآن. واعلم أنه لن يجسر على مثله أحد من المتقين فيعتقد في حديث مغاير للقرآن والسنة ومناف للأحاديث التي هي مطابقة للقرآن..

ولكن إذا ما كان هناك حديث يعارض صريحًا بيّنات القرآن فعليكم أن تفكروا في تطبيقه فلعل التعارض كان من خطئكم، وهب أن التعارض لا يزول فانبذوا مثل هذا الحديث؛ فإنه ليس من رسول الله ﷺ. وإن كان الحديث على ضعفه يوافق القرآن فخذوه فإن القرآن مُصدِّقه. وإن كان هناك حديث يشتمل على نبأ الغيب وهو مما يستضعفه المحدثون ولكن قد تم النبأ على طبقه في عهدكم أو قبله، فاعتبروا هذا الحديث حقًا واعتبروا مخطئين هؤلاء المحدثين والرواة الذين يضعفون الحديث ويرونه موضوعًا.. أفليس مما يَجْمُل بزينة الإيمان في هذا الموقف أن أحدًا من الرواة أخطأ في تضعيف الحديث، أم ترون أنه يَجْمُل أن يقال إن الله أخطأ بأن صدَّق الحديث الموضوع؟ لذلك أوصيكم أن تعملوا بالحديث ولو كان من طبقة الأحاديث الضعيفة بشرط أن يوافق القرآن والسنة ولا يخالف الأحاديث الموافقة للقرآن، وخذوا حذركم كل الحذر فيما تعملون. ذلك لأن بيْن الأحاديث أيضًا شيئًا كثيرًا من الموضوعات التي ألقت في دار الإسلام فتنة عظمى حيث بات كل فريق له حديث يشايع عقيدته.. فلو أنهم اتخذوا القرآن حكمًا بينهم لكان أمكن أن تنور لهم السبيل".[٢]

[٢] التعليم صفحة ٧٩ – ٨١ تعريب السيد زين العابدين ولي الله شاه

هذه عقيدتنا في الأحاديث وهذا ما أوصى به رسول الله ﷺ أمته إذ قال: "تكثر لكم الأحاديث بعدي فإذا روي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق فاقبلوه وما خالف فردوه." [٣]

وفي حديث آخر: "اعرضوا حديثي على كتاب الله، فإن وافقَه فهو مني وأنا قلتُه". [٤]

فدل هذان الحديثان على أن كل حديث يخالف كتاب الله ليس بحديث للرسول عليه السلام.

واعلم أن أكثر الأحاديث الواردة في حق الدجال ونزول المسيح وعلامات ظهوره إنما هي كشوف ورؤى النبي ﷺ ليست بمحمولة على ظواهرها، وتوجد فيها روايات ضعيفة مجروحة بل بعضها موضوعة، نعم قد تحقق أكثرها من حيث التأويل وسيتحقق بعضها حسب سنة الله المستمرة في الأنباء الغيبية، ومن سنة الله تعالى أنه يخبر عن وقوع شيء على يد رجل خاص ويريد به أتباعه، كما قال رسول الله ﷺ: بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب، فبينا أنا نائم أوتيت مفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي قال أبو هريرة وقد ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلوها". [٥]

انظر كيف أريد من يد رسول الله ﷺ يد أتباعه رضي الله عنهم.

ولنذكر الآن علامات ظهور المسيح الموعود والمهدي المعهود عليه السلام.

---

[٣] التلويح والتوضيح ج٢ ص ٩

[٤] الفتح الكبير الجزء الأول صفحة ١٩٨

[٥] صحيح البخاري كتاب الجهاد باب قول النبي ﷺ نصرت بالرعب.

العلامة الأولى كسر الصليب

يظن عامة المسلمين بأن المسيح لما ينـــزل من السماء يأخذ السيف بيده ويقتل الناس ويطوف في البلدان والقرى. ويكسر صلبان الخشب والحديد، ويهدم الكنائس والأديرة ويهلك قسيسي النصارى ويدخل المسيحيين وأهل الملل الأخرى والأساقفة في الإسلام قهرًا وجبرًا، حتى لا يقبل من أحدهم الجزية.

اعلم أن هذه العقيدة مزرية بالإسلام وتناقض القرآن المجيد والتعليم الإسلامي، وأن أكبر اعتراض يورد من قبل المعترضين على الإسلام في أوروبا وأمريكة وغيرهما من البلاد هو أن الإسلام لم ينتشر بقوته القدسية بل بقوة السيف والجبر والإكراه، وأن المسلمين لا يملكون شيئًا من الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة لإثبات صدق الإسلام، ولكن الأمر الحق هو أن الإسلام بريء من هذه المعايب والتعاليم الوحشية وأن رسول الله ﷺ كان رحمة للعالمين وأنه رفع من الدنيا الجور والظلم وسفك الدماء التي كانت تهراق لاختلاف في العقائد، وأعلن الحرية الدينية لجميع الناس، قال الله تعالى في القرآن المجيد: ﴿وَقُلِ الْحَق مِنْ رَبكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف ٣٠). و﴿وَلَوْ شَاءَ رَبكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ الناسَ حَتى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس ١٠٠). و ﴿قُلْ يَا أَيهَا الناسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَل فَإِنمَا يَضِل عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (يونس ١٠٩). و ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدينِ قَدْ تَبَينَ

الرشْدُ مِنَ الْغَي فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة ٢٥٧).

إن هذه الآية كانت نزلت بعد مشروعية القتال وجاء في الحديث في شأن نزول هذه الآية ما يأتي: "فلما أُجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا لا ندع أبناءنا فأنزل الله تعالى لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي"[٦]، وقال تعالى: ﴿وقُلْ لِلذينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُميّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلوْا فَإِنمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران ٢١). ونزلت سورة آل عمران بعد الأنفال في السنة التاسعة من الهجرة حينما فتح المسلمون مكة والطائف وغيرهما، ومعلوم أنه قد كانت مضت سنوات على مشروعية القتال إلى ذلك الوقت. فتبيّن من هذه الآيات أن الإنسان حر في اختيار الدين الذي يتدين به وأن الإكراه ليس بجائز في الإسلام بل يخالف التعاليم الإسلامية فكيف يحل للمسيح أن يقتل كل من لا يؤمن به؟ ويجبر الناس على أن يدخلوا في الإسلام؟ ويهدم الكنائس ويكسر الصلبان ويبيد الأساقفة خلاف الشريعة؟ أليس هذا خلاف ما كان يوصي النبي ﷺ المجاهدين؟ "عن أنس أن رسول الله ﷺ قال انطلقوا بسم الله وعلى ملة رسول الله لا تقتلوا شيخًا ولا طفلاً صغيرًا ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا فإن الله يحب المحسنين"[٧].. و "لا تقتلوا أصحاب الصوامع".[٨]

---

[٦] سنن أبي داود كتاب الجهاد

[٧] مشكاة المصابيح كتاب الجهاد عن أبي داود

[٨] الطحاوي

وذُكر عن أبي بكر رضي الله عنه أنه كلما كان يرسل جيشًا كان يوصي أمير الجيش: "إني موصيك بعشر لا تقتلُنّ امرأة ولا صبيًا ولا كبيرًا هرمًا ولا تقطعُنّ شجرًا مثمرًا ولا تخربن عامرًا ولا تعقرن شاة ولا بعيرًا.. الحديث".[٩]

فالحق أن المراد من كسر الصليب كسر العقيدة الصليبية حق الكسر وإبطالها بقوة البراهين الصادقة، والحجج القطعية، لا كسر الصلبان المصنوعة من الفضة والذهب والنحاس والحديد والخشب، وفيه إشارة إلى أن المسيح الموعود عليه السلام يظهر عند غلبة النصارى وانتشار المسيحية في أكناف العالم كله، وعند وقوع هذه الداهية يكسر المسيح الموعود عليه السلام غلبتهم ويدق صليبهم بالأدلة النيرة والمرهفات القرآنية، وأسنة الأقلام. لا بالسيف والسنان والنبال، وهذا المعنى المذكور أيضًا مقبول عند العلماء السابقين فقد ورد: "يكسر الصليب قال في شرح السنة وغيره أي يبطل النصرانية ويحكم بالملة الحنيفية "[١٠].

و"يكسر الصليب وقيل معنى يكسر الصليب يبطل أمره من قولهم كسر حجته"١١. وقد تحققت هذه العلامة بكل وضوح إذ إن المسيح الموعود عليه السلام أثبت بالدلائل القطعية أن المسيح الناصري عليه السلام نجا من الموت الصليبي وعاش بعد واقعة الصليب إلى مائة وعشرين سنة، حتى أنه مات بموته الطبيعي، وما رفع إلى السماء بجسمه العنصري وما صار فدية لمعاصي الناس؛ فقد انهدم به الركن العظيم الذي قامت عليه النصرانية. يقول بولس رسول

---

[٩] موطأ الإمام مالك، كتاب الجهاد

[١٠] المرقاة شرح المشكاة ج٥ ص ٢٢١

[١١] شرح مسلم للسنوسي ج١ ص ٢٦٦

المسيحية: "أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس (أي الشريعة) لأن بالناموس معرفة الخطيئة لأن الناموس ينشئ غضبًا إذ حيث ليس ناموس ليس تعدي، وأن الجميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، المسيح افتدانا من لعنةٍ لأجلنا لأنه مات من أجل خطايانا. قد حررنا المسيح ... بنير عبودية لذلك فالبر والنجاة الآن لا بالناموس بل بالإيمان بالفداء الذي قدمه الله كفارة بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا"[١٢].

فهذا هو الأساس للديانة المسيحية، فلما أثبت المسيح الموعود عليه السلام أن المسيح الناصري لم يمت على الصليب بل هاجر إلى أرض أخرى وعاش بعد ذلك عمرًا طويلاً ومات حتف أنفه و لم يرفع إلى السماء حيًا، بطلت الكفارة وانكسر الصليب، كما يعترف بولس بنفسه قائلاً: "فكيف يقول قوم بينكم .. أن ليس المسيح قد قام. وإن لم يكن المسيح قد قام فباطله كرازتنا وباطل أيضًا إيمانكم"[١٣].

وخلاصة القول أن المسيح الموعود عليه السلام قد هدم بنيان المسيحية لأنه أثبت موت إلههم وكسر صليبهم وأبطل كفارتهم. ولقد أصبح المبشرون المسيحيون يهابون الجماعة الأحمدية حتى نشر القسيس زويمر الذي كان يُعَدّ من أكابر أركان الفئة التبشيرية المسيحية في مجلته "العالم الإسلامي" ما تعريبه: "يقول إيندل بأن أمر السنوسية آخذٌ في الضعف في أفريقا الغربية بعكس الجماعة الأحمدية التي تشتغل بهمة لا تعرف الكلل في هذه البقعة كلها.. ومركزها

---

[١٢] رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٢: ١٦ و ٣: ١٠-١٢ و ٥: ١ ورسالة بولس إلى رومية ٣: ٢٤-٢٥- ٣٠ و ٥: ٩

[١٣] رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥: ١٢- ١٣- ١٤

لاغوس. وأنه يتوقع خطرًا عظيمًا يهدد المسيحية بالحركة العظمى التي قام بها مسلمو الهند"١٤.

ثم كتب في مجلة أخرى تصدر بلندن بعد زيارته قاديان (المركز الرئيسي للجماعة الأحمدية) ما تعريبه: "زرنا قاديان وشاهدنا فيها ما يليق بالمشاهدة: المطبعة ومكتب البريد والجامعة التبشيرية ومدرسة البنات ومدرسة البنين وأقرب ما تنعت بها قاديان أنها خلية نحل كل من فيها منهمك في التبشير بالإسلام ونشره وإشاعته كل الانهماك. ولا تصدر فيها مجلة (نقد الأديان) فحسب، بل هناك جرائد أخرى أيضًا غيرها. أما المراسلات فهي دائرة بينها وبين لندن وباريس وبرلين وشيكاغو وسنغافورة ومع الشرق الأدنى كلها، ولا نغفل عن ذكر رفوف الكتب والصحف، فإن هذه الرفوف تنبئ عن المستقبل العظيم، وهناك مخازن أخرى مشحونة بالكتب الدينية ودوائر المعارف والموسوعات والقواميس وبالكتب المخالفة للدين المسيحي وما أصحّ وصفها بمخزن الأسلحة المعَدّ لجعل المستحيل ممكنًا، وإذا تطلعتم إلى اعتقادهم الراسخ في نفوسهم فإنكم لتجدون عزائم تدكّ الجبال دكًا وتنسفها نسفًا[١٥]". وقد تحقّق ما قال المسيح الموعود عليه السلام:

ووالله إني أَكسِرَنَّ صليبكم ... ولو مُزِّقتْ ذراتُ جسمي وأُكسَرُ
ووالله يأتي وقتُ فتحي ونصرتي ... ووالله إني فائز ومُعزَّرُ
ووالله يُثنَى في البلاد إمامُنا ... **إمامُ الأنام المصطفى المتخيَّرُ**[١٦]

---

١٤ The Muslim World

١٥ The church Missionary Review, London

١٦ كرامات الصادقين

مسألة الجهاد

رب معترض يعترض على المسيح الموعود عليه السلام بأنه قد نسخ الجهاد، ولكنه اعتراض باطل لأن المسيح الموعود عليه السلام لم ينسخ من أحكام الشريعة شيئًا بل كل ما قاله أو أمر به كان طبق أوامر الشريعة الغراء، وإنّ قوله هو القول الفصل الذي يطابق روح الدين الإسلامي؛ وقد وصفه النبي ﷺ بالحَكَم العَدْل، وإنّ تمسكه وتمسك جماعته بأوامر الشريعة قولا وفعلا لأكبرُ شهادة بأنه لم ينسخ شيئًا من الشريعة.

يقول أحمد المسيح الموعود عليه السلام: "لا شريعةَ بعده، ولا ناسخ لكتابه ووصيته، ولا مبدل لكلماته، ولا قطر كمُزْنته، ومن خرج مثقال ذرة من القرآن فقد خرج من الإيمان، ولن يفلح أحد حتى يتبع كل ما ثبت من نبينا المصطفى، ومن ترك مقدار ذرة من وصاياه فقد هوى"[١٧]. فكيف يقال بعد هذا أن المسيح الموعود عليه السلام نسخ الجهاد؟

لا شك أنه لم ينسخ الجهاد الذي أمر به القرآن المجيد بل فوق ذلك إنه لا يعتقد بالنسخ في القرآن مطلقًا، فإن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وأما الجهاد بمعنى القتال للدين، فقال أنه لا يجوز في هذا الزمان لوجود الحرية الدينية، أو لعدم وجود الشروط التي توجب القتال على المؤمنين، ولفظ الجهاد مشتق من الجُهد والجَهد أي الطاقة والاستطاعة والمشقة، يقال "جهد

[١٧] مواهب الرحمن صفحة ٦٨ من الطبعة الأولى.

في الأمر جد وتعب. وجهد به امتحنه، وأجهد الدابة: حملها فوق طاقتها وتجاهد واجتهد في الأمر: جد وبذل وسعه" (المنجد).

وقال الإمام راغب الأصفهاني. "الجهاد والمجاهدة: استفراغ الوسع في مدافعة العدو. والجهاد ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر ومجاهدة الشيطان ومجاهدة النفس. وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى:

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَ جِهَادِهِ﴾ (الحج ٧٩)

﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ (التوبة ٤١)

﴿إِنَّ الذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ (الأنفال ٧٣)

وقال ﷺ جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم. والمجاهدة تكون باليد واللسان قال ﷺ جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم.(المفردات في غريب القرآن صفحة ١٠٠)

أقسام الجهاد

يظهر من القرآن المجيد والأحاديث النبوية أن الجهاد ثلاثة أقسام (أ) الجهاد الأكبر (ب) والجهاد الكبير (ج) والجهاد الأصغر. قال النبي ﷺ "أفضل الجهاد مَن قال كلمة حق عند سلطان جائر". (مشكاة المصابيح صفحة ٣٢٢) و "أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر" (ابن ماجة، باب الأمر بالمعروف). وقد ورد في تفسير روح البيان "قال عليه السلام أن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر وإنما كانت أفضل لأن الجهاد بالحجة

والبرهان جهاد أكبر بخلاف الجهاد بالسيف والسنان فإنه جهاد أصغر". (ج١ صفحة ١٩٠). وفي حديث "عن عبد الله بن عمر قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال أَحَيٌّ والداك، قال نعم قال ففيهما فجاهد". (صحيح مسلم كتاب البر والصلة، وصحيح البخاري كتاب الجهاد). وفي حديث "أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه". (الفتح الكبير، الجزء الأول صفحة ٢٠٨). و"طلب الحلال جهاد" (الفتح الكبير الجزء الثاني صفحة ٢١٢). وأيضًا "ليس الجهاد أن يضرب رجل بسيفه في سبيل الله، إنما الجهاد من عال والديه وعال ولده فهو في جهاد. ومن عال نفسه فكفَّها عن الناس فهو في جهاد". (الفتح الكبير الجزء الثالث صفحة ٥٨).

وقال الله تعالى في القرآن المجيد: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُل قَرْيَةٍ نَذِيرًا، فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان ٥٢-٥٣). هاتان الآيتان المكيتان قد أمر الله فيهما بمجاهدة الكفار بالقرآن المجيد، والمراد هنا من الجهاد: التبليغ والدعوة إلى سبيل الله، والوعظ، والنصيحة، وهذا هو الجهاد الكبير. فبيَّن القرآن المجيد والأحاديث النبوية أن الجهاد باللسان، وببذل المال في سبيل الله وإماتة أهواء النفس، وبر الوالدين ومتابعة أوامر الشريعة الغراء، يسمى الجهاد الأكبر، وأما الجهاد بالسيف فيسمى الجهاد الأصغر. أما الجهاد الأكبر والجهاد الكبير فهما موجودان في كل وقت وزمان، ولكن للجهاد الأصغر عدة شروط، إذا وُجدت تلك الشروط وجب هذا الجهاد على المسلمين وإلا فلا.

متى يجب الجهاد بالسيف

إذا نظرنا إلى عهد النبي ﷺ وسيرته نجد أن النبي ﷺ وأصحابه، ما رفعوا السيف وما حاربوا أعداء الدين إلا بعدما أوذوا من أيدي الكفار أشد الإيذاء، حتى أن كل قبيلة أخذت تعذب كل من اعتنق منها الإسلام عذابًا شديدًا و"رأى الرسول ﷺ ما يُصنع بأصحابه وهو غير قادر على حمايتهم، فقال لهم لو خرجتم إلى الحبشة فإن بها ملكًا لا يُظلم عنده أحد، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه ففروا إلى الله" (محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية للخضري ج١ ص ١٠٦). ولما هاجر المسلمون إلى هذه الحكومة المسيحية أعطتهم الحرية الدينية كما قالت أم سلمة رضي الله عنها: "لَمّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ، جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ النّجَاشِيّ، أَمِنّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللّهَ تَعَالَى لا نُؤْذَى وَلا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ" (سيرة النبي ﷺ لابن هشام ج١ ص١٠٥). فلما بلغ ذلك قريشًا لم يتركوا هؤلاء الذين فارقوهم وتركوا بلدهم، بل تبعوهم وأرسلوا رجلين إلى النجاشي ليطلبا منه ردهم إلى مكة، فقال جعفر رضي الله عنه أمام النجاشي عن قريش "فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك. (ميزة النبي ﷺ لابن هشام ج١ ص٢٠٦ ومحاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الجزء الأول ص١٠٨). وكان زعماء قريش اجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا في أمر النبي ﷺ، فقال بعضهم احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابًا حتى يموت وقال بعضهم: أخرجوه من بين أظهركم. وأخيرًا اتفقوا على رأي أبي جهل "هو أن نختار من كل قبيلة

شابًا فتى جلدًا نسيبًا وسيطًا فينا ثم نعطي كل فتى منهم سيفًا صارمًا ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعًا فلم يقدر بنو مناف على حرب قومهم جميعًا، فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم، فكان رأيه هذا مقبولاً عند جميعهم واتفقوا عليه وعيَّنوا الفتيان والليلة التي ينفذون فيها ما أرادوا". (محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية للخضري ج١ ص ١١٩ وسيرة النبي ﷺ لابن هشام ج١ ص٢٨٩). ولما مكروا مكرهم هذا وهموا بقتل النبي ﷺ أخبر الله النبي ﷺ بكيدهم، وحفظه حينما أحاطوا بداره، وأمره بالهجرة فهاجر إلى المدينة، لكن مع ذلك ما امتنع الكفار عن ظلمهم وجورهم على المسلمين والرسول ﷺ، بل هاجموهم بالمدينة، وكثرت اعتداءاتهم بعد الهجرة، وأرادوا استئصال الدين الإسلامي بقوة السيف، فاشتعل غضب الله على الكفار ورأى قبح جفائهم وشدة اعتدائهم فنـــزل الوحي على رسوله، وأذن له بالدفاع بقوله: ﴿أُذنَ للذينَ يُقَاتَلُونَ بأَنَّهُمْ ظُلمُوا وَإنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهمْ لَقَديرٌ، الذينَ أُخْرِجُوا منْ ديَارِهمْ بغَيْرِ حَقٍّ إلا أَنْ يَقُولُوا رَبنَا اللهُ وَلَوْلا دَفْعُ الله الناسَ بَعْضَهُمْ ببَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامعُ وَبيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجدُ يُذْكَرُ فيهَا اسْمُ الله كَثيرًا وَلَيَنْصُرَنّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إن اللهَ لَقَوي عَزيزٌ، الذينَ إنْ مَكّنّاهُمْ في الأَرْضِ أَقَامُوا الصلاةَ وَآتَوُا الزكَاةَ وَأَمَرُوا بالْمَعْرُوف وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلله عَاقبَةُ الأُمُورِ﴾ (الحج ٤٠-٤٢).

فلم يكن قتال النبي ﷺ مع الكفار لأجل إدخالهم في الدين، بل للدفاع ولكفّ شرهم وأذاهم، وهذه أول آية نزلت في إذن القتال كما ورد في

السيرة لابن هشام "أذن الله عز وجل لرسوله ﷺ في القتال، والامتناع والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم، فكانت أول آية أنزلت في إذنه له في الحرب وإحلاله له الدماء والقتال لمن بغى عليهم، فيما بلغني عن عروة ابن الزبير وغيره من العلماء قول الله تبارك وتعالى: ﴿أُذنَ للذينَ يُقَاتَلُونَ بأَنهُمْ ظُلمُوا وَإن اللهَ عَلَى نَصْرهمْ لَقَديرٌ﴾. وقد بين الخضري في تاريخه أسباب مشروعية القتال فقال: "بيَّن الكتاب في مواضع منه السبب الذي من أجله أُذن للمؤمنين بالقتال؛ وذلك يرجع إلى أمرين (الأول) الدفاع عن النفس عند التعدي (الثاني) الدفاع عن الدعوة إذا وقف أحد في سبيلها بفتنة مَن آمن؛ أي باختباره بأنواع التعذيب حتى يرجع عما اختاره لنفسه دينًا، أو بصدٍّ من أراد الدخول في الإسلام عنه، أو بمنع الداعي من تبليغ دعوته" (محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ج١ ص١٣٣). وفي الموضع الثاني يقول الله تعالى في سورة البقرة وهي مَدَنيّة: ﴿وَقَاتلُوا في سَبيل الله الذينَ يُقَاتلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إن اللهَ لا يُحب الْمُعْتَدينَ، وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقفْتُمُوهُمْ وَأَخْرجُوهُمْ منْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفتْنَةُ أَشَدُّ منَ الْقَتْل وَلا تُقَاتلُوهُمْ عنْدَ الْمَسْجد الْحَرَام حَتى يُقَاتلُوكُمْ فيه فَإنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلكَ جَزَاءُ الْكَافرينَ، فَإن انْتَهَوْا فَإن اللهَ غَفُورٌ رَحيمٌ، وَقَاتلُوهُمْ حَتى لا تَكُونَ فتْنَةٌ وَيَكُونَ الدينُ لله فَإن انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إلا عَلَى الظالمينَ﴾ (البقرة ١٩١-١٩٤). هذه الآية تصرح بأن الله تعالى أمر أن يقاتلوا الذين يقاتلونهم وأخرجوهم من ديارهم وفتنوهم في دينهم بما فعلوا من الأذى والظلم، ولم يكن غاية هذا القتال إلا أن لا تكون فتنة ويكون الدين لله. ويكون الإنسان حرًا في دينه لا يتدين إلا لله لا خوفًا

ولا طمعًا، ولا يعتدي على أي شخص باعتناق دينه لأن الجبر والاعتداء على العقيدة وحرية الرأي أقبح شيء في العالم، وإلى هذا يشير حديث النبي ﷺ ولكن الناس ما فهموا معنى ذلك الحديث، يقول النبي ﷺ: "أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله" (صحيح مسلم ج ١ ص ٢٩ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله). معناه أن الله تعالى أمرني أن أقاتل الذين يقاتلونني في الدين، ويظلمون الناس الذين يدخلون في الإسلام حتى تحصل الحرية الدينية ويمتنع كل إنسان عن قتل غيره لمجرد الاختلاف الديني، وإذا أراد الناس أن يقولوا لا إله إلا الله لا يمنعهم مانع عن هذا الأمر، والمراد من الناس هم العرب الذين استحقوا القتل باعتداءاتهم المتوالية ونقضهم العهود والمواثيق، ومثلُ هؤلاء لا يقاتَلون طبعًا إذا اعتنقوا الإسلام وقالوا لا إله إلا الله، ويؤيد هذا المعنى ما روي عن جابر رضي الله عنه: "قال قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ثم قرأ إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر" (صحيح مسلم ج١ ص٣٠).

فالآية التي استشهد بها رسول الله ﷺ تؤيد ما قلنا في معنى الحديث الأول. وبهذا المعنى لا يخالف الحديث القرآن، وإلى هذا أشار الله تعالى في سورة الأنفال وسورة البقرة بقوله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدينُ كُلُّهُ لِلهِ﴾ (الأنفال ٤٠)، ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدينُ لِلهِ﴾ (البقرة ١٩٤)، وهو يدل على أن الغرض من القتال كان إيجاد الحرية في العقائد الدينية؛ كما روى الإمام البخاري في تفسير هاتين الآيتين: "إن رجلا

أتى ابن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن ما حملك على أن تحجّ عامًا وتعتمر عامًا وتترك الجهاد في سبيل الله عز وجل وقد علمت ما رغَّب الله فيه؟ قال يا ابن أخي بني الإسلام على خمس إيمان بالله ورسوله والصلوات الخمس وصيام رمضان وأداء الزكاة وحج البيت. قال يا أبا عبد الرحمن ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه.. ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا التِي تَبْغِي حَتى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ﴾ (الحجرات ١٠)، ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ (الأنفال ٤٠). قال: فعلْنا على عهد رسول الله ﷺ وكان الإسلام قليلا، فكان الرجل يُفتن في دينه إما قتلوه وإما يعذبوه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة" (صحيح البخاري كتاب التفسير.. تفسير سورة البقرة والأنفال).

وإن بقية آية البقرة تدل على هذا المعنى أيضًا وهي: ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلا عَلَى الظالِمِينَ﴾ (البقرة ١٩٤) وقال الله تعالى في سورة النساء المدنيَّة: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرجَالِ وَالنسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الذِينَ يَقُولُونَ رَبنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (النساء ٧٦). فبيَّنت هذه الآية سببين للحث على القتال، الأول إيجاد الحرية الدينية وإطفاء نار الفتنة في الدين، والثاني حماية المستضعفين من المسلمين الذين كانوا بمكة وحيل بينهم وبين الهجرة، فعذَّبتهم قريش وفتنوهم لأجل اعتناق الدين الإسلامي فقط حتى تضرعوا إلى الله تعالى طالبين منه الخلاص، فكان القتال ضروريًا لرفع أيدي الظالمين عنهم وتحريرهم من القاسطين الذين ما كانوا يعطوهم الحرية

الدينية في اعتقادهم، وقال الله تعالى عن قوم لا يريدون أن يقاتلوا المسلمين بل يعتزلون الفتن: ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلا﴾ (النساء ٩١). وقال عن الذين لا يعتزلون الفتنة ولا يلقون الصلح إلى المسلمين ولا يكفّون أيديهم عن أذى المؤمنين: ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدوا إِلَى الْفِتْنَة أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السلَمَ وَيَكُفّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ (النساء ٩٢). دلَّت هذه الآية على أن لا سبيل للمؤمنين على من اعتزل الفتنة وترك القتال وألقى الصلح إليهم، وقال الله عز وجل أيضًا: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنهُ هُوَ السمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنفال ٦٢)، وإذا كفَّ الأعداء عن القتال وألقَوا السلم فلا ينبغي للمسلمين أن يقاتلوهم. وقال في سورة التوبة المدنيَّة ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمةَ الْكُفْرِ إِنهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلهُمْ يَنْتَهُونَ، أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَولَ مَرةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَق أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة ١٢-١٣).

لقد بيَّنت هذه الآية بأن الله تعالى أمر المسلمين بقتال المعتدين الذين هم بدأوا القتال أول مرة وأيضًا نكثوا العهود والمواثيق، وأما الآية ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (التوبة ٥). فالمراد من المشركين هنا مشركو العرب الذين كانوا نقضوا العهود والمواثيق التي جاء ذكر نقضها في الآيات التي قبل هذه الآية، وأيضًا تؤيد هذا المفهوم الآية التي

بعدها وهي: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُم أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ، كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلا الذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِن اللهَ يُحِب الْمُتقِينَ﴾ (التوبة ٦-٧). وأما الآية: ﴿قَاتِلُوا الذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة ٢٩)، فالمراد منها من كانوا يبيحون سفك الدماء وأكل أموال الناس بالباطل بالنهب والسلب ويرتكبون كل جرم باسم الدين، وقد ذكر الله أحوالهم في آياتٍ شتى كما قال عنهم: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدهِ إِلَيْكَ إِلا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران ٧٦)، وذكر الله أيضًا السبب الحقيقي الذي منشؤه الدين لتحليلهم الجرائم كلها فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسنَا النارُ إِلا أَيامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (آل عمران ٢٥). والسبب الثاني أنهم كانوا اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله؛ فكل ما كان هؤلاء يأمرونهم به أن يعملوه كانوا يطيعونهم فكانوا يحلون لهم الحرام ويحرمون عليهم الحلال، لأن حالة أهل الكتاب هذه كما ذكر الله في قوله: ﴿يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الناسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالذِينَ يَكنِــزونَ الذهَبَ وَالْفِضةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة ٣٤).

وكانوا كعصاباتٍ مخلة بالأمن لا ينقادون لأحد ولا يطيعون الحكومة ولا يؤدون الجزية المفروضة عليهم لتنفقها الحكومة على مصالحهم وعلى أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، فكان قتالهم واجبًا على الحكومة لقمع فتنتهم، وكان قتالهم على الجزية كقتال المسلمين على امتناع أداء الزكاة بعد ذلك خروجًا عن طاعة الحكومة لا لأجل عدم اعتناقهم الدين الإسلامي، فظهر من هذا التفصيل أن القرآن المجيد يمنع من الجبر والإكراه في أمر الدين ويعلن أن القتال لم يشرع إلا دفاعًا عن أنفس المسلمين وتأمينًا للدعوة من أن تقف الفتنة في طريقها، وأن الإسلام يجنح إلى صلح من سالمه وينهى عن الاعتداء والظلم والجَور ويأمر بالعدل والإحسان إلى الذين لا يعتدون، يقول الله تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الذينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنّ اللهَ يُحِبّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الذينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظالِمُونَ﴾ (الممتحنة ٩-١٠).

فالحاصل أن الجهاد لا يكون فرضًا إلا إذا أُكره أحد على ترك دين أو اعتناق دين، وفي هذه الحالة يجب على كل من ابتلي بمثل هذه الفتنة أن يقاتل أعداء الله وأعداء دينه أو يهاجر من ذلك المقام إلى أرض أخرى توجد بها الحرية الدينية حسب قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ (النساء ٩٨).

مذهب المسيح الموعود عليه السلام
في الجهاد بالسيف

قد أجاب المسيح الموعود عليه السلام مرة على اعتراض قسيس على الإسلام بأنه يأمر أتباعه بقتل الكفار، واستعمال القوة والسيف لإدخال الناس في الإسلام بقوله: "وأما ما ذكر هذا الواشي قصةَ جهاد الإسلام، وتظنّى أن القرآن يحثّ على الجهاد مطلقا من غير شرط من الشرائط، فأيُّ زور وافتراء أكبرُ من ذلك إن كان أحد من المتدبرين؟ فليعلم أن القرآن لا يأمر بحرب أحد إلا بالذين يمنعون عباد الله أن يؤمنوا به ويدخلوا في دينه ويطيعوه في جميع أحكامه ويعبدوه كما أُمروا. والذين يقاتلون بغير الحق ويُخرجون المؤمنين من ديارهم وأوطانهم ويُدخلون الخَلق في دينهم جبرًا وقهرًا، ويريدون أن يطفئوا نور الإسلام ويصدّون الناس من أن يُسلِموا، أولئك الذين غضب الله عليهم ووجب على المؤمنين أن يحاربوهم إن لم ينتهوا." (نور الحق ج١ ص٤٦) وقال حضرته عليه السلام أيضًا في كتابه (سفينة نوح) ما تعريبه "يعترض علي بعض الجهلة كما قد اعترض علي صاحب المنار أيضًا ويقولون إني أسكن في المملكة البريطانية فلذا أمنع الجهاد، ألا يفكر هؤلاء الجهال أنني لو كنت مبتغيًا لمرضاة هذه الحكومة فما بالي أقول مرة بعد أخرى أن عيسى ابن مريم نجا من الصليب ومات في كشمير حتف أنفه؟ وأنه لم يكن إلها ولا ولد الإله، أفلا يَكرهني الإنكليز المتعصبون من أجل قولي ذلك؟ ألا اسمعوا أيها الجاهلون! لست متملقًا للحكومة البريطانية، وإنما الأمر الحق هو أن الحكومة التي لا تتصرف بشيء في دين الإسلام

والشعائر الدينية ولا هي تشهر السيف نشرًا لدينها، حرام مع مثلها القتال الديني في شريعة القرآن المجيد، وذلك لأنها هي أيضًا لا تتوسل بالجهاد الديني". (التعليم صفحة ٩٥).

قد ثبت من هذا البيان أن المسيح الموعود عليه السلام لم ينسخ الجهاد بل عكس ذلك أنه هو الذي بين حقيقة الجهاد وأفهمنا معاني تلك الآيات التي ذكر فيها الجهاد مصرحًا بأن لا نحارب باسم الدين مَن لا يحاربنا باسم الدين. وظاهر أن حرية القول موجودة اليوم في العالم. وقد فرض الله على المسلمين فرضًا أكبر من القتال، ومن أجله نزلت الشريعة، وهو الجهاد الكبير والأكبر وهو إصلاح النفس والتبشير الديني في أنحاء العالم والدعوة إلى الله تعالى، ولكن المسلمين أهملوهما اليوم سوى الأحمديين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

العلامة الثانية: وضع الجزية

اعلم أن العلماء والمشايخ يعتقدون بأن المسيح لا يقبل الجزية من الكفار بل يقطع عنق كل من لا يدين بدين الإسلام بالحربة التي ينـــزل بها من السماء. لكن هذه العقيدة باطلة وخلاف لما ورد في القرآن المجيد والأحاديث، كما مر آنفًا بأن الجبر ليس بجائز في الشريعة الإسلامية، وهذه العقيدة الخاطئة تدل أيضًا على أن المسيح لا يكون حكمًا عدلا، بل يأتي لينسخ جزءًا من القرآن المجيد أي الآيات التي ورد فيها حكم الصفح والعفو عن الكفار، وهي أزيد من مائة آية، وينسخ أيضًا قوله تعالى: ﴿حَتى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ

صَاغِرُونَ﴾(التوبة ٢٩). والحال هذه أن النبي ﷺ كان يقفو كل ما ورد في القرآن الكريم، وقد جاء في الأحاديث أمر الجزية "إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم، ثم ادعُهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرْهم أهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين..، فإن هم أبوا فسَلْهم الجزية، فإنْ هم أبوا فاستعنْ بالله وقاتِلْهم (صحيح مسلم: كتاب الجهاد).

و "عن أبي وائل قال كتب خالد بن الوليد إلى أهل فارس بسم الله الرحمن الرحيم. من خالد بن الوليد إلى رستم ومهران في ملأ فارس. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإنا ندعوكم إلى الإسلام، فإن أبيتم فأعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، فإن أبيتم فإن معي قومًا يحبون القتل في سبيل الله (مشكوة المصابيح ص٣٢٢).

فالمعنى الصحيح لوضع الجزية هو أن المسيح الموعود عليه السلام لا يكون ملكًا دنيويًا بل يأتي بالحكومة السماوية وبالحربة الروحانية، فلذلك لا يقبل الجزية من الناس بل يقبل الإيمان والإسلام فقط، ولا يأتي لسفك الدماء وقطع الأعناق. ويؤيد ما قلنا ما ورد في بعض نسخ صحيح البخاري ما نصه: "ويضع الحرب"[١٨].. أي أن المسيح الموعود يطفئ نار الحرب ولا يتجالد بالسيف والسنان، بل يُدخل الناس في الإسلام بالأمن والصلح، ويأتي في عهد

[١٨] صحيح البخاري المشكول المحشى برموز الرواة المطبوع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الجزء الرابع باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام وصحيح البخاري المطبوع بالمطبع المجتبائي دهلي الجزء الأول كتاب الأنبياء باب نزول ابن مريم.

حكومة تعطي الحرية الدينية، ولذلك لا يحتاج إلى الجدال والقتال الديني، وتلك الحكومة تؤمِّن الرعية، وتنتقم من الظالم، ولذا ورد في الحديث: "وَتُنْزَعُ حُمَةُ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ حَتَّى يُدْخِلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي فِي الْحَيَّةِ فَلا تَضُرَّهُ وَتُفِرَّ الْوَلِيدَةُ الأَسَدَ فَلا يَضُرُّهَا وَيَكُونَ الذِّئْبُ فِي الْغَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا".[١٩] وكل ذلك يشير إلى زمان الأمن والصلح. وإلا أية علاقة بين المسيح الموعود عليه السلام وبين الحيوانات؟ والظاهر أن مجيئه يكون للبشر لا للحيوانات، وفيه أيضًا إشارةٌ إلى أن في زمان المسيح الموعود عليه السلام يشرب الأسد مع الغنم والذئب مع الشاة من إناءٍ واحد ويلعب الإنسان بالأسود والذئاب والحيات على وجه الحقيقة. كما أنتم ترون اليوم في الملاهي. وأما ما ورد عن المسيح عليه السلام أنه يكون (حَكَمًا عَدْلاً) فمعناه أن المسيح الموعود عليه السلام يحكم بالدين الحنيف وأنه ينـــزع البدعات والخرافات الأخرى التي أدخلها الناس في الإسلام من عند أنفسهم، ويفصل بين الحق والباطل ويظهر الإسلام على الأديان كلها بالدلائل القاهرة والحجج الساطعة ويُسكِّت جميع معانديه ولا يستطيع أحد أن يقاومه.

وقد ورد عن الحَكَم في اللغة: "وقال الله عز وجل: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾، وإنما قال حَكَمًا ولم يقل حاكمًا تنبيهًا أن مِن شرط الحَكَمين أن يتوليا الحُكم عليهم ولهم حسبما يستصوبانه من غير مراجعة إليهم في تفصيل ذلك (المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ١٢٦).

---

[١٩] سنن ابن ماجة الجزء الثاني ص١٥

"عدلاً".. أي يكون فصله قطعيًا ولا يخطئ في الحكم. "والحُكْم: العلم والفقه والقضاء بالعدل، وهو مصدرُ حَكَمَ يحكُم. ويروى "إن من الشعر لحكمة" وهي بمعنى الحُكم، ومنه الحديث: "الصمتُ حُكمٌ وقليلٌ فاعلُه"، ومنه الحديث: "الخلافة في قريش والحُكم في الأنصار"، خَصَّهم بالحُكم لأن أكثر فقهاء الصحابة فيهم؛ منهم معاذ بن جبل وأُبَيّ بن كعب وزيد بن ثابت وغيرهم (النهاية لابن الأثير الجزء الأول صفحة ٢٤٦).

فثبت مما تقدم أن المسيح الموعود يكون عالمًا بالقرآن والأحاديث النبوية على وجه الكمال، ويكون حكمه صحيحًا ومطابقًا للشريعة الغراء.

العلامة الثالثة: قتل الخنزير

"يقتل الخنـــزير وفي رواية يذبح الخنـــزير" (سنن ابن ماجة)

ومن أغرب الغرائب قول أهل الظاهر في تفسير هذه الألفظ أن المسيح بن مريم يتتبع الخنازير في البراري والآجام ويقتنصها ويطارها ويقتلها شر قتلة، حتى لا توجد في الدنيا ليأكلها أحد. وظاهر أن حمل هذه الكلمات على الظاهر استهزاء بشأن النبوة واختقار لها، فكيف يجوز لنبيّ أن يضيع وقته سدى ويقتل الحيوان النجس ويقطع الفلولات والأحراش لذبح الخنازير.

أما المعنى الصحيح، فهو أن المراد من الخترير الرجل الدنيء الخبيث الذي يتشبه بالخترير في أفعاله وأخلاقه وشيمه، كما ورد في القرآن المجيد ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ (المائدة ٦١). وقد ذهب قوم إلى المعنى الذي نحن ذهبنا

إليه كما جاء في المفردات للأصفهاني: "قوله تعالى ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ قيل: عنى الحيوانَ المخصوصَ، وقيل: عنى مَن أخلاقُه وأفعالُه مشابهةٌ لأخلاقها، لا مَن خِلقتُه خلقتُها، والأمران مرادان بالآية.... وكذا أيضًا في الناس قومٌ إذا اعتبرت أخلاقُهم وُجدوا كالقردة والخنازير، وإن كانت صورُهم صُوَرَ الناس".

"الحمارُ الحيوان المعروف، وجمعه حمير وأحمرة وحُمُر، قال تعالى ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾. ويُعبَّر عن الجاهل بذلك؛ كقوله تعالى ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾، وقال: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾." (المفردات)

وقد ورد في كتب علم الرؤيا: "ومَن رأى أنه يقاتل خترير فإنه ينازع رجلا دنيئا لا خيرَ فيه." (كتاب الإشارات على هامش تعطير الأنام، الجزء الثاني صفحة ٢٩٨)

وكذلك رأى النبي ﷺ أن المسيح الموعود عليه السلام يقتل الخترير، ومعناها أن المسيح الموعود عليه السلام يباحث الرجل الذي لا خير فيه.

وأيضا: "الخترير رجل موسر فاسد الدين خبيث الكسب قذر ذو يدٍ كافرٌ أو نصراني شديد الشوكة دنيء" (منتخب الكلام في تفسير الأحلام على هامش تعطير الأنام، الجزء الأول، ص١٤٣). "خترير في المنام عدو ملعون قوي مكابد جزوع عند النوائب يقول ولا يفي بما يقول" (تعطير الأنام، الجزء الأول، ص١٩٨). "والخترير البري يدل على مطر وبرد شديد فيمن كان مسافرا أو من يسير في البحر. ويدل فيمن كانت له خصومة على أن عدوه رجل قوي ذو بأس جاهل قبيح الكلام". (تعطير الأنام، الجزء الأول،

ص١٩٨). "وربما يُعبّر الخترير برجل من اليهود أو النصارى. مَن رأى أنه يقاتل خترير فإنه يظفر بعدو ظالم". (تعطير الأنام، الجزء الأول، ص١٩٩)

فظهر من هذا أن المراد من قتل الخترير هو أن المسيح الموعود يناظر أعداء الإسلام ويباهلهم ويدعو عليهم ويهلكهم بدعائه.

العلامة الرابعة: يفيض المال حتى لا يقبله أحد

لو أخذنا هذه الكلمات من حيث الظاهر وقلنا إن المسيح الموعود يقسم الأموال بين الناس حتى لا يقبله أحد، كما ذهب إليه العلماء والمشايخ، وقلنا أن المسيح الموعود والمهدي المسعود لما يأتي يملأ بيوتنا بالمال والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، ويجعلنا أغنياء وموسرين، حتى نكتفي بالمال ولا نضطر إلى كسب العيش لكثرة النُضار واللُّجيْن، فيخالف ذلك صراحةً لما ورد في القرآن المجيد والحديث النبوي. يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرزْقَ لعبَاده لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنهُ بعبَاده خَبيرٌ بَصيرٌ﴾ (الشورى ٢٨)، ويقول: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَات لِيَتخذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيا﴾ (الزخرف ٣٣). فإذا جاء المسيح وقسم المال بغير العدّ والإحصاء حتى اكتفى الناس، فكيف يجري نظام العالم؟ إذ لا يبقى هناك من يحتاج إلى أحد، ومن المعلوم أن جميع الناس يحتاج بعضهم إلى بعض، الغني يحتاج إلى الفقير، والمعسر يحتاج إلى الموسر، الصانع يحتاج إلى الفلاح، والفلاح يحتاج إلى الصانع، الحداد يفتقر إلى الزارع،

والزارع يفتقر إلى الحداد، وهلُمَّ جرًا. وعلى هذا الأساس قد بُني نظام الدنيا، وإلى هذا أشار الله تعالى في الآيات المذكورة.

وقد جاء في الحديث الشريف أيضًا: "قال رسول الله ﷺ: لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديًا ثالثًا ولا يملأ فاه إلا التراب". وقال ﷺ: "لو كان لابن آدم واد من ذهب أحبَّ أن له واديًا آخر ولن يملأ فاه إلا التراب."

(صحيح مسلم، الجزء الأول، باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثًا)

فثبت من هذين الحديثين أن استدلال من خالفنا من العلماءِ مِن "يفيض المال حتى لا يقبله أحد" مخالفٌ لما قال النبي ﷺ أيضًا، فلذا لا تُحمَل هذه الكلمات على الظاهر.

وأما المعنى الحقيقي فهو أن المسيح الموعود يؤتى بخزائن معارف القرآن وحقائقه فيملأ بيوت المؤمنين بمال العلم والرشد والهداية، ويرد إليهم الغنى المفقود. ولكن الناس حينئذ يكونون منهمكين في دنياهم ومائلين إلى شهواتها، وملتهين بلذاتها، فلا يقبلون المال الذي يأتي به المسيح الموعود عليه السلام، فلذلك قال النبي ﷺ: "تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها (صحيح البخاري، الجزء الثاني، باب نزول عيسى بن مريم).

ألا يصْدُق قول النبي ﷺ هذا على الزمن الحاضر؟ كم من المسلمين يرغبون في الدين ويصلّون ويصومون ويراعون حدود الله تعالى؟ ومن ذا الذي يرثى للدين الحنيف؟ ولَنِعْمَ ما قال المسيح الموعود عليه السلام:

أرى كلَّ محجوب لدنياه باكيًا ... فمَن ذا الذي يبكي لدِينٍ يُحَقَّرُ؟

ولِلدِّين أطلالٌ أراهـا كلاهف ... ودمعي بذكـر قصـوره يَتحدّرُ

وعندي دُموعٌ قد طَلَعْنَ المَآقيا وعندي صُراخٌ لا يــراهُ الْمُكَفِّرُ

(الخطبة الإلهامية)

هذا، وقد ورد في حديث مسلم: "ولَيدعُوَنَّ إلى المال فلا يقبله أحد" (باب بيان نزول عيسى حاكما بشريعة محمد ﷺ)، ومعناه أن المسيح الموعود يدعو الناس إلى المال فلا يستطيع أحد أن يأخذ ذلك المال، أي أنه يدفع جوائز للناس ويفحمهم بالدلائل والبراهين ويتحداهم بأن يكتبوا الرد على دلائله وكتبه، فلا يقدر أحد أن ينقض تحدّيه ويأخذ ذلك المال. وإن سيدنا أحمد المسيح الموعود عليه السلام تحدّى جميعَ المِلل والفرق وأنه أظهر الدين الإسلامي على الأديان كلها بالحجج القاهرة والدلائل الساطعة، وألّف عليه السلام كتابًا سماه "البراهين الأحمدية على حقّيّة كتاب الله القرآن والنبوة المحمدية"، وجعَل جائزة قدرها عشرة آلاف روبية لمن يأتي بمثل هذا الكتاب وتحدّى جميعَ أهل الأديان، فما كان لأحد أن ينقض هذا التحدي ويأخذ المال، وكذلك تحدى العلماءَ والمشايخ في كثير من الكتب، وأعلن لهم جوائز تُقدَّر بالمئات والألوف، ودعاهم إلى المال الكثير، فما استطاع أحد أن يقبله. وما أحسنَ ما قال المسيح الموعود عليه السلام في هذا الباب:

"تعالوا جميعًا وانْحِتوا أقلامَــــكم وأَمْلُوا كمِثلي أو ذَرُوني وخَيِّرُوا

وإني أخذتُ العلمَ مِن منبع الهدى وأجرَى عيــوني فضلُــه المتكثّرُ

وأُعطيت مِن ربي علومًا صحيحة وأعلَــــمُ ما لا تعلــمون وأُعثَرُ

(القصيدة الإعجازية، إعجاز أحمدي (ضميمة كتاب "نزول المسيح")، الخزائن الروحانية المجلد ١٩)

العلامة الخامسة: هلاك الملل

"يُهلِكُ اللهُ في زمانه المِللَ كلَّها إلا الإسلام" (سنن أبي داود)

لا يجوز حمل هذا الحديث أيضًا على معناه الظاهري، لأنه مخالف لما ورد في القرآن المجيد: ﴿وَجَاعِلُ الذينَ اتبَعُوكَ فَوْقَ الذينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران ٥٦)، والآية ﴿ولا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلا مَنْ رَحِمَ رَبكَ﴾ (هود ١١٩-١٢٠). فكيف يدخل جميع الناس في الإسلام وكيف تفنى الملل كلها، والحال أن الآيتين تدلان على أن الكفار والمؤمنين يبقون إلى يوم القيامة. فالمراد من هلاك الأمم هلاكهم بالبينة، ولا شك أنه من هلك عن البينة فقد هلك؛ ومَن أتمَّ الحجةَ على أحد فقد أهلكَه، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَينَةٍ﴾ (الأنفال ٤٣).

ألا ترون أن النبي ﷺ قال: "أنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر" (صحيح البخاري، تفسير سورة الصف)، وجاء في القرآن الكريم: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَق وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء ٨٢)، وما هلكت المللُ الباطلة كلها من حيث الظاهر في زمانه ﷺ، بل معناه أنها هلكتْ من حيث البينة أمام تعليم القرآن المجيد، وصارت في عداد الموتى. وهكذا يحصل في زمان المسيح الموعود.

العلامة السادسة: خروج النار

"قال النبي ﷺ أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب" (صحيح البخاري: كتاب الفتن)

اعلم أن المراد من النار، نار الفتن التي جاءت من المغرب وأحرقت أثواب التقوى، فانظروا إلى فتن العلوم المغربية كيف تحشر الأحداث إلى المغرب؟ والذين سمّوا أنفسهم مسلمين أكثرهم أمام ربهم يفسقون، ويشربون الخمر ويزنون، ويظلمون الناس وفي الشهادات يكذبون. وارتدعوا عن الطاعات ولا يرفعون يدا إلى الصدقات، وإلى المنكرات هم باسطون. تركوا شِعار الملّة الإسلامية، ومحوا آثار السنن النبويّة. يحلّقون اللُّحى، ويطوّلون الشوارب، ويحبّون شِعار النصارى وسيرتهم وإليها يميلون. وتجدهم يرغبون في حُللهم وقمصانهم وقلانسهم وطرازٍ معيشتهم وجميع خصالهم، وعلى مَن خالفها يضحكون. ويتزوجون نساءً من قومهم وعليهن يعشقون. ومنهم قوم مالوا إلى الفلسفة التي أشاعوها وفي أمر الدين يتساهلون. وكم من كَلِمٍ تخرج من أفواههم ويحقرون دين الله ولا يُبالون. وهذه الآفات كلها نزلت عليهم بعدما نزلت علوم المغرب في قلوبهم وحرية التنصّر في بلادهم فهم إليهم يُحشرون. وهذا هو النبأ مدلوله الظاهر ولا تعرضوا عما تشاهدون. واعلموا أن لكلمات رسول الله ﷺ شأنًا أرفع وأعلى ولا يفهمها إلا الذين رزقهم الله رزقًا حسنًا من المعارف فهم على بصيرة من ربهم وبها يتوسمون. وما يُلقّاها إلا ذو حظ عظيم.

العلامة السابعة: نار من أرض الحجاز

"أخبرني أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز" (صحيح البخاري كتاب الفتن).
قد تحقق هذا النبأ بعد ستمائة سنة، كما جاء على حاشية مشكاة المصابيح في باب الملاحم: "قد تواتر أنه خرج سنة أربع وخمسين وستمائة نار من الحجاز وقريب من المدينة".

العلامة الثامنة: طلوع الشمس من المغرب

"أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها. فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون. فيومئذ لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا" (صحيح مسلم: الجزء الأول باب بيان الزمن الذي لا يُقبل فيه الإيمان).
لا ينخدعنّ أحد من هذا الحديث أن الشمس في الظاهر تطلع من المغرب، لأن هذا الرأي مخالف للقرآن صراحة ويناقضه، يقول الله تعالى: ﴿فَإِن اللهَ يَأْتِي بِالشمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ﴾ (البقرة ٢٥٩) و﴿لا الشمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ولا الليْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ (يس ٤١)، فهل تتبدل الحركة الأرضية أو ينقل المشرق إلى المغرب والمغرب إلى المشرق خلاف سنة الله المستمرة؟ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنة اللهِ تَبْدِيلا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَةِ اللهِ تَحْوِيلا﴾ (فاطر ٤٤)، فالمعنى الصحيح الذي لا يخالف القرآن أن الله تعالى

ينوّر البلاد الغربية بشمس الصدق ويهدي الله الغارقين في الضلالة والكفر والظلمة منذ أمد بعيد إلى الإسلام فكأنما شمس الإسلام تطلع من مغربها.

وأما ما ورد "فيومئذ لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا"، فمعناه أنه إذا دخل أهل الغرب في الإسلام أفواجًا بعد أفواج وطلعت شمس الإسلام تمامًا على الديار الغربية، فيحرم عن الإسلام أولئك الذين تكون فطرتهم مخالفة للإسلام ولا يريدون أن يدخلوا في الإسلام، فينسد عليهم باب التوبة، ولا تقبل توبتهم. وليس المراد منه أنهم يتوبون ويخضعون ويخشعون ولكن الله لا يقبل توبتهم. لأن هذا لبعيد عن الله تعالى، إنه رؤوف رحيم يقبل التوبة عن عباده ويغفر السيئات.

والحق أن قلوبهم ستصير قاسية وأنهم لا يوفقون للتوبة، وهؤلاء هم الأشرار الذين تقوم الساعة عليهم، وقد طلعت شمس الهداية والصدق بمجيء المسيح الموعود عليه السلام من مغربها لأن كثيرًا من الأوروبيين قد دخلوا في الإسلام بواسطة الجماعة الأحمدية، وأُرسل كثير من المبشرين من قبل الجماعة الأحمدية إلى البلاد الغربية، الذين يدعوهم إلى الإسلام الحقيقي، حتى تذكر المجلة المصرية (نور الإسلام) التي كانت تصدرها مشيخة الأزهر ما نصه:

"وفي لندرة مجلة نقد الأديان The Review of religions وهي لسان حال القاديانية في لندرة، ويصدرها باللغة الإنجليزية منذ سنة ١٩٠٢م الأستاذ ع، ر، درد المبشر الأحمدي (المجلد ٢ الجزء ٦).

و "الولايات المتحدة وبها مسجد أحمدي في المشيغان" (المجلد ٢ الجزء ٣).

والآن صار لنا مراكز كثيرة للتبشير الإسلامي في الديار الغربية، كأمريكا وإنكلترا وألمانيا وإسبانيا وسويسرا وفرنسا وبلجيكا وهولاندا وإسكندينافية وأفريقية الغربية والشرقية والوسطى والجنوبية وغيرها من الديار. والناس يدخلون يومًا فيومًا في الإسلام، ويصلّون على النبي ﷺ ويعبدون الله الواحد الأحد بعدما كانوا يعبدون المسيح ويتخذونه إلها من دون الله.

العلامة التاسعة: الدخان

والمراد من الدخان القحط العظيم الشديد، وقد وقع أيضًا في زمن النبي ﷺ وامتد إلى سبع سنوات، وإليه تشير الآية الكريمة: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ، يَغْشَى النّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الدخان ١١-١٢). وفي الحديث: "قال عبد الله إنما كان هذا لأن قريشًا لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف. فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ، يَغْشَى الناسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾" (صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة حم الدخان).

فكما أن هذا القحط ظهر في وقت النبي ﷺ، هكذا أُنبئ بحدوثه في آخر الزمان عند بعثة المسيح الموعود عليه السلام. وقد ظهر القحط في زماننا هذا من وجهين بكمال الإيضاح من حيث الجسم والروح معًا، أما القحط الجسماني فقد وقع بهذه الشدة بأن الإنسان إذا نظر إلى تسعين سنة قبل اليوم، فيعلم أن المأكولات ما كانت غالية كما هي الآن، ولا تغضوا النظر

عما حصل في الحرب الكبرى، وأما القحط الروحاني فظاهر بين، فانظروا كيف ظهر قحط الصدق والأمانة وخرجت خشية الله تعالى من قلوب الناس وما بقى خوف الله في زاوية من زوايا القلوب. وقد اكتملت في هذا الزمن دائرة الفسوق والفحشاء والشرك والعدوان، وما ترك الناس صغيرة ولا كبيرة من الذنوب إلا ارتكبوها، فما أصبرهم على النيران! يستحسنون السيئات ويستحلّون مرًّا، ويأكلون سم العصيان، وكثر رعاع الناس وقل شرفاؤهم من أهل التقى والإيمان وانتشرت العلوم المضلّة والفنون المظلمة كالدخان، وحجبت الفلسفة الباطلة عقول الناس، واحتجبت شمس الصدق، فأراد الله أن يحق الحق ويبطل الباطل ويزيل الفلسفة الفاسدة بالفلسفة الحقة السماوية القرآنية، فبعث المسيح الموعود عليه السلام لإزهاق هذه الفتنة الصمّاء وقمع المفسدة العمياء.

العلامة العاشرة: خروج دابة الأرض

هذا الكلام أيضًا من قبيل الاستعارة ولا يدل على مدلوله الظاهر. وقد اختلفت الآثار[٢٠] في تبيينها، وتعيينها ولم تتفق على شيءٍ واحد، حتى أن

[٢٠] **الحاشية** في ذكر بعض الآثار والأحاديث المتعلقة بدابة الأرض:

١- قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابةً منَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾. قال كثيرٌ من أهل العلم بالأخبار أنها ذات وبرٍ وريشٍ وزغب، فيها من كل لون، ولها أربع قوائم رأسها رأس ثور وآذانها آذان فيل، وقرونها قرون أيل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، وقوائمها قوائم بعير، ومعها عصا موسى وخاتم سليمان، وترفع الأسماء فلا يعرف أحدٌ باسمه، وهي تجلو وجه المؤمن بالعصا فيبيض وتختم على أنف الكافر فيفشو السواد فيه فيقالُ يا مؤمن يا كافر.

بعض الصحابة زعم أن دابة الأرض علي رضي الله عنه، والحال أن عليًا رضي الله عنه أنكر كونه دابة الأرض وسخط على الرجل الذي قال عنه أنه دابة الأرض، كما ورد "عن عاصم بن حبيب بن أصبهان، قال سمعت عليًا على المنبر يقول إن دابة الأرض تأكل بفيها تحدث من أستها، فقال له رجلٌ أشهد أنك تلك الدابة فقال له علي قولاً شديدًا (كنـــز العمال: الجزء السادس صفحة ٢٦٩). قال بعض الصحابة إن دابة الأرض هي حيوانٌ لها عنقٌ طويلة يراها المغربي كما يراها المشرقي. وإنها ذات وبرٍ وريش وزغب، وفيها من كل لون، ولها أربع قوائم، وتشبه عدةً من الحيوانات: رأسها رأس

٢- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: هي الدابة التي أخبر تميمٌ الداري عنها. وعن الحسن أنه قال: سأل موسى ربه أن يريه الدابة فخرجت ثلاثة أيام و لم يدر أي طرفٍ خرج، فقال موسى يا ربّ ردّ هذا المتاع النفيس إلى مكانه لا حاجة لنا فيه. ويقال أنها تخرج بأجنادين عقب الحاج تسير بالنهار وتقف بالليل يراها كل قائمٍ وقاعدٍ، وأنها لتدخل المسجد وقد عاذ به المنافقون فتقول أترون المسجد ينجيكم مني هلاّ كان هذا بالأمس؟ والله أعلم. (خريدة العجائب صفحة ٢٠٥)

٣- قيل أنها دابةٌ طولها ستون ذراعًا ذات قوائم ووبر، وقيل هي مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات ينصدع جبل الصفا فتخرج منه ليلة جمع والناس سائرون إلى المنى. وقيل من أرض الطائف ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام لا يدركها طالبٌ ولا يعجزها هارب تضرب المؤمن بالعصا وتكتب في وجهه مؤمنٌ وتطبع الكافر بالخاتم وتكتب في وجهه كافر. (النهاية لابن الأثير)

"بئس الشِعْب جيادٌ[⊙]، تخرج الدابة فتصرخ فيسمعها مَن بين الخافقين" (كنـــز العمال مجلد السابع صفحة ٢٠٤)

٤- حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال ذهب بي رسول الله إلى موضعٍ بالنادية قريب من مكة فإذا أرضٌ يابسة حولها رملٌ، فقال رسول الله: تخرج الدابة من هذا الموضع. (سنن ابن ماجة، الجزء الثاني صفحة ٥٠٤)

٥- أخرجنا لهم دابةً من الأرض تكلّمهم.. أي تكلّم الموجودين حين خروجها بالعربية تقول لهم من جملة كلامها عنّا. (تفسير الجلالين، تفسير سورة النمل)

[⊙] جياد هو جبل بمكة (لسان العرب)

ثور، وآذانها آذان فيل، وقرونها قرون أيل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، وقوائمها قوائم بعير، وقيل أنها حيوانٌ طويل القامة، رأسه يبلغ السماء ويمسها، و لم يخرج رجلاه من الأرض. وجاء في بعض الأحاديث أنها تخرج ويكون معها عصا موسى وخاتم سليمان بن داود وينادى بأعلى صوت أن الناس كانوا بآياتنا غافلين، وتَسِم المؤمن والكافر، أما المؤمن فيبرق وجهه بعد الوسم كالكوكب الدرّيّ وتكتب الدابة ما بين عينيه لفظ المؤمن. وأما الكافر فتكتب ما بين عينيه لفظ الكافر كنقطة سوداء. وجاء في رواية أن لها صوتًا عاليًا يسمعها كل من هو في الخافقين.

ويقال أنها تخرج من أرض الطائف، وجاء في بعض الأحاديث أنها تخرج من مكة. وقال بعض الناس أنها خرجت في زمن موسى عليه السلام. وبعض الأحاديث يدل على أنها امرأة كافرة خادمة للشيطان وجساسة للدجال التي أخبر عنها تميم الداري، وقال البعض أنها تكلم الناس بلسان عربي مبين.

هذا ما ورد عن دابة الأرض في كتب الأحاديث من اختلافات وتناقضاتٍ فلا يمكن التوفيق بين هذه الأحاديث، فالحق أن المراد من دابة الأرض هم علماء السوء[٢١] الذين يشهدون بأقواهم أن الرسول حق والقرآن حق ثم

[٢١] "قال قائل: لو كان هذا هو الحق أن دابة الأرض هي طائفة علماء هذا الزمان فيلزم أن يكون تكفيرهم حقًّا وصدقًا، فإن من شأن دابة الأرض أنها تسم المؤمن والكافر، فمن جعلته الدابة كافرًا (يشير المعترض إلينا)، فعليكم أن تقرّوا بكفره، فإن التكفير بمنزلة الوسم من دابة الأرض.

فيقال في جواب هذا المعترض أن المراد من الوسم إظهار كفر كافرٍ وإيمان مؤمنٍ فهذا الإظهار على نوعين، قد يكون بالأقوال وقد يكون بالأفعال ونتائجها. وقد جرت سنة الله أنه قد يجعل الكافرين والفاسقين علةً موجبةً لظهور أنوار إيمان أنبيائه وأوليائه. ألا ترى إلى سيدنا ونبينا محمد المصطفى ﷺ كيف كانت عداوة أبي جهل وأمثاله موجبةً لإنارة صدقه وضياء إيمانه؟ ولو لم يكن أبو جهل وإخوانه

يعملون الخبائث ويبيحون الحرام ويتبعون الدجال كأن وجودهم متكون من جزئين: جزء من الإسلام وجزء مع الكفر، أقوالهم كأقوال المؤمنين وأفعالهم كأفعال الكافرين. فأخبر رسول الله ﷺ أنهم يكثرون في آخر الزمان، وسُمُّوا دابة الأرض لأنهم أخلدوا إلى الأرض، وما أرادوا أن يُرفعوا إلى السماء، واطمأنوا بالدنيا وشهواتها، وما بقي لهم قلب كالإنسان، واجتمعت فيهم عادات السباع والخنازير والكلاب. تراهم مستكبرين متبخترين كأنهم بلغوا السماء ومسّوها، ولم تخرج أرجلهم من الأرض من شدة انتكاسهم إلى الدنيا، فهم كالذي شُدِّدَ أَسْرُه وكالمسجونين. يكلّمون الناس من الإست لا من الأفواه، يعني ولا تجد في كلماتهم طهارة وبركة واستقامة ونورانية ككلمات الصالحين.

وقد ورد في المفردات أيضًا: "وقوله ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾، فقد قيل إنها حيوانٌ بخلاف ما نعرفه يختص خروجه

من المعادين لبقي كثيرٌ من أنوار الصدق المحمدي في مكمن الاختفاء، فإذا أراد الله أن يظهر صدق نبيه ﷺ بين الناس جعل له الحاسدين المعادين في الأرض كأبي جهل وشياطين آخرين، فمكروا كل المكر وآذوا كل الإيذاء وسعوا لإطفاء أنوارٍ نزلت من السماء فعجزوا عن ذلك وجاء الحق وزهق الباطل وظهر أمر الله ولو كانوا كارهين، فجاز أن يقال أن أبا جهلٍ وأمثاله كانوا سببًا لظهور صدق المصطفى وإيمانه الطيب وأنواره العليا فكذلك نقول إن دابة الأرض التي هي خادمةٌ للشيطان أعني التي تتكلم بالإست لا بالفم كالصالحين من نوع الإنسان هي تسم المؤمن بمعنى أنها تظهر أنوار إيمانه كما أظهر أبو جهلٍ أنوار إيمان خاتم النبيين. فتفكر ولا تكن كالمعتوه والمجانين. (من كلام المسيح الموعود عليه السلام، منقولاً عن كتابه حمامة البشرى إلى أهل مكة وصلحاء أم القرى).

بحين القيامة، وقيل عُني بها الأشرار الذين هم في الجهل بمنـــزلة الدواب. فتكون الدابة جمعًا اسمًا لكل شيءٍ يدبّ".

وكذلك قال الله تعالى: ﴿إِن شَر الدوَابّ عِندَ الله الصمّ الْبُكْمُ الذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾(سورة الأنفال)، و ﴿إِن شَر الدوَابّ عِندَ اللهِ الذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾(سورة الأنفال).

والمعنى الثاني: يقول الله تعالى ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابةً منَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَن الناس كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾(سورة النمل) أنه متى تمّت الحجة على المنكرين ببعث مرسلٍ من عند الله وبلغتهم دعوته وكذّبوه فالله يعذّبهم بدابّة الأرض وهي تجرحهم (تكلّمهم: تجرحهم)، لأن الناس كانوا بآيات الله لا يوقنون. وهذه الدابة المذكورة في آية القرآن المجيد قد ظهرت لأن الناس كذبوا أحمد المسيح الموعود عليه السلام ولم يوقنوا بآيات الله، ففشا فيهم وباء الطاعون كعذاب من عند الله حسبما تنبأ حضرته: "وهناك خطب آخر عظيم حملني على ذكره ما يجيش بصدري من عاطفة الرحمة، وإني لأعلم أنه سيسخر منه ويستهزئ به من لا خلاق له من الروحانية، بيد أن الواجب يقضي علي أن أعلنه شفقة على بني الإنسان، وذلك أنني اليوم - يوم الأحد الذي هو السادس من الشهر فبراير سنة ١٨٩٨ العيسوية - رأيت ملائكة الله تغرس في بقاع عديدة من بنجاب أغراسًا سوداء دميمة الأشكال قصيرة القامات منظرها مريعٌ مكربٌ للغاية. سألت بعض الغارسين ما هذه الأشجار؟ فقال أنها أشجار الطاعون الذي عن قريب يتفشى في هذه البلاد، وقبل هذه الرؤيا أوحي إلي عن الطاعون وقيل لي: إن الله لا يغير ما بقومٍ

حتى يغيروا ما بأنفسهم". (تعريب النشرة المطبوعة في ٦ فبراير ١٨٩٨)، وكان آيةً من آيات الله؛ والذي له إلمامٌ بعلم الطب وتحقيقات الأمراض يعلم أن للطاعون جراثيم تنتقل إلى الدم بواسطة قرص البعوض وغيرها وتسبب الوفاة.

ونبأ وقوع الطاعون في زمن المسيح المهدي، ورد في رواية أبي هريرة المذكورة في مشكاة المصابيح قال: "قال رسول الله ﷺ على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال (متفقٌ عليه). قال الشارح: الظاهر وقوعه في آخر الزمان.

وأيضًا ذكر صاحب مشكاة المصابيح رواية أخرى بمعناها في باب أشراط الساعة يقول "فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحد" (مشكاة المصابيح صفحة ٤٨٤ وصحيح مسلم باب ذكر الدجال).

وقد يستغرب بعض السذج من تفسيرنا المذكور عن دابة الأرض فنقول لهم أن رئيس تحرير مجلة نور الإسلام (لسان الأزهر) سابقًا قَبِل هذا التفسير بشيءٍ من التأويل. فقال العلامة محمد فريد وجدي بعد تفنيد الروايات الواردة في دابة الأرض ما لفظه: "وأحسن ما نراه في تفسير هذه الآية أن معنى تكلمهم تجرحهم لأن الكلم بمعنى الجرح فيكون معنى الآية الكريمة: وإذا وقع القول على المكذبين من الناس أخرجنا لهم حيوانًا من الأرض يجرحهم، فلا مانع أن يكون هذا الحيوان من نوع الحشرات الموجودة الآن ويكثر في المستقبل لأي سبب من الأسباب، فيكون هجومها على الناس على ضعفها

وصغر حجمها وتحميلهم الأذى الكبير وعجزهم عن مقاومتها مع ما أوتوه من بسطة العلم والحيلة آيةً من آيات الله. هذا ما يثلج عليه الصدر. والله أعلم". (دائرة المعارف للقرن العشرين المجلد الرابع صفحة ١٤).

العلامة الحادية عشرة: بين مهزودتين

"فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ ... بَيْنَ مَهْزُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلا مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ". (صحيح مسلم باب ذكر الدجال وصفته).

اعلم أننا أثبتنا قبل ذلك بالبراهين القطعية أن المسيح الناصري قد مات، وأنه لم يرفع إلى السماء بالجسد المادي وأن المراد من النـزول مجيء رجل آخر من الأمة المحمدية الذي ينـزل منـزلة المسيح وينال مقام المسيح ويكون مثله في ظهوره عند الحاجة الماسة، ولن يأتي المسيح الناصري عليه السلام بنفسه أبدًا. فالمراد من هذا الحديث هو أن المسيح الموعود عليه السلام لا يأتي بشيء من الأرض من سيف أو سهم أو رمح بل يأتي بالأسلحة السماوية التي لا دخل فيها لأيدي الإنسان، وينـزل الأمر من السماء من غير تدبير المدبرين، ويؤيَّد بآيات السماء وبركاتها كأنه ينـزل من السماء واضعًا يديه على أجنحة الملائكة لا على أجنحة حيل الدنيا والتدابير الإنسانية ويكون منصورًا من حضرة الكبرياء، ويتم الحجة على المعاندين بالآيات الباهرة ويدحض حججهم. وقد ورد في تعطير الأنام: "وإن رأى أن الملائكة قد

هبطت من السماء إلى الأرض كان ذلك وهنًا للمبطلين ونصرة للمحقين" (الجزء الثاني ص٢٢٢). وليس المقصود منه أن الناس ينظرون المسيح نازلاً من السماء رأْي العين، لأنه استعمل لفظ رجلين في البخاري مكان ملكين (راجع صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب واذكر في الكتاب مريم).

وجاء في حديث آخر "إن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم" (سنن ابن ماجة: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم). وهل رأى أحد من الناس أن الملائكة تظلل بأجنحتها على الطلاب حسب الظاهر؟

وأما ما يتوهم العلماء والمشايخ بأن المسيح ينـــزل من السماء واضعًا يديه على جناحي ملكين فلا يطابق القرآن المجيد أيضًا، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرسُولِ يَأْكُلُ الطعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾(سورة الفرقان). ويقول عز وجل اسمه: ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الذينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاء اللهُ لَأَنزَلَ مَلائِكَةً ما سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ﴾(سورة المؤمنون). ويقول تعالى: ﴿فَلَعَلكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنـــزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (سورة هود). ويقول الله عز وجل: ﴿وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لقُضِيَ الأَمْرُ ثُم لاَ يُنظَرُونَ، وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم ما يَلْبِسُونَ﴾(سورة الأنعام). ثم يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا محْجُورًا﴾(سورة الفرقان).

فيظهر من هذه الآيات أن نزول المسيح واضعًا يديه على أجنحة الملائكة من حيث الظاهر يخالف قول الله تعالى، فلا بد من تأويل هذا الحديث، وليس تأويله إلا نزول الملائكة دون أن يراهم أحد لتأييد المسيح وتثبيت قلوب المؤمنين به، وقد نزلت الملائكة بهذه الصورة في زمن النبي ﷺ أيضًا كما نطق بذلك القرآن المجيد. أما قوله ﷺ "بين مهزودتين" أي لابسًا حلتين مصبوغتين بوَرْسٍ أو زعفران،.. فلا يجوز أن تُحمل هذه الألفاظ على الظاهر، لأن رسول الله ﷺ نهى الرجال عن لبس الثوب المعصفر كما ورد أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: رأى رسول الله ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين فقال: إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها. (صحيح مسلم باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر)

فإذًا كيف ينـــزل المسيح لابسًا هذه الثياب؟ فتأويله الحقيقي أن المسيح الموعود عليه السلام سيلتحق به مرضان، وإليك ما جاء في تعطير الأنام.

"والصفرة من الثياب كلها مرضٌ وضعف لصاحب الثوب الذي ينسب ذلك الثوب إليه. (الجزء الأول صفحة ٩٦)

وقد لحق المرضان بالمسيح الموعود عليه السلام؛ مرض دوران الرأس ومرض كثرة البول، أحدهما في أسفل جسده والآخر في أعلاه منذ دعواه بكونه مسيحًا موعودًا وذلك تصديقًا لنبأ النبي ﷺ، ولكن الله حفظه من نتيجة هذين المرضين ولم يفسدا صحته حتى أن حضرته عليه السلام أَلَّف بعد الدعوى ثمانين كتابًا تقريبًا بالأوردية والعربية والفارسية، وإن في ذلك لآيةً لأولي النهى. وأما ما ورد في الحديث إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدَّر منه

جمانٌ كاللؤلؤ فهذا أيضًا كشفٌ من كشوف النبي ﷺ، وتعبيره أن المسيح الموعود يجدّد تعلقه بالله تعالى كل حين بالتوبة والتضرع والابتهال، كأنه يغتسل في كل حينٍ وآن. وتسقط القطرات المطهرة من رأسه بذلك الغسل الطيب كالدرر. وورد في تعطير الأنام الغسل في المنام بماءٍ طهور من جنابةٍ أو لجمعة يدل على التوبة من الذنوب وقضاء الواجب من بر الوالدين أو الأصحاب. (الجزء الثاني صفحة ١٠٥)

ولنِعْمَ ما قال المسيح الموعود عليه السلام:

ندعوه في وقت الكروب تضرّعًا ... نرضى به في شـدّة ورخاءِ
إنا غُـمسنا من عنـاية ربّنا ... في النور بعد تمـزُّق الأهواءِ
إنّ المحبّة خُـمِّرتْ في مُهْجتي ... وأرى الودادَ يلوح في أهبائي
إني شربت كؤوس موت للهدى ... فوجدتُ بعد الموت عينَ بقاءِ
إني أُذِبتُ من الوداد وناره ... فأرى الغروبَ يسيل من إهرائي
الدمع يجري كالسيول صبابةً ... والقلب يُشوَى من خيال لقاءِ
وأرى الوداد أنارَ باطنَ باطني ... وأرى التعشق لاحَ في سِيمائي
الخَلقُ يبغُون اللذاذةَ في الهوى ... ووجدتُها في حُرقـةٍ وصَلاءِ
الله مقصد مُهْـجَتي وأريده ... في كل رشحِ القلم والإملاءِ
يا أيّها الناس اشربوا من قِربتي ... قد مُلئ من نور المفيض سقائي
إنا نطيع محمّدًا خيرَ الورى ... نورُ المُهَيمن دَافِع الظَّلماءِ

وأمّا قوله ﷺ: "فلا يحلّ لكافرٍ يجد ريح نفسه إلا مات، ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طرفه"، فلا يراد به أن يكون نفس عيسى عليه السلام مركّبًا من الغازات

السّامّة حيث يموت الكفار بريح نفسه، ولا تكون ثمّة حاجةٌ إلى القتال وسفك الدّماء بالسيوف والنبال، إذ إن نَفَسه يقوم مقام المدافع والرّشاشات وغيرها، بل المراد منه أنّ الله تعالى يؤيّد المسيح الموعود عليه السلام ويكرمه بتأييدات وينصره بمعجزات، ويخصّه ببركات ويظفره في كل موطن على أعدائه، ويعادي من يعاديه ويوالي من يواليه ويهزم من يبارزه، ويثبّط عن المناضلة كل من يقاومه، ويُهلك ويُخزي من يباهله بسخطٍ من عنده ويتجالد له فيقتل عدوّه بسيف من السماوات ويدمّر الكفّار الذين يأتون للنـــزال بدعاء المسيح الموعود عليه السلام عليهم، فيموتون بريح نفسه، وإلى هذا أشار المسيح الموعود عليه السلام بقوله:

وأَدْعِيتي عند الوغى تقتُل العدا فطُوبى لقلبٍ يتّقيها ويحذَرُ

وقال في موضع آخر:

دُعائي حُسامٌ لا يؤخَّرُ وقعُهُ وصَولي على أعداء ربي مُفَقِّرُ

وكم من النّاس دخلوا في مزمار المباهلة فمات أكثرهم، وبعضهم انهزموا خائبين خاسرين، وقد ذكر المسيح الموعود عليه السلام أسماء بعضهم في كتابه (الاستفتاء) بقوله:

"الذين باهلوا وماتوا بعد المباهلة: منهم رجل المسمى بالمولوي غلام دستكير القصوري، ومنهم: الرجل المسمى بالمولوي جراغ الدّين الجموني، ومنهم الرجل المسمى بالمولوي عبد الرحمن محي الدّين اللكوكي، ومنهم الرجل المسمى بالمولوي إسماعيل العلي كرهي، ومنهم الرجل المسمّى بفقير مرزا الدوالميالي، ومنهم الرجل المسمّى بليكرام الفشاوري. وكذلك رجال آخرون

أكثرهم ماتوا وبعضهم رُدّوا إلى حياة الخزي وقطع النّسل ومعيشة ضنك. وقد فصلنا ذكرهم في كتابنا حقيقة الوحي. وهذا خلاصة الذّكر لقوم يطلبون".

العلامة الثانية عشرة: ترك القلاص

"وليتركنّ القلاص فلا يسعى عليها ــ صحيح مسلم: باب نزول عيسى بن مريم الجزء الأول"، أي أنّ العشار تعطّل ولا يُسعى عليها ولا تُستعمل للتجارة والركوب كما كانت تستعمل قبل ذلك الوقت، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يخلق مراكب أخرى التي تغني الناس من القلاص والجمال وغيرها، وتلك المراكب هي السيارات والقطارات والطيارات، والآن تجري السيارات في الحجاز لنقل الأثقال ولركوب الناس وتقطع في الدقائق مسافة أميال، وبيَّن الله تعالى هذه الأمارة في القرآن مع أماراتٍ أخرى التي تتعلق بهذا الزمان، وإليك ما قال المسيح الموعود عليه السلام في هذا الباب بكتابه (التبليغ): ومن علامات آخر الزمان التي أخبر الله تعالى منها في القرآن واقعات نادرة تشاهدونها في هذا الزمان وتجدون. وقد بيّن لنا علاماته وقال: إذا الجبال سيِّرت، وإذا البحار فجِّرت، وإذا العِشار عطِّلت، وإذا النفوس زوِّجت، وإذا الصحف نُشرت. إذا زلزلت الأرض... الآية، وإذا الأرض مُدّت، وألقت ما فيها وتخلَّتْ، وإذا الكواكب انتثرت، وإذا الوحوش حُشرت. وفي كل ذلك أنباء آخر الزمان لقوم يتفكرون.

أما تسيير الجبال فقد رأيتم بأعينكم أن الجبال كيف سيّرت وأزيلت من مواضعها وخيامُها هدِّمت، وقُنوها لاقتِ الوِهاد وصفوفُها تقوضت، تمشون على مناكبها وتأفَدون.

وأما تفجير البحار فقد رأيتم أن الله بعث قوما فجّروا البحار وأجرَوا الأنهار وهم على تفجيرها مداومون. وأحاطوا على دقائق علم تفجير الأنهار وأفاضوها على كل واد غير ذي زرع، ليعمروا الأرض ويدفعوا بلايا القحط من أهلها وكذلك يعملون، لينتفعوا من الأرض حق الانتفاع فهم منتفعون.

وأما تعطيل العشار فهو إشارة إلى وابور البر الذي عطّل العِشار والقِلاص فلا يُسعى عليها، والخلق على الوابور يركبون. ويحملون عليه أوزارهم وأثقالهم، وكطيٍّ الأرض من مُلك إلى ملك يصلون. ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون. جعل الله على قلوبهم أكنة أن يفقهوا أسراره، وفي آذانهم وقرا فهم لا يسمعون. وإذا وجدوا صنعة من صنائع الناس.. ولو من أيدي الكفرة.. يأخذونها لينتفعوا بها، وإذا رأوا صنعة رحمة من الله فيردّون.

وأما تزويج النفوس فهو على أنحاء.. منها إشارة إلى التلغراف الذي يُمِدّ الناس في كل ساعة العسرة، ويأتي بأخبار أعزّة كانوا بأقصى الأرض، فينبئ من حالاتهم قبل أن يقوم المستفسر من مقامه، ويُدير بين المشرقي والمغربي سؤالا وجوابا كأنهم ملاقون. ويخبر المضطرين بأسرع ساعة من أحوال أشخاص هم في أمرهم مشفقون. فلا شك أنه يزوّج نفسَين من مكانين بعيدَين، فيكلم بعضهم بالبعض كأنه لا حجاب بينهم وكأنهم متقاربون.

ومنها إشارة إلى أمن طرق البحر والبر ورفع الحرج، فيسير الناس من بلاد إلى بلاد ولا يخافون. ولا شك أن في هذا الزمان زادت تعلقات البلاد بالبلاد، وتعارف الناس بالناس فهم في كل يوم يزوَّجون. وزوّج الله التجار بالتجار، وأهل الثغور بأهل الثغور، وأهل الحرفة بأهل الحرفة، فهم في جلب النفع ودفع الضرر متشاركون. وفي كل نعمة وسرور، ولباس وطعام وحبور، متعاونون. ويُجلَب كل شيء من خِطّة إلى خطة، فانظر كيف زوّج الناس كأنهم في قاربٍ واحدٍ جالسون.

ومن أسباب هذا التزويج سير الناس في وابور البر والبحر، فهم في تلك الأسفار يتعارفون. ومن أسبابه مكتوبات قد أُحسنت طرق إرسالها، فترى أنها ترسل إلى أقاصي الأرض وأرجائها، وإن أمعنت النظر فتعجبك كثرة إرسالها، ولن تجد نظيرها في أول الزمان، وكذلك تعجبك كثرة المسافرين والتجارين. فتلك وسائل تزويج الناس وتعارفهم، ما كان منها أثر من قبل وإني أنشدتُكم الله.. أرأيتم مثلها قبل هذا أو كنتم في كتب تقرؤون؟

وأما نشر الصحف فهو إشارة إلى وسائلها التي هي المطابع، كما ترى أن الله بعث قومًا أوجدوا آلات الطبع، فكأين مِن مطبع يوجد في الهند وغيره من البلاد. ذلك فعل الله لينصرنا في أمرنا، وليشيع ديننا وكتبنا، ويبلغ معارفنا إلى كل قومٍ لعلهم يستمعون إليه ولعلهم يرشدون.

وأما زلزلة الأرض وإلقاؤها ما فيها فهي إشارة إلى انقلاب عظيم ترونه بأعينكم، وإيماء إلى ظهور علوم الأرض وبدائعها وصنائعها، وبدعاتها وسيئاتها، ومكايدها وخدعاتها، وكل ما يصنعون.

وأما انتثار الكواكب فهو إشارة إلى فتن العلماء وذهاب المتقين منهم، كما أنكم ترون أن آثار العلم قد امتَحتْ وعفَتْ. والذين كانوا أوتوا العلم فبعضهم ماتوا وبعضهم عمُوا وصمّوا، ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا، وكثير منهم فاسقون، والله بصير بما يعملون.

وأما حشر الوحوش فهو إشارة إلى كثرة الجاهلين الفاسقين، وذهاب الديانة والتقوى، فترون بأعينكم كيف نزَح بِيرُ الصلاح وأصبح ماؤه غورا، وأكثر الخَلق يسعون إلى الشر وفي أمور الدين يُدهِنون. إذا رأوا شرًّا فيأخذونه، وإذا رأوا خيرًا فهم على أعقابهم ينقلبون....

أيها الإخوان! خذوا كتاب الله بأيديكم ثم تدبروا فيه.. هل جاء وقت آخر الزمان أو في مجيئه حقب وقرون؟ إنكم تعلمون أن المسيح يأتي في آخر الزمان، وقد رأيتم بأعينكم علاماته، وشاهدتم النوادر الأرضية التي جعلها القرآن الكريم من آثار الزمن المتأخر، وأنتم منها تنتفعون. فما لكم لا تؤمنون بالنوادر السماوية التي تدل عليها الآية الكريمة.. أعني بذلك قوله تعالى: ﴿إذا السماء كُشطتْ﴾، وتُخلِدون إلى الأرض ومن آلاء السماء تبعدون؟

وقد بشّر الرب الكريم في هذا الأمر بشارة أخرى بقوله: ﴿وإنا له لحافظون﴾، ولكن تنسون بشارات ربكم وفي آياته تُلحدون.

اعلموا أيها الأعزة.. أن السماء والأرض كانتا رَتْقًا ففتَقهما الله، فكُشطت السماء بأمره وصدعت، ونزلت نوادر وخرجت، ليبتلي الله عباده إلى أيّ جهةٍ يميلون. وتقدمت نوادر الأرض على نوادر السماء، فاغتر الناس بصنائعها وعجائب علومها وغرائب فنونها، وكادوا يهلكون. فنظر الرب

الكريم إلى الأرض ورآها مملوءة من المهلكات، ومترَعة من المفسدات، ورأى الخلق مفتونا بنوادرها، ورأى المتنصرين أهم ضلوا ويُضِلّون، ورأى فلاسفتهم اختلبوا الناس بعلومهم ونوادر فنوهم، فوقعت تلك العلوم في قلوب الأحداث بموقع عظيم كأنهم سُحروا فجذبوا إلى الشهوات واستيفاء اللذات، والتحقوا بالبهائم والحشرات، وعصوا ربهم وأبويهم وأكابرهم، وأُشربوا في قلوبهم الحرّية، وغلبت عليهم الخلاعة والمجون. فأراد الله أن يحفظ عزة كتابه ودين طلابه، من فتن تلك النوادر كما وعد في قوله: ﴿إنا نحن نزّلْنا الذكر وإنا له لحافظون﴾. فأنجز وعده، وأيد عبده، فضلا منه ورحمة، وأوحى إليّ أن أقوم بالإنذار، وأنزل معي نوادر النكات والعلوم والتأييدات من السماء، ليكسر بها نوادرَ المتنصرين وصليبهم، ويحتقر أدبهم وأديبهم، ويدحض حجتَهم، ويفحم بعيدهم وقريبهم. فمظهر نوادرِ الأرض وفتنِها هو الذي سمي بالدجال المعهود، ومظهر نوادر السماء وأنوارِها هو الذي سمي بالمسيح الموعود. خصمانِ تقابلا في زمن واحد، فليستمع المستمعون.

فالآية الأولى من آيات صدقي أني أرسلت في وقت هذه الفتن التي قد أشار كتاب الله إليها. فأنزلني ربي من السماء كما أخرج الفتن من الأرض، وتكلم في استعارات وأيّدني كما أُيّد الصادقون. انظروا إلى الأيام التي كانت قبلكم من اليوم التي خلق الله فيه الإنسان.. هل شاعت وغلبت مثل هذه الفتن العظيمة على وجه الأرض؟ أو هل سمع نظيرها ونظير نوادرها في شيع الأولين؟ فما لكم لا تتفكرون؟" (التبليغ).

العلامة الثالثة عشرة: ذهاب الشحناء

"ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد ــ صحيح مسلم الجزء الأول: باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا".. معناه أن الله تعالى يؤلف بين قلوب المؤمنين الذين يؤمنون بالمسيح الموعود عليه السلام، ويجمعهم على يد واحدة ويحفظهم من التفارق والتشتت، وترفع الشحناء والتباغض والتحاسد من بينهم، كما ارتفعت بمجيء النبي ﷺ من الصحابة رضي الله عنهم، وصاروا إخوانًا، وإليه أشار الله تعالى في القرآن الكريم بقوله: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النارِ فَأَنقَذَكُم مِنْهَا﴾(سورة آل عمران).

العلامة الرابعة عشرة: قتل الدجال

اعلم أن هناك فتنة عظمى وهي أكبر من جميع الفتن حتى أن جميع الأنبياء قد أنذورا قومهم منها، ألا وهي فتنة الدجال، فقبل أن نبحث في ما ورد في الأحاديث عن الدجال يجدر بنا أن نثبت ههنا معنى لفظ الدجال من كتب اللغة:

تحقيق لفظ الدجال

(١) الداجل، المموه الكذّاب وبه سُمِّي الدجال

(٢) الدجال يخرج في آخر هذه الأمة سمي بذلك لأنه يدجل الحق بالباطل. وقيل بل لأنه يغطي الأرض بكثرة جموعه

(٣) وقال ابن خالويه ليس أحد فسر الدجال أحسن من تفسير أبي عمر: قال الدجال: المموِّه، فعّال من أبنية المبالغة أي يُكثر منه الكذب والتلبيس. وقيل سمي بذلك لأنه يستر الحق بكذبه

(٤) والدجال والدجالة: الرفقة العظيمة تغطي الأرض بكثرة أهلها. وقيل هي الرفقة تحمل المتاع للتجارة

(٥) قال أبو العباس سمي الدجال دجالا لضربه في الأرض وقطعه أكثر نواحيها، وقال مرة أخرى سمي دجالا لتمويهه وتلبيسه وتزيينه الباطل" (لسان العرب)

(٦) "الدجال أيضًا الكذاب ومنه المسيح الدجال الكذاب الذي سيظهر في آخر الزمان، الدجالة الرفقة العظيمة تغطي الأرض (المنجد)

(٧) "الدجال: الرفقة العظيمة (أقرب الموارد)

(٨) إن أبا بكر خطب فاطمة إلى النبي ﷺ فقال: إني وعدتُها لعليّ، ولست بدجال.. أي لستُ بخدّاع ولا ملبس عليك أمرك.

وأصل الدجل الخلط، يقال دجل إذا لبَّس ومَوَّه.. وقد تكرر ذكر الدجال في الحديث، وهو الذي يظهر في آخر الزمان يدعي الألوهية. وفعَّال مِن أبنية المبالغة أي يكثُر منه الكذبُ والتلبيس (النهاية لابن الأثير).

وإن كان لفظ دجال - عامًا - يطلق على كل كذّاب ومزوِّر، لكنه سمي باسم (الدجال) خاصة لكونه المظهر الأتمّ لصفة الدجّالية، ولتضمُّنه معاني

التمويه والتلبيس من كل الوجوه. ولذا حري بأن يقال له الدجال الأكبر لقول النبي ﷺ: "ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال" (صحيح مسلم: الجزء الثاني باب في بقية أحاديث الدجال").

الأحاديث المتعلقة بالدجال

(١) "ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال" (صحيح مسلم).

(٢) "عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال فقال: إن الله تبارك وتعالى ليس بأعور، ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية" (صحيح مسلم وصحيح البخاري باب اذكر في الكتاب مريم).

(٣) "قال النبي ﷺ: "ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب. ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور. مكتوب بين عينيه ك ف ر". (صحيح مسلم، وصحيح البخاري باب ذكر الدجال).

(٤) "إن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب" (صحيح مسلم، باب ذكر الدجال).

(٥) "الدجال أعور العين اليسرى، معه جنة ونار" (صحيح مسلم، باب ذكر الدجال).

(٦) "معه جبل خبز ونهر ماء" (صحيح البخاري، باب ذكر الدجال).

(٧) "يخرج الدجال على حمار أقمر ما بين أذنيه سبعون باعًا" (مشكاة المصابيح ص ٤٦٩).

(٨) "إن المسيح الدجال قصيرٌ أفحج جعد أعور مطموس العين ليس بِناتيةٍ ولا حجراء" (مشكاة المصابيح عن أبي داود، باب العلامات بين يدي الساعة).

(٩) "يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يومًا أو أربعين شهرًا أو أربعين عامًا" (صحيح مسلم باب في خروج الدجال ومكثه)

(١٠) "أنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يمينًا وعاث شمالاً. يا عباد الله، فاثبتوا. قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال أربعون يومًا؛ يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم. قلنا يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض؟ قال كالغيث استدبرته الريح.. فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، ويمرّ بالخربة فيقول أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين" (صحيح مسلم، باب ذكر الدجال).

(١١) "قال رسول الله ﷺ يأتي الدجال .. فيخرج إليه رجل.. فيقول الدجال أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكّون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله ثم يحييه" (صحيح البخاري، باب ذكر الدجال، وصحيح مسلم، باب ذكر الدجال).

(١٢) "أنه شاب قطط" (مشكاة المصابيح ص٤٦٥).

(١٣) "يأتي المسيح من قِبَل المشرق همُّه المدينة، حتى ينـــزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قِبَل الشام وهنالك يهلك" (متفق عليه، عن مشكاة المصابيح: باب العلامات بين يدي الساعة).

(١٤) "لأن تميمًا الداريَّ كَانَ رَجُلا نصْرَانيًّا فجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلم، وَحَدَّثَني حَدِيثًا وَافقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ؛ حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَة بَحْرِيَّة مَعَ ثَلاثِينَ رَجُلا مِنْ لَخمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمْ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبْ السَّفِينَة فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ. فَقَالُوا: وَيْلَك مَا أَنْت! فَقَالَتْ أَنَا الْجَسَّاسَةُ. قَالُوا وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ. قَالَ لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلاً فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً. قَالَ فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيد. قُلْنَا وَيْلَكَ مَا أَنْتَ قَالَ قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ قَالُوا نَحْنُ أُنَاسٌ مِنْ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ فَقُلْنَا وَيْلَك مَا أَنْت فَقَالَتْ أَنَا الْجَسَّاسَةُ. قُلْنَا وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ. فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا وَفَزِعْنَا مِنْهَا وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً. فَقَالَ أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ قُلْنَا عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ قَالَ أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ قُلْنَا لَهُ نَعَمْ قَالَ أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لا تُثْمِرَ قَالَ أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ قُلْنَا عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ قَالَ هَلْ فِيهَا مَاءٌ قَالُوا هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ قَالَ أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ

يَذْهَبَ قَالَ أَخبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ قَالُوا عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَستَخبِرُ قَالَ هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ وَهَلْ يَزرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ قُلْنَا لَهُ نَعَمْ هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا قَالَ أَخبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ قَالُوا قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ قَالَ أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ قُلْنَا نَعَمْ قَالَ كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنْ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ قَالَ لَهُمْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ قُلْنَا نَعَمْ قَالَ أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الأَرْضِ فَلا أَدَعَ قَرْيَةً إِلا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلائِكَةً يَحْرُسُونَهَا". (صحيح مسلم، الجزء الثاني"، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض).

هذا ما جاء في الأحاديث عن الدجال مع اختلافات وتناقضات، فظنّ الجمهور أن تلك الأخبار والآثار محمولة على ظواهرها. والحق أنهم ما أصابوا في ذلك، وإن هي إلا مجازات واستعارات وتمثيلات، وبعضها موضوع، ودليله أن النبي ﷺ والصحابة كانوا حسبوا أن ابن الصياد هو الدجال المعهود، وإليك ما ورد في هذا الباب.

(١) لما ظهر أمر ابن الصياد فقال عمر رضي الله عنه: دَعْني يا رسول الله أضرب عنقه. فقال النبي ﷺ: إن يَكُنْهُ فلن تسلَّط عليه، وإن لم يَكُنْهُ فلا خير لك في قتله (صحيح البخاري، الجزء الأول، وصحيح مسلم الجزء الثاني، باب ذكر ابن صياد).

(٢) عن جابر أن امرأة من اليهود بالمدينة ولدت غلامًا ممسوحة عينُه طالعة نابُه فأشفق رسول الله ﷺ أن يكون الدجال.. فلم يزل رسول الله ﷺ مشفقًا أنه هو الدجال (مشكاة المصابيح عن شرح السنة).

(٣) عن محمد بن المنكدر قال رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن صائد هو الدجال، فقلت: أتحلِفُ بالله؟ قال إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي ﷺ فلم ينكره النبي ﷺ (صحيح مسلم).

(٤) عن نافع قال لَقِيَ ابْنُ عُمَرَ ابْنَ صَائِدٍ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهُ قَوْلا أَغْضَبَهُ، فَانْتَفَخَ حَتَّى مَلأَ السِّكَّةَ. فَدَخَلَ ابْنُ عُمَرَ عَلَى حَفْصَةَ وَقَدْ بَلَغَهَا فَقَالَتْ لَهُ: رَحِمَكَ اللَّهُ مَا أَرَدْتَ مِنْ ابْنِ صَائِدٍ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا. (صحيح مسلم، باب ذكر ابن صياد)

(٥) عن نافع قال كان ابن عمر يقول: واللهِ ما أشكّ أن المسيح الدجال ابن صائد (مشكاة المصابيح ص ٤٧٩).

(٦) عن أبي سعيد الخدري قال: صحبت ابن صائد إلى مكة، فقال لي قد لقيت من الناس يزعمون أني الدجال، أو ليس سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يدخل المدينة ولا مكة؟ قلت: بلى. قال: فقد وُلدتُ بالمدينة، وها أنا أريد مكةَ (صحيح مسلم، باب ذكر ابن صياد).

فنحن نسأل الذين يعتقدون بأنه لا بد من أن يظهر الدجال بعلاماته الظاهرة، لِمَ شك النبي ﷺ والصحابة في أمر ابن صائد حتى أقسم بعضهم بالله واستيقنوا أنه هو الدجال؟ هل كانت صفات الدجال المذكورة توجد في ابن صياد؟ أكان يحيى الموتى؟ وينـــزل الغيث من السماء، وكنوز الأرض كانت

تتبعه، ويلقي بعض الناس في النار وبعضهم في الجنة، وكان معه جبل خبز ونهر ماء؟ وهل الحروف ك ف ر كانت مكتوبة بين عينيه؟ فإن لم تكن هذه العلامات موجودة فيه فكيف استيقن بعض الصحابة بأنه هو الدجال المعهود؟ فثبت من هذا أن هذه الأمور ليست بمحمولة على ظواهرها، ولذلك تردد الصحابة في أمره، بل إنما هي كشوف بيَّنها النبي ﷺ كما رأى، ولها تعبير وتأويل، وبما أن ابن صائد أظهر في أوائل أيامه بعض الأمور العجيبة التي تتعلق بالتلبيس بتوسط بعض الشياطين وافتتن الناس بها، فسمي دجالاً، لكنه أسلم بعد ذلك وترك الطريق الشيطاني ومات على الإسلام.

وهناك أناس أنكروا الروايات المتعلقة بالدجال البتة لشدة الاختلاف الواقع بينها واستصعاب التوفيق بينها، منهم العلامة محمد فريد وجدي، (رئيس تحرير مجلة "نور الإسلام" لسان الأزهر سابقًا) فقال بعدما ذكر كل الأحاديث المتعلقة بظهور الدجال ما نصه:

"رأُيْنا في هذا الكلام أن الذي يُلقي نظرة على هذه الأحاديث يدرك لأول وهلةٍ أنها من الكلام الملفَّق الذي يضعه الوضّاعون وينسبونه للنبي ﷺ لمقاصد شتى؛ إما لإفساد عقائد الناس أو لتصغير شأن النبي ﷺ في نظر أهل النقد، فإن هذا الكلام لو نُسب إلى أحد الناس حطَّ من شأنه، فما بالك لو نسب لخاتم النبيين وإمام المرسلين؟ إن في توهين هذا الكلام عدة وجوه لا تقبل المناقشة.

(أولها) أنه أشبه بالأساطير الباطلة فإن رجلا يمشي على رجلين يطوف البلاد يدعو الناس لعبادته ويكون معه جنة ونار يُلقي فيهما من يشاء، كل هذا من

الأمور التي لا يسيغها العقل؛ والنبيّ أجلُّ من أن يأتي بشيء تنقضه بداهة النظر، وإلا فما هي جنَّته وما هي ناره التي تتبعانه حيث سار؟ هل هما مرئيان أم خياليان؟ إن كانا مرئيين فهل جنته قصور منيفة وحدائق غناء كما يفهمه الناس من مدلول هذه اللفظة؟ إن كانت كذلك فكيف تسير معه هذه القصور والحدائق إلى حيث توجه؟ وهل ناره تنُّور عظيم متأجج بالناس والحجارة على ما يفهمه الناس من معنى هذه الكلمة؟ وهل مثل هذا الأمر مما يصح أن يسيغه عقل بشري ناط الله به تمييز الممكن من المستحيل وجعله الفارق بين الحق والباطل؟ وإن قيل بأن جنته وناره خياليان، فهل كان يقتل متبعه ليرسل بروحه إلى الجنة أو يعده بها وعدًا بعد مماته الذي ورد أنه يلقي بمتبعه في جنته فيجدها نارًا وناره جنة وارفة الظلال وأنهما يسيران معه حيث سار؟ وهذا ممتنع عقلا كما رأيت.

(ثانيها) كيف يعقل أن رجلا أعور مكتوبًا على جبهته كافر يقرأها الكاتب والأُمّيّ على السواء، يقوم بين الناس فيدعوهم لعبادته، فتروج له دعوة أو تسمع له كلمة؟ أيُّ إنسان بلغ به الانحطاط العقلي إلى درجة يعتقد ألوهية رجل مشوَّه الخلقة مكتوب في وجهه كافر بالأحرف العريضة، وأيّ جيل من أجيال الناس تروج فيهم مثل هذه الدعوة؟ إن العرب كانوا يشكون في المرسلين ويستكبرون أن يتبعوا رجلا يمشي على رجلين ويودون لو أرسل الله إليهم ملائكة من السماء كما نص عليه القرآن، وغيرهم من الأمم حتى في أقدم أزمنة التاريخ كانوا يظهرون الأنفة من اتباع أمثالهم في البشرية ويودون لو أن الرسول كان من عالم آخر كما نص عليه القرآن أيضًا، فمن هي تلك

الأمم التي كتب لها أن تفتتن برجلٍ أعور مكتوب على وجهه كافر فتعتقد فيه الألوهية.

(ثالثها) لماذا لم يذكر القرآن عن هذا المسيح الدجال شيئًا مع خطورة أمره وعظم فتنته كما تدل عليه تلك الأحاديث الموضوعة، فهل يعقل أن القرآن يذكر ظهور دابة الأرض ولا يذكر ظهور ذلك الدجال الذي معه جنة ونار يفتن بهما الناس.

(رابعها) أن كون هذه الأحاديث موضوعة يُعرف بالحس من الحديث الطويل الذي نسب إلى نواس بن سمعان ورفعه إلى النبي ﷺ، وهو الحديث ينبئ بأن الدجال يخرج من خلة بين الشام والعراق ويعمل الأعاجيب ثم يدركه عيسى إلخ.. إن تنظر إلى تركيب هذه القصة نظر منتقد لا يخطر ببالك شك في أنها موضوعة وقد وضعها واضعٌ لا يفرق بين الممكن والمستحيل وبين سنن الله في خلقه وما تولِّده الخيالات من الأباطيل، ولكن الدليل الحسي على بطلان هذا الحديث أن واضعه لقصر نظره خيل له أن أسلحة الناس لن تزال القسي والسهام والنشاب والجعاب حتى تقوم الساعة، ولم يدرك أنه لن يمر على وضع هذا الحديث نحو سبعة قرون حتى وجدوا البارود والبنادق ولم تمر ستة قرون أخرى حتى لم يكن للقوس والنشاب ذكر، وقام مدافع الماكسيم وقنابل اليد والشرانبل والأدخنة السامة والغازات الملتهبة والديناميت الذي يتساقط من الطيارات إلخ، لم يدرك ذلك كله فصَوَّرَ الأسلحة في آخر الزمان على الحال الذي عهده في زمانه، وليس بعد

هذا دليل محسوس على أن هذا الحديث مختلق، فإن الذي يوحى إليه أكبر من أن يقع في مثل هذا الخطأ العظيم....

يرى القارئ مما مر من هذه الأحاديث كلها أنها خالية من روح النبوة. ولا يؤيدها شيء من القرآن ولا من طريق الإشارة. فلا يصح لعاقل أن يعول على أمثال هذه الموضوعات فإن للأخذ بها حطة في العقل وذهاب بالدين مذهب الخرافات والأضاليل، والمسلمون أُمروا أن يتحروا الحقيقة في كل شيء، وأن لا يأخذوا بكل ما يقال وإلا هدم العقل والدين" (دائرة المعارف للقرن العشرين الجزء ٨ صفحة ٨٠٠).

هذا ما قاله العلامة محمد فريد وجدي، ولكن لا نتفق معه بالكلية. وإنا إن شاء الله نوفق بين تلك الأحاديث والقرآن بتفسير بعض الكلمات التي لا بد من تفسيرها، لأنها رؤى وكشوف تحتاج إلى التعبير وهي غير محمولة على ظواهر ألفاظها، وأما اعتقادهم بعدم خروج الدجال فهو باطل بالبداهة، لأنه يخالف الأحاديث الصحيحة المتواترة التي لا مفرَّ منها، وقد اشتهرت عقيدة ظهور الدجال وفتنه منذ أوائل الإسلام إلى يومنا هذا. حتى أن الإمام البخاري وأمثاله من المحدثين الكبار المحققين شهدوا على ذلك. وأن النبي ﷺ حذر المسلمين من فتنة الدجال حتى احمرَّت وجنتاه، وعدَّها أكبرَ الفتن بحيث قال: "ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال" وكذلك أنذر كل نبي قومه من فتنته كما ذكر النبي ﷺ: "ما من نبي إلا وقد أنذر أمته". فلا يمكننا إنكار وجود الدجال وفتنته وفساده في الأرض لوجود كثرة الأحاديث المروية في الصحاح. ﴿ولِكُلِّ نبأٍ مستقرٌّ﴾.

حمل الأحاديث الواردة المتعلقة بالدجال على الظاهر

لا شك أن الصفات المخصوصة بالدجال إذا حملناها على الظاهر تَجُرّنا إلى الشرك بالله وتضع الفأس على رأس التوحيد. أيمكن لكافر ملعون أن يشارك الله في صفاته ويحيي ويميت ويتصرف في ملكوت السموات والأرض وتكون معه جنة ونار ويدبر الخضراء والغبراء بالقدرة التامة إلى أربعين سنة حتى تتبعه خزائن الأرض ويطيع أمره سحاب السماء وماء البحر وتنبت بأمره الأرض السبخة وتظهر بهجتها، ويقع له الناس ساجدين! نعوذ بالله من هذه الخرافات وسبحان الله وتعالى عما يشركون! كلا بل هي رؤى وكشوف واستعارات لا تُحمل على ظواهرها.

ومن البديهيات أن الأنبياء بأنفسهم لا يعلمون الغيب إلا بعدما يظهرهم الله عليه، وبقدر ما ينبِّئهم، كما نصَّت عليه الآيات الآتية: إن الله تبارك وتعالى يقول في القرآن المجيد ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ﴾(سورة البقرة)

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلا مَنِ ارْتَضَى مِن رسُولٍ﴾(سورة الجن)

﴿قُل لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِي مَلَكٌ إِنْ أَتبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَي﴾(سورة الأنعام)

فثبت منها أن الغيب يختص بذات الله تعالى وليس متعلقًا بذات نبي من الأنبياء إلا ما أظهر الله عليه، ويُبلِّغ النبيُّ إلى الناس كيفما تلقّى من الله وبقدر ما أمره، وبما أن النبي ﷺ أوتي العلم عن الدجال وهو من قبيل الكشوف

والرؤى وبيَّن النبي ﷺ أمام الناس المناظر الكشفية كيفما رأى، ولما كانت الاستعارات والكنايات تغلب المكاشفات التي تؤول ولا تحمل على ظاهرها، نحن نضطر إلى التعبير، وعندنا أحاديث تدل على أن النبأ المتعلق بالدجال هي من كشوف النبي ﷺ منها:

(١) "ذكر النبي ﷺ يومًا بين أظهر الناس المسيح الدجال.. أراني الليلة عند الكعبة في المنام فإذا رجل آدم كأحسن ما يُرى من أدم الرجال تضرب لمته بين منكبيه رَجِل الشعر يقطر رأسه ماءً واضعًا يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت. فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح بن مريم. ثم رأيت رجلا وراءه جعدًا قططًا أعور عين اليمنى كأشبه من رأيت بابن قطن واضعًا يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت. فقلت من هذا؟ قالوا المسيح الدجال.

(٢) بينما أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة.. فإذا رجل أحمر.. فقلت من هذا؟ قالوا الدجال. (صحيح البخاري الجزء الثاني ص١٥٠ كتاب بدء الخلق باب واذكر في الكتاب مريم ومسلم الجزء الأول صفحة ٨٢ باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال)

(٣) حديث نواس بن سمعان كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن (مسلم الجزء الثاني باب ذكر الدجال وصفته ص ٥١٥).

ومن يفكر في ألفاظ الأحاديث المذكورة يقبل دعوانا، لأن الألفاظ "كأني أشبّهه بعبد العزى بن قطن"، "رأيتُني عند الكعبة"، "وبينما أنا نائم".. تصرّح بأنها رؤيا للنبي ﷺ.

فالحقيقة أن صفات الدجال الواردة في الأحاديث كلها مناظر كشفية وقد تمثلت في الصور الجسمانية لرسول الله ﷺ. وإليه ذهب العلامة الملا علي القاري حيث قال "قال التوريشي طواف الدجال عند الكعبة مع أنه كافر

مؤوَّل بأنه رؤيا النبي ﷺ أو من مكاشفاته كوشف بأن عيسى في صورته الحسنة التي ينـــزل عليها يطوف حول الدين لإقامة أموره وإصلاح فساده، وأن الدجال في صورته الكريهة التي يظهر عليها يدور حول الدين يبغي العوج والفساد ـــ المرقاة شرح المشكاة الجزء الخامس باب العلامات بين يدي الساعة".

رؤيا تميم الداري

قد بينا فيما سبق أن كل ما أخبر النبي ﷺ عن الدجال هو من قبيل المكاشفات ونريد الآن أن نبين حقيقة قصة تميم الداري.

اعلم أن هذه القصة لا توافق بتاتًا أحاديثَ صحيح مسلم التي وردت في حق ابن صياد على أنه هو الدجال المعهود. فلما نمعن النظر في قصة تميم الداري يتبين لنا أنها رؤياه، وليست حديث النبي ﷺ، وفيها أمور تصدّق دعوانا:

(١) أنها تحتوي على أنباءِ غيبية ولا يمكن أن يقدر الدجال الكذاب على بيان الأخبار المستقبلة مع أن الله تعالى يقول في القرآن المجيد: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِن اللهَ يَجْتَبِي مِن رسُلِهِ مَن يَشَاء﴾(سورة آل عمران)

ومن أخباره أنه يخرجه ويتملك جميع الأرض ويتسلط على البلاد كلها، غير مكة والمدينة، وأن نخل بيسان لا تثمر وماء بحيرة طبرية يذهب، وغير ذلك. انظر كيف أخبر الدجال عن الغيب أخبارًا واضحةً صحيحةً مطابقةً للواقع

كأن الله تعالى أوحى إليه، والحال أن الله تبارك وتعالى لا يخبر عن الغيب إلا رسله.

(٢) ومن المستحيل أن يأمر الدجال بإطاعة النبي ﷺ كما صرح بقوله: "أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه". إن الدجال كافر وهو يفسد الدين ولا يطيع الله تعالى. وكيف قال الدجال أن الخير للناس أن يطيعوا هذا النبي الأمي العربي.

(٣) كلام الحيوانات مع الرجال في حالة اليقظة أمر محال وقد تكلمت الدابة مع الناس في هذه الواقعة.

(٤) بيَّن تميم الداري بنفسه أنه ركب السفينة مع ثلاثين رجلاً ولم يذكر أحدٌ منهم هذه الواقعة العجيبة بل ما علمت أسماؤهم وأوطانهم ولم يدر من أي موضعٍ جاؤوا وأين ذهبوا.

(٥) لا شك أن الأوروبيين غطوا جميع الأرض وانتشروا في مشارقها ومغاربها وجاسوا جزائرها وفلواتها حتى أنهم رسموا خريطة الأرض كلها وما تركوا بقعة من بقاعها، فأين تلك الجزيرة التي وصل إليها تميم الداري ورفاقه، ولم يصل إليه الإفرنج بالمراكب البخارية العظيمة؟

فهذه القرائن كلها تدل على أنها رؤيا تميم الداري التي تشتمل على الاستعارات؛ وتأويل خروج الدجال يدل على خروج طائفة الكذابين في آخر الزمان من قوم النصارى.

ولذا رأى تميم الداري الدجال في زمان النبي ﷺ بالرؤيا التي كانت من قبيل عالم المثال مغلولة يده إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد في الدير.

وكذلك كانت النصارى في زمن إقبال الإسلام مقهورين مغلوبين غُلَّت أيديهم قاعدين في الدير. ثم أُخرجوا بعد المائتين والألف ووضع الله عنهم الأغلال والسلاسل وخلع عليهم خلعة العلوم الأرضية ابتلاء من عنده، فأشاعوا الفتن في الدنيا بأيدي مبسوطة. وإلى خروجهم إشارة في حديث "الآيات بعد المائتين"، والمراد بالمائتين المائتين بعد الألف من زمان النبي ﷺ (راجع سنن ابن ماجة: الجزء الثاني الصحيفة ٥٠٢).

وقال العلامة الملا على القاري "ويحتمل أن يكون اللام في المائتين للعهد أي بعد المائتين بعد الألف وهو وقت ظهور المهدي وخروج الدجال" (المرقاة شرح المشكاة الجزء الخامس ص ١٨٥).

دجال تميم الداري وابن صياد كلاهما ليسا بحيين

وقد اختلف العلماء المتقدمون في أمر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان: أنه ابن الصياد أم الذي رآه تميم الداري، لكنا نقول إن قصة تميم الداري إنما هي رؤيا فقط تحتاج إلى التعبير. وأما ابن صياد فقد تقرر من أحاديث مسلم أنه أسلم، حتى قيل أنه حج البيت ومات بالمدينة وصلى عليه المسلمون (راجع المرقاة الجزء ٥ ص ٢١٣). نعم ظهرت منه في صغر سنه أمور كانت تشعر بأنه دجال، ولذا ظن الصحابة أنه الدجال المعهود، ولو فرضنا أن رواية تميم الداري ما كانت رؤياه وأنه رأى الدجال عيانًا مقيدًا في السلاسل والأغلال وأن ابن صياد ما مات بل فقد واختفى في مكان غير معلوم فإن الأحاديث

الصحيحة الآتية تبطل هذه النظرية وتثبت أن دجال الجساسة وابن صياد كلاهما قد ماتا بعد المائة من زمان رسول الله ﷺ:

(١) "أخبرني عبد الله قال: صلى لنا رسول الله ﷺ ليلة صلاة العشاء .. ثم انصرف عليه الصلاة والسلام فأقبل علينا فقال: أرأيتم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد". (صحيح البخاري الجزء الأول: كتاب مواقيت الصلاة)

(٢) "عن جابر يقول سمعت النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر تسألوني عن الساعة وإنما علمها عند الله وأقسم بالله ربي ما على الأرض من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة (صحيح مسلم، الجزء الثاني)

(٣) "عن أبي سعيد قال لما رجع النبي ﷺ من تبوك سألوه عن الساعة فقال رسول الله ﷺ لا تأتي مائة سنةٍ وعلى الأرض نفسٌ منفوسة اليوم" (صحيح مسلم، الجزء الثاني، كتاب فضائل الصحابة).

(٤) "ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ" (صحيح مسلم الجزء الثاني، كتبا فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ: لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم).

نظرة مفصلة في علامات الدجال

قد ظهر مما سبق أن الإنسان ليس بمقدوره أن يتصف بالصفات التي تختص بذات الله تعالى، ونريد أن نشرح الآن العلامات المذكورة عن الدجال وكيفية تحققها وبالله التوفيق.

العلامة الأولى: أعور العين

هذه علامته المخصوصة البينة حتى أن النبي ﷺ قال "فإن ألبس عليكم فاعلموا أنه أعور وإن ربكم ليس بأعور" (مشكاة المصابيح ص ٤٦٨). تنقص هنا هذه العبارة، ولسائل أن يسأل هل كل من كان أعور لا بد له أن يكون دجالاً أيضًا والذي ليس بأعور ضروري له أن يكون إلهًا حقيقيًا! فلذا يحتاج قوله ﷺ "إن ربكم ليس بأعور" إلى التدبر، لأن الله لا يرى ولا يحس ولا يتجسم كي يراه الناس أنه ليس بأعور. وفوق ذلك يوجد اختلاف كثير في الأحاديث عن هذه العلامة: فقد ورد في حديث "أعور العين اليمنى (صحيح البخاري)، وجاء في حديث آخر: "الدجال أعور العين اليسرى" (صحيح مسلم).

وقد ورد عن عينه العمياء: "كأن عينه عنبة طافئة (بالهمزة أي ذاهب ضوءها) وروي بغير الهمزة (أي ناتية بارزة)، وفي حديث: "أنه مطموس العين ليست بناتية ولا حجراء (مشكاة المصابيح)، وفي رواية "ممسوح العين (مسلم)، وفي رواية "جاحظ العين كأنها كوكب درّيّ". فالتوفيق بين الروايات المذكورة أمر محال. وقد جهد شراح الحديث جهدهم للتطبيق بين هذه الأحاديث، فلم ينجحوا.

والحق أن المراد من كون الدجال أعور وأن الله ليس بأعور هو أن الدجال يكون أعمى في الأمور الدينية من حيث الروحانية ولا يتفكر في عقباه، ويكون ناكبًا عن الصراط المستقيم، وينسى بما أوصاه المسيح الناصري عليه السلام كما قال لهم عليه السلام: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ

مسْتَقِيمٌ﴾(سورة مريم). ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِي وَرَبكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ما دُمْتُ فِيهِمْ فَلَما تَوَفيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُل شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(سورة المائدة).

ولكن ربنا هو على الصراط السوي ﴿إِن رَبي عَلَى صِرَاطٍ مسْتَقِيمٍ﴾(سورة هود)، ولذا ورد في حق المؤمنين ﴿وَالذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾(سورة الفرقان)، ﴿وَالذِينَ إِذَا ذُكرُوا بِآيَاتِ رَبهِمْ لَمْ يَخِروا عَلَيْهَا صُما وَعُمْيَانًا﴾(سورة الفرقان)، ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبكَ الْحَق كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنمَا يَتَذَكرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾(سورة الرعد)،

وفي حق الكفار: ﴿صُم بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾(سورة البقرة)، ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(سورة الأعراف)

والعمى الظاهر ليس بشيء في الحقيقة، انظر إلى عبد الله ابن أم مكتوم أنه كان أعمى ولكن نزل القرآن فيه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلى أَن جَاءهُ الأَعْمَى﴾(سورة عبس)

وأن الله تعالى لا ينظر إلى الصور والألوان، بل ينظر إلى القلوب والأعمال الصالحة، وكذلك ورد في الحديث: "إن الله لا ينظر إلى صوركم"، وجاء في القرآن المجيد ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى﴾(سورة الإسراء).

ولا يراد هنا العمى الجسماني بل العمى الروحاني. ومعنى العمى هنا العماية والضلال وذهاب بصر القلب لا غير. هذا هو المعنى المراد في حق الدجال. فافهم وتدبر.

وأما كونه أعور العين اليمنى، فهذه رواية البخاري وهو أصح الكتب بعد كتاب الله؛ فلذا ترجح على روايات أخرى، والجانب الأيمن يُشبَّه بالشيء النفيس عمومًا، ولذا يراد بالعين اليمنى العين الدينية أو الدين أي لا يؤتى الدجال البصيرة الدينية ويكون غافلاً عن سوء عاقبته، يقول الله تعالى عن مثل هؤلاء الغافلين ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ منْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ﴾(سورة ق)

وأما كون عينه الثانية كأنها كوكبٌ درّيّ فمعناه أنه يكون ماهرًا في العلوم الأرضية وبارعًا في الفنون الدنيوية حتى يسبق عقله جميع أهل العقل في الأمور الدنيوية. وأما الأحاديث التي ورد فيها أنه يكون أعور العين اليسرى فيمكن أن يُراد منه بأن وسائل كسب دنياه تكون غير طيبة، وأن كسبه يكون حرامًا. ومع هذا ورد في اللغة أن معنى العور: العيب. قال الشاعر الحماسي:

"وأَرَى الغواني بعدما أَوْجَهْنَني أَعْرَضْنَ ثَمَّتَ قُلْنَ شيخٌ أعورُ"

(ديوان الحماسة)

أي لا خير فيه.

و"العور، في الأصل العيب" (الحاشية على المشكاة ص٤٦٥).

وقال العلامة ابن الأثير في النهاية: "وفي حديث الزكاة (لا يؤخذ في الصدقة هرمةٌ ولا ذاتَ عَوارٍ): العوار بالفتح العيب".

العلامة الثانية: ك ف ر

(مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب) (مسلم).
اعلم أن هذه العلامة أيضًا ليست من العلامات التي تكون موجودة من حيث الظاهر في الدجال: إذ (١) إن هذه العلامة ما كانت موجودة في ابن صياد الذي قال عنه الصحابة أنه هو الدجال، وما كانت مكتوبة على جبهة دجال تميم الداري.
ومن الذي يرتاب في كونه دجالاً مع وجود هذه العلامة الباهرة الواضحة؟ فَلِمَ حذر النبي ﷺ المسلمين مرارًا ونبههم؟ وكذلك الأنبياء الأقدمون أممهم؟ وقد روي أنه يوسوس في صدور الناس ويوقعهم في الكفر والضلالة والشبهات، وأنه يتبعه من المسلمين سبعون ألفًا (مشكاة المصابيح).
قال رسول الله ﷺ من سمع بالدجال فلينأ عنه فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات (رواه أبو داود). و "قال رسول الله ﷺ: يتبع الدجالَ من أمتي سبعون ألفًا (مشكاة المصابيح: باب العلامات بين يدي الساعة). فكيف يضل المرء ويتزلزل إيمانه بعد معاينة الأمارة المكتوبة المذكورة بعينيه.

ثم لماذا لا يقدر الكافر المتعلم على قراءته إذا كان لفظ (الكافر) مكتوبًا بالحروف؟ وكيف يقرأ المؤمن الذي لا يعرف الكتابة؟ هذا ترجيح بلا مرجح.

فخلاصة القول أن كتابة حروف: ك، ف، ر في الحقيقة أمر غير جائز ولا يسيغه العقل الإنساني؛ بل هي استعارة تومئ إلى أن الدجال يلبس الحق بالباطل ويزخرف القول في أعين الناس ويأتي بعقائد فاسدة وخيالات باطلة التي تنـــزع الإيمان من جذور القلوب، ويظهر على الخلق أنه على الحق وما هو على الحق، ولا يكون له دليل حقيقي على صدقه بل يكون كفره أمرًا بواحًا كأنما تتجلى سمة الكفر على جبينه ويدرى على الفور أنه كافر؛ كأن لفظ الكافر مكتوب بين عينيه ويقرأه كل مؤمن قارئ أو غير قارئ. لأن المؤمن الراسخ في إيمانه يستطيع أن يفرق بين الكفر والإيمان ويتفرس بنور القلب في الأمور الدقيقة ويأمن العقائد المضلة، فلا تزل قدمه.

العلامة الثالثة: معه جنة ونار

قال رسول الله ﷺ الدجال أعورُ عينِ اليسرى.. معه جنة ونار (صحيح مسلم ج ٢ صفحة ٥١٣ باب ذكر الدجال).

قد اختلفت الروايات في هذا الباب بكثرة حتى أن الإنسان يتحير ولا يجد منفذًا من أن يخلص نفسه من هذا العمى، ويعسر عليه التطبيق بين الأحاديث. ففي رواية "معه جبل خبز ونهر ماء (البخاري)، وفي رواية أن الدجال يخرج وأن معه ماء ونارًا، فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق، وأما

الذي يراه الناس نارًا فماء بارد عذب، فمن أدرك ذلك فليقع في الذي يراه نارًا؛ إنه ماء عذب (مسلم)، وفي رواية "أن معه الطعام والأنهار (مسلم)، وفي رواية "معه جبال من خبز ولحم ونهر ماء، قال: هو أهون على الله من ذلك (مسلم)، وفي رواية "معه نهران يجريان أحدهما رأي العين ماء أبيض والآخر رأي العين نار تؤجج (مسلم)، وفي رواية "معه واديان أحدهما جنة والآخر نار (أبو داود)، وفي رواية "بمثل الجنة والنار (متفق عليه)، وفي رواية "بتمثال الجنة والنار"، وفي رواية "جبل من مرق وعرق اللحم وجبل من جنان وخضرة وجبل من نار ودخان"، وفي رواية "معه مثل الجنة والنار فالتي أنها جنة هي النار" (مسلم: باب ذكر الدجال وما معه).. أي يكون معه مثل الجنة والنار لا الجنة والنار حقيقة.

معنى ذلك أن الدجال تكون معه أنواع النعيم وأمتعة الترف وأسباب الثروة والدعة بالكثرة كأن خزائن الأرض تسير معه أينما حل وارتحل، وهي التي تسمى الجنة. فمن يعتنق دينه وينخدع بخديعته ويشتهي جنته يقتنص بشرك مكره ويلقى في نار جهنم. وأما المؤمن المسلم الذي يتقي منه بنفسه ولا يلتفت إلى جنته بل يكابد المصائب والآلام بمخالفته إياه بالصبر ويؤثر ناره على جنته ولا يفتتن بوعوده الخلابة ورغفانه فيلج في جنات النعيم. هذا هو الحق وإلا فلا يمكن عقلاً وشرعًا أن يجعل الله الجنة والنار في يد الدجال ليتصرف فيهما كيفما شاء؛ ولذلك قال النبي ﷺ عن مثل هذه الأشياء: "هو أهون على الله من ذلك" (متفق عليه). وقال الشارح عنه: "قوله هو أهون على الله من ذلك، أي أن الدجال أحقرٌ على الله من أن الله تعالى يحقق له

ذلك، وإنما هو تخييل وتمويه للابتلاء، فيثبت المؤمن ويزلّ الكافر (المرقاة شرح المشكاة: باب العلامات بين يدي الساعة).

ونريد أن نذكر هنا قول أحد العلماء لكي تتضح هذه المسألة بكل معنى الكلمة يقول حضرة الشيخ نعمان الأعظمي العراقي ما نصه:

"فالاستعمار هو الدجال، يأتيك مظهرًا لك جنة ونعمة، فإن صدَّقته وأدخلك في جنَّته انقلبتْ عليك نارًا. وإن عصيتَه وأدخلك ناره وبقيت مستقلاً عنه انقلبت النار عليك جنة. وهذا أمرٌ ظاهر في من والاه ونصره وخالفه وحاربه (جريدة الهداية، بغداد، العدد ١٤٦).

العلامة الرابعة: إنزال الغيث

لا يقدر إنسانٌ ضعيفٌ على إنزال الغيث من السماء لأنه مختصٌ بذات الله تعالى والإسلام لا يجيز مثل هذه الأمور لغير الله لأنها تزري بتوحيد الله، فكيف يسوغ للدجال أن يفعل ذلك؟ يقول الله عز وجل: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت ٦٤). و ﴿هُوَ الذي أَنْزَلَ مِنَ السمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ (النحل ١١). و﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ الساعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ (لقمان ٣٥)

و﴿أَمَّنْ خَلَقَ السمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السمَاءِ مَاءً﴾ (النمل ٦١).

وقال رسول الله ﷺ: "خمسٌ لا يعلمهن إلا الله عزَّ وجل، ثم قرأ: ﴿إِن اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ الساعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا

تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَي أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ (صحيح مسلم الجزء الأول صفحة ٢٤ باب الإيمان ما هو).

فإذًا هذا مجازٌ يشير إلى أن الدجال يحفر الترع من الأنهار ويذهب بها إلى القفار والأرض الخربة ويعمرها، ويستفيد منها كثيرًا ويخرج كنوزها التي كانت مدفونةً فيها من قبل، والمعنى الثاني لنسبة إنزال الغيث إلى الدجال أنه سيخترع الوسائل التي تؤدي إلى إنزال المطر الاصطناعي الذي قد ترى أحيانًا مظاهره عند التجارب العلمية في بعض البلاد، لأن المطر الحقيقي لا ينزله إلا الله كما ذكرنا آنفًا.

العلامة الخامسة: إحياء الموتى

وفي رواية: "فإذا رآه المؤمن قال يا أيها الناس هذا الدجال، ... فيأمر الدجال به فيشج فيقول خذوه وشجوه فيوسع ظهره وبطنه ضربًا، قال فيقول ألا تؤمن بي؟ قال فيقول أنت المسيح الكذاب. قال فيأمر به فينشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه. قال ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول قم فيستوي قائمًا.. قال ثم يقول له أتؤمن بي؟ فيقول ما ازددت فيك إلا بصيرةً. (صحيح مسلم الجزء الثاني باب في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه)

وفي روايةٍ: "يأتي الدجال ... فيخرج إليه رجلٌ ... فيقول الدجال أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر؟ فيقولون لا، فيقتله ثم يحييه". (صحيح البخاري باب ذكر الدجال)

اعلم أن الإحياء والإماتة في يد الله تعالى؛ لا يستطيع أحدٌ من دون الله أن يحيي أو يميت. والذي يموت لا يرد إلى هذه الدنيا مرةً ثانيةً فكيف يميت الدجال رجلا شابًا ثم يحييه ثانيةً!. يقول الله عز وجل: ﴿اللهُ الذي خَلَقَكُمْ ثُم رَزَقَكُمْ ثُم يُميتُكُمْ ثُم يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَما يُشْرِكُونَ﴾ (الروم ٤١)،

و﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يونس ٥٧)،

و﴿رَبِيَ الذي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ (البقرة ٢٥٩)،

و﴿فَيُمْسِكُ التي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى﴾ (الزمر ٤٣)،

و﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ (الأنبياء ٩٦)

و﴿ثُم إِنكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ، ثُم إِنكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون ١٦-١٧).

وفي الحديث "عن جابر بن عبد الله قال: لقيني رسول الله ﷺ فقال يا جابر ما لي أراك منكسرًا؟ قلت: استشهد أبي وترك عيالاً ودَينًا.. قال أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟ قلت: بلى يا رسول الله.. قال: ما كلَّم الله أحدًا قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلمه كفاحًا، قال يا عبدي تمنَّ علي أعطك.. قال يا رب تحييني فأقتل فيك ثانيةً.. قال الرب تبارك وتعالى إنه سبق القول مني أنهم لا يرجعون". (مشكاة المصابيح، باب جامع المناقب، وسنن ابن ماجة الجزء الثاني باب فضل الشهادة)

انظر كيف ظهر من البيان السابق أن الإحياء والإماتة لا يختصان إلا بالإله الحقيقي فقط، ويمتنع صدورهما عن الغير ولو كان نبيًا فضلاً عن الكافر. وإن

الذي يَرِد عليه الموت في المرة الأولى فإحياؤه في المرة الثانية خلاف قانون الله تعالى. فلا يمكن لأحدٍ أن يميت بقدرته أحدًا ثم يحييه. وقد ورد في التفسير الكبير للإمام الرازي رحمه الله تحت آية ﴿الذي حاجَّ إبراهيم﴾ ما يأتي:

"المسألة الثانية كانت في غاية الصحة وذلك لأنه لا سبيل إلى معرفة الله تعالى إلا بواسطة أفعاله التي لا يشاركه فيها أحدٌ من القادرين. والإحياء والإماتة كذلك لأن الخلق عاجزٌ عنها والعلم بعدم الإحياء ضروري. ثم إن قولنا نرى حدوث أشياءٍ لا يقدر الخلق على إحداثها له أمثلةٌ منها الإحياء والإماتة."

فأمر قتل الدجال الشاب ثم إحياؤه ليس بمحمولٍ على ظاهره، ويجوز أن يقال في معناه أن الدجال لكونه عدوًا لدودًا للإسلام يبذل كل جهده لكي يمحوه من على وجه الأرض، ويبيد ذلك المترعرع الجميل حتى يزعم في نفسه أنه قتله، ولكن الله تعالى يحفظه كأنه يحييه مرةً ثانيةً. وأما خطاب ذلك المقتول بعد حياته للدجال: "ما ازددت فيك إلا بصيرةً" فإشارةٌ إلى أن الدجّال إذا أهلكه يظن الناس إذا كان الإسلام حقًا فلماذا صار دنفًا منهوكًا إلى هذا الحد فتهيج غيرة الله حسب وعده ﴿إِنا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكْرَ وَإِنا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحِجر ١٠) ويبعث المسيح الموعود عليه السلام الذي يمحو فتن الدجال ومكائده، ويظهر الإسلام على الدين كله بالبراهين الدامغة والحجج الساطعة فيستيقن الناس أنه دين الله الحقيقي، فلذا نصره حين الضرورة وأحياه مرةً ثانية.

العلامة السادسة: مكث الدجال في الأرض

يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة (مشكاة المصابيح، باب العلامات بين يدي الساعة).

وفي حديث نواس بن سمعان "قلنا يا رسول الله ما لبثه في الأرض؟ قال أربعون يومًا" (صحيح مسلم ج٢ ص٥١٦).

وفي حديث تميم الداري حكاية عن المسيح الدجال "أربعين ليلة" (صحيح مسلم).

وفي رواية "قال رسول الله ﷺ يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين. لا أدري أربعين يومًا أو أربعين شهرًا أو أربعين عامًا" (صحيح مسلم الجزء الثاني ص٥١٨ باب في خروج الدجال ومكثه)

يظهر من هذا الاختلاف أنه لا يمكن أن يفهم من الأحاديث القدر الصحيح لمكثه في الأرض، ولعل المراد منه أن القوى الإنسانية تنمو عمومًا إلى أربعين سنة: ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ (الأحقاف ١٦). فربما يكون مقصده ﷺ من هذه الألفاظ أن الدجال يبلغ أشده التام في هذه المدة، ثم يضمحل أمره ويعود إلى الضعف والاستكانة بعد الغلبة والسطوة حتى يهلك، وإليه يشير حديث مسلم "ذاب كما يذوب الملح في الماء (صحيح مسلم باب في فتح قسطنطينية وخروج الدجال).

العلامة السابعة: ـول أيام الدجال وقصرها

"يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة (صحيح مسلم، باب ذكر الدجال).

وفي رواية "السنة كشهر" (مشكاة المصابيح)

إذا استنبطنا من هذه الألفاظ أن التغير والتبدل يقع في مقدار مرور الزمان حين خروج الدجال حتى أن الشمس تجري بهذه السرعة كأن السنة تمضي في شهر واحد أو تبطئ إلى هذا الحد كأنها تغرب بعد سنة واحدة أو بعد شهر أو أسبوع وهلم جرًا، فهو خلاف العقل وقانون الله تعالى، يقول الله عز وجل: ﴿هُوَ الذي جَعَلَ الشمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السنِينَ وَالْحِسَابَ﴾(سورة يونس)، ﴿وَالشمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍ لهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، وَالْقَمَرَ قَدرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتى عَادَ كَالْعُرْجُون الْقَدِيمِ، لا الشمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا الليْلُ سَابِقُ النهَارِ وَكُل فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(سورة يــس)، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنةِ اللهِ تَبْدِيلا﴾(سورة الفتح)، ولا يخفى أن تبديل القانون إما ينشأ عن الغلبة كأن تغلب حكومة مثلا حكومة أخرى فتبدل الثانية قانون الأولى، وإما عن الجهل بأن تسن الحكومة قانونًا فتجد فيه نقصًا بعد ذلك فتبدله. ولكن القانون الذي سنه الله للشمس لا يبدل ولا يغير لأنه غالب على أمره وعليم بما سيكون في المستقبل فكيف يغير هذا القانون في وقت الدجال، أم الدجال يتصرف في الشمس والقمر أيضًا؟!

فالمراد من طول الأيام: زيادة المصائب والشدائد لأن بعض الشدائد تشدد وطأها على الإنسان بهذه الشدة كأن يومًا واحدًا فيها يرى كعام واحد أو كشهر أو كأسبوعٍ واحد، وبعد الصبر تقل شيئًا فشيئًا تلك الأيام الطوال

حتى ترى كأيام معتادة. وهكذا قال العلامة الملا علي القاري "العرب تستعمل قصر الأيام والليالي في المسرة وطولها في المكاره (المرقاة الجزء الخامس ص١٧٥).

فعلى هذا يكون معنى قول النبي ﷺ أن الدجال يحمل الناس الشدائد والمصائب العظام في بدء رقيه ويضع العراقيل في سبيل تقدمهم وازدهارهم، فيرون أيامهم طوالا من المصائب والشدائد: منها كعام ومنها كشهر ومنها كأسبوع أو يوم. وفي هذا الحديث إشارة أيضًا إلى سهولة السفر في تلك الأيام أي إن مسيرة أعوام تقطع في شهور ومسافة شهور في أسابيع، وما كان يحدث في أسابيع يحدث في أيام وهلم جرا.

ويمكن أن يقال أن المراد من (يوم كسنة) هو أن الناس يقدرون الوقت حق تقديره في زمان الدجال ولا يضيعونه وأن اليوم الواحد يساوي السنة الواحدة، فمن أضاع يومًا واحدًا فكأنه أضاع سنة واحدة. وقد أُوّلت السنة بشهر كما قال الإمام ملا على القاري "قوله فتكون السنة كالشهر: يحمل ذلك على قلة بركة الزمان وذهاب فائدته أو على أن الناس لكثرة اهتمامهم بما دهمهم من النوازل والشدائد واشتغال قلوبهم بالفتن العظام لا يفطنون بمضي الأيام. وذلك لا ينافي استطالة الأيام الشدائد لأن الاستطالة إنما يكون مع الفطانة والشعور، وما ذكرناه هنا إنما يكون مع الحيرة والدهشة (مشكاة المصابيح، باب أشراط الساعة، والمرقاة شرح المشكاة المجلد ٥).

وأما قول النبي ﷺ: "اقدروا له قدره" في جواب السائل الذي سأل "اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم" (صحيح مسلم باب ذكر الدجال)، فهو

على سبيل الاحتمال أي أن النبي ﷺ أجاب على سؤال السائل حسب فهم السائل واستعداده، أو نقول أن النبي ﷺ خطّأَ السائل وقال "لا، فاقدروا له قدره" أي أنك تزعم أن الأيام تطول لكنها لا تطول، فاقدروا اليوم كما أنتم تقدرونه، لأن الضميرين المذكرين اللذين وقعا في هذه الجملة يرجعان إلى اليوم لا إلى الصلاة.

العلامة الثامنة: حمار الدجال

يخرج الدجال على حمار أقمر ما بين أذنيه سبعون باعًا" (مشكاة المصابيح) وفي رواية "تحته حمار أقمر طول كل أذنٍ من أذنيه ثلاثون ذراعًا، ما بين حافر حماره إلى الحافر مسيرة يوم وليلة، تطوى له الأرض منهلا، يتناول السحاب بيمينه، ويسبق الشمس إلى مغيبها، يخوض البحر إلى كعبيه، أمامه جبل دخان وخلفه جبل أخضر ينادي بصوت له يسمع به ما بين الخافقين إليَّ أوليائي إليَّ أحبائي (كنز العمال: الجزء السابع صفحة ٢٦٦).

هذه صفات حمار يركبه الدجال ولو قلنا بوجود حمار الدجال متصفًا بتلك الصفات التي ذكرت في الأحاديث من حيث الظاهر، فلا يقبله أي عاقل، وكيف يمكن أن يولد حمار يكون طوله أذنه الواحدة ثلاثون ذراعًا ويمشي ليلا ونهارًا بلا تعب وضجر وينادي الراكبين بصوت عال! ويخوض البحر إلى كعبيه! ويجري بهذه السرعة حتى يسبق الشمس إلى مغيبها. وعلاوة عن ذلك: أية أتان في الدنيا تلد ذلك الحمار العجيب؟

فالحق أنه إشارةٌ إلى مركب جديد يخترع في آخر الزمان ويسهل السفر ويكون سريع السير ويصوت بصوت جهوري الذي يسمع به ما بين الخافقين ولسرعة سيره وسهولة السفر به لا يلتفت الناس إلى مراكب أخرى حتى أن الجمال التي كانت تقطع معظم الطرق في أيام خالية لا يعتد بها، وإليه أشار الله سبحانه وتعالى بقوله ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾(سورة التكوير)، و﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾(سورة النحل).. أي أن الله تعالى يخلق مراكب أخرى لا تعلمون الآن ماهيتها وحقيقتها. وفي الحديث: "لَيُترَكُنَّ القِلاصُ فلا يُسعَى عليها" (صحيح مسلم، باب نزول عيسى ابن مريم". وقال صاحب المرقاة عنه: "والمعنى أنه يترك العمل عليها استغناء عنها لكثرة غيرها" (الجزء الخامس ص٢٢١). وقد استغنى الناس في هذه الأيام عن العِشار والقِلاص لوجود البواخر والسيارات والقطارات التي تجري بسرعة ليلا ونهارًا وتنادي الركاب بصوت جهوري وهي لا تتعب ولا تكلّ، والدخان يصاحبها، وفي موضع آخر قد ورد في أمر ذلك المركب المعهود "توشك أن تخرج نار مِن حبسِ سيلٍ تسير سيرَ بطيئةِ الإبلِ" (كنـــز العمال، الجزء السابع صفحة٢٠٥). وهذا متحقق في القطار والبواخر وغير ذلك من المراكب الحديثة، وأما خوضه في البحر إلى كعبيه فلا يخفى على الذي رأى البواخر سابحات في البحار.

نظرة أخرى في الدجال من حيث علم التعبير

قد تقدم أن أحوال الدجال وصفاته ظهرت للنبي ﷺ بتوسط الكشف والرؤيا، فحريٌّ بنا أن نمعن النظر فيها من حيث علم التعبير أيضًا لأن بعض أمور الرؤيا قابل للتأويل.

فاعلم أن النبي ﷺ رأى الدجال أعور العين، فالمراد من العين كما ورد في تعطير الأنام: "عينُ الإنسان في المنام دينُ الرجل وبصيرته التي يبصر بها الهدى والضلالة." (الجزء الثاني ص٨٢)

"عينُ الآدمي دينه. ومن رأى أنه يداوي عينه فإنه يصلح دينه". (الجزء الثاني ص٨٣)

العور: "من رأى في المنام أنه أعور العين أصاب إثمًا كبيرًا عظيمًا." (الجزء الثاني ص٨٤)

العمى: هو في المنام ضلالة في الدين. والعمى أيضًا غنى، فمن رأى أنه أعمى استغنى (الجزء الثاني ص٨٥).

هذا، ورأى تميم الداري الدجال مغلولة يده بالحديد وتعبيره: "من رأى أن يده مغلولة إلى عنقه فإنه يصيب مالا لا يؤدي حق الله فيه. والغُلّ يدل على عمل غير صالح وكسب حرام." (الجزء الثاني ص١٠٨)

أما كون الدجال شابًا فتعبيره: "الشاب في المنام عدو الرجل. والشاب مكر وخديعة، أو عدو مكروه." (الجزء الثاني ص١٣)

ورأى النبي ﷺ الدجال جعد الرأس وتعبيره: "شعر الرأس هو في المنام مال وطول عمر، وإن رأى أن شعره جعد فإنه يُشَرَّف ويعز وينال سيادة وعزًا." (الجزء الثاني ص٨)

وأما ركوبه على الحمار فتأويله: "الحمار، قال دانيال رؤيا الحمار بخت وعلو مرتبة." (الإشارات، الجزء الثاني ص٢٨٣)

و"الحمير ركوبها في المنام يدل على الزينة بالمال. فإن كان الحمار كبيرًا فهو رفعة. وإذا كان أبيض فهو زين صاحبه وبهائه." (تعطير الأنام الجزء الأول ص١٦٥)

و"إذا كان جيد المشي فهو الدنيا" (منتخب الكلام: الجزء الأول ص١٣٤).

و "من رأى حمل على حماره حملا ثقيلا وركب فوقه فإنه يدل على ازدياد المال وغنى بلا نهاية ولا حصر. وقال أبو سعيد الواعظ: الحمار همة الإنسان وجدّه." (الإشارات الجزء الثاني ص٢٨٤)

نوع فتنة الدجال

إذا أنعمنا النظر في أمر الدجال ينكشف لنا بقرائن قوية أنه يضل الناس بالشكوك والشبهات ويوسوس في صدور الناس ويصيدهم بشبكة مكره وزوره وها هي تلك القرائن.

(القرينة الأولى): قال النبي ﷺ "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال (صحيح مسلم، باب فضل سورة الكهف).

إذا كانت فتنة الدجال بالجبر والقهر فماذا تفيد قراءة الآيات فقط، وكيف يمكن أن يتقي الإنسان من فتنته بتلاوتها، ولكن بما أن فتنته كانت وساوس وشبهات يلقيها في قلوب الناس.. ولا شك أن القرآن المجيد مزيل لمثل تلك الشبهات والوساوس، ولذلك قراءة القرآن تحفظ المؤمن من فتنته.

(القرينة الثانية): قال رسول الله ﷺ "إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم (صحيح مسلم باب ذكر الدجال).. أي إن يخرج الدجال في زماني فأنا أخاصمه وأناضله بالحجة والبرهان وإن يخرج بعدي فكل شخص يدافع عن نفسه بالحجة والبرهان. والحجيج المخاصم والمغالب بالدليل. ورد في حاشية مشكاة المصابيح: "فأنا حجيجه أي فأنا مخاصمه ومغالبه بالحجة، فعيل بمعنى فاعل من الحجة وهي الغلبة".

وقد ورد في النهاية لابن الأثير: "وفي حديث الدجال: "إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه" أي غالبه بإظهار الحجة عليه. والحجة الدليل والبرهان يقال: حاججته حجاجًا ومحاجة فأنا محاج وحجيج فعيل بمعنى مفاعل، ومنه الحديث فحج آدم موسى أي غلبه بالحجة".

وفي القرآن المجيد أيضًا الحجيج المخاصم باللسان والعلم يقول الله تبارك وتعالى:

﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾(سورة آل عمران)

﴿أَوْ يُحَآجوكُمْ عِندَ رَبكُمْ﴾(سورة آل عمران)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِي حَآجَّ إبراهيم فِي رَبهِ﴾(سورة البقرة)
﴿وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللهِ﴾(سورة الأنعام)

(القرينة الثالثة) "قال رسول الله ﷺ: من سمع بالدجال فلينْأ منه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه لما يبعث به من الشبهات (مشكاة المصابيح ص٤٦٩).

(القرينة الرابعة) "إن الله يعصم المؤمن بما عصم به الملائكة من التسبيح (الطبراني).

ومن المعلوم أن التسبيح إنما هو علاج الوساوس، وإلا كيف يستعمل التسبيح في مقابلة السيف. فظهر من ذلك أن الدجال يشكك المؤمنين، والتسبيح يوفقهم لاجتذاب رحمة الله تعالى، والله يحفظهم.

(القرينة الخامسة) "فعاث يمينًا وعاث شمالا، يا عباد الله فاثبتوا (صحيح مسلم، باب ذكر الدجال). فثبت من هذا أن فتنة الدجال تكون من قبيل الشكوك والشبهات، وإذا بلغت هذه الفتنة الصماء إلى منتهى الحد وانتشرت انتشارًا مريعًا وأحدقت الدنيا بحذافيرها يبعث الله المسيح الموعود عليه السلام لقمع تلك البلية بحربة سماوية؛ ليقتل بها الدجال ويزيل الكفر والفسوق والعصيان من الغبراء، ويوصل الخلق إلى رب الخضراء. وأما قتل المسيح الدجال بحربة سماوية فهو أمر روحاني أي أنه يأتي بحربة روحانية من السماء لا من الأرض، ويؤيَّد بالدلائل الساطعة والبراهين الدامغة التي تدحض سحر الدجال وتزهق باطل الكذاب، لا أنه يأتي بالسِّنان والصارم البتار لقطع أعناق الفجار وسفك دماء الكفار، بل يأتي لوضع الحرب ورفع القتال. وفوق ذلك ماذا

يفيد السيف والسنان إزاء المدافع والغازات السامة والقنابل التي تتساقط من الطيارات وتبيد الخلق في وقت يسير، وتدمر العمران في لحظة واحدة؟ وَلَنِعْمَ ما قاله المسيح الموعود عليه السلام:

السيف أنفاسي ورُمحي كلمتي ... ما جئتُكم كمحاربٍ بسِنانِ

وقال في موضع آخر:

يا ربّ أَرِني يومَ كسرِ صليبِهم ... يا رب سلِّطْني على جدرانهمْ

فإذا تكلّمْنا فسيفٌ قولنا ... رمحٌ مُبيد لا كمثل بيانهمْ

ولقد أُمرتُ من المهمين بعدما ... هاجت دخانُ الفتن من نيرانهم

ما قلتُ بل قال المهيمن هكذا ... ما جئتُهم بل جاء وقت هواهم

إن الصليب سيُكْسَرنْ ويُدقَّقَنْ ... جاء الجِيادُ وزهَق وقتُ أتاهم

وسيُرغمُ الله القديرُ أنوفَهم ... ويُري المهيمنُ ذُلَّ داءِ خُناهم

هل الدجال فردٌ واحد

يقول بعض الناس أن الدجال هو فرد واحد وشخص معين، ولكن الحقيقة أن الدجال فرقة عظيمة يقطعون أكناف الأرض ويلبسون الحق بالباطل ويدنسون الأرض بالتمويهات والتلبيسات كما أثبتنا أولا من اللغة العربية. وأما ما جاء ذكره في بعض الأحاديث بصيغة الواحد، فهو باعتبار الوحدة النوعية لا باعتبار الوحدة الشخصية. ويؤيد قولنا هذا الأحاديث الآتية:

(١) إن النبي ﷺ قال "من حفظ عشر آياتٍ من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال (صحيح مسلم: باب فضل سورة الكهف). وفي رواية "من قرأ

العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال" (مسلم، والفتح الكبير الجزء الثالث ص٢٢٥).

إن أمر رسول الله ﷺ بقراءة فواتح سورة الكهف وأواخرها عند ظهور الدجال لم يكن إلا لأنه يوجد فيها ذكر الدجال، ألا وهم القوم الذين اتخذوا المسيح ابن مريم ولدًا لله وإلهًا من دونه، وضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا. وإن أكبر فتنة في العالم هي عقيدة اتخاذ الولد لله سبحانه وتعالى، يقول الله عز وجل في القرآن المجيد ﴿تَكَادُ السمَوَاتُ يَتَفَطرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَق الأَرْضُ وَتَخِر الْجِبَالُ هَدًّا، أَنْ دَعَوْا لِلرحْمَنِ وَلَدًا﴾ (مريم ٩١-٩٢)، ولذلك علمنا الله في سورة الفاتحة دعاء أن لا نكون من ﴿المغضوب عليهم﴾ ولا من ﴿الضالين﴾؛ والمراد منهما اليهود والنصارى راجع الكشاف والجلالين. وفي الفتح الكبير "اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضلال: الجزء الثالث ص٤٤٠).

ويتضح من هذا الدعاء أن هناك فتنة عظيمة في الزمن الأخير، فلا بد أن تكون هذه الفتنة من اليهود أو النصارى. وتأخير ذكر النصارى يدل على أن فتنتهم أعظم وأدهى وأمَرّ، ولا يخفى ذلك على أولى الأبصار.

(٢) ﴿لَخَلْقُ السمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ الناسِ﴾ (سورة غافر)

يتبين من هذا أن الدجال يخترع صنائع بديعة حتى يتحير الناس منها، والمراد من الناس هنا الدجال كما أشار إليه بعض المفسرين: "وقال قوم أكبر وأعظم من خلق الدجال، ولكن أكثر الناس لا يعلمون؛ يعني اليهود الذين يخاصمون

في أمر الدجال" (تفسير معالم التنـــزيل، ولباب النقول في أسباب النـــزول لجلال الدين السيوطي).

(٣) أخبرتني أم شريك سمعت النبي ﷺ يقول: "لَيَفِرَّنَّ الناس من الدجال في الجبال. قالت أم شريك: يا رسول الله، أين العرب يومئذ؟ قال هم قليل". (صحيح مسلم الجزء الثاني صفحة ٥٢٢ باب في بقية من أحاديث الدجال).

وفيه إشارة إلى أن الدجال هو اسم فرقة عظيمة.

ولذا قال النبي ﷺ العرب يومئذ قليل، وفي حديث آخر قال النبي ﷺ "تقوم الساعة والروم أكثر الناس" (صحيح مسلم الجزء الثاني صفحة ٥٠٠ باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس) والروم هم النصارى.

لقد ثبت من هذه الأدلة أن الدجال هي فرقة عظيمة غاوية مغوية خادعة، وهم قسوس النصارى وفلاسفتهم الذين انتشروا في مشارق الأرض ومغاربها وغطّوا وجه التوحيد بحجاب التثليث، فنعوذ بالله من فتنهم وأباطيلهم، ونرجع إليه فهو نعم المولى ونعم النصير.

العلامة الخامسة عشرة: خروج يأجوج ومأجوج[٢٢]:

"وأما ما قيل عن خروج يأجوج ومأجوج في زمن المسيح وما يتعلق بالبحث التاريخي عنهما فلا يمكنني أن أستوفيه مفصلا في هذه العجالة، غير أنني أذكر

[٢٢] منقول من حياة المسيح ووفاته، تأليف مولانا زين العابدين ولي الله شاه أستاذ تاريخ الأديان بكلية صلاح الدين الأيوبي في بيت المقدس سابقًا. المؤلف

لكم جماع القول الراجح فيهما بالاختصار التام ضاربًا الصفح عن ذكر أقوال المؤرخين المختلفة وآراءهم المتضاربة المتشتتة".

"يقول حزقيال النبي في الإصحاح التاسع والثلاثين: وأنت يا ابن آدم، تنبأ على جُوجٍ وَقُلْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا عَلَيْكَ يا جوج رئيس روشٍ، ماشِك، وتوبال، وَأَرُدُّكَ وَأَقُودُكَ وَأُصْعِدُكَ من أقاصي الشمال وآتي بك على جبال إسرائيل وأضرب قوسك من يدك اليسرى، وأسقط سهامك من يدك اليمنى. فتسقط على جبال إسرائيل أنت وكل جيشك والشعوب الذين معك أَبْذُلُكَ مَأْكَلاً للطيور الكاسرة من كل نوع ولوحوش الحقل. على وجه الحقل تسقط، لأني تكلمت، يقول السيد الرب. وأرسل نارًا على ماجوج وعلى الساكنين في الجزائر آمنين. فيعلمون أني أنا الربّ." (حِزْقِيال ٣٩: ١-٦)

"ألفت نظر القراء إلى الأسماء الثلاثة الواردة فوق، وهي روش (روسيا) وماشك (ماسكو) وتوبال (توبالسك)، وكذلك الجملة الآتية: "وأرسل نارًا على ماجوج وعلى الساكنين في الجزائر".

وكان في متحف جلد هال (Guild Hall) في مدينة لندن تمثالان جسيمان ليأجوج ومأجوج (Gog and Magog) تقول عنهما الانسايكلوبيديا البريطانية ما معناه "وكان يوجد في لندن تمثالان كالتمثالين اليوم من عهد هنري الخامس ملك إنكلترا" (راجع فيه الاسمين المذكورين).

"فبناء على وجود هذا الأثر التاريخي وما تحكي لنا عنه الأساطير السكسونية، وعلى كثير من الأدلة الأخرى نستدل على كون يأجوج ومأجوج هما

رجلان كبيران من آباء الشعبين الروس والإنكليز سكان الجزائر البريطانية، وما تفرع منهما من الشعوب الأوروبية والأمريكية.

ويحكم أحمد المسيح الموعود بالحكم الواحد على "أن هؤلاء الشعوب الروسية والإنكليزية هي المراد بقوله تعالى: ﴿حَتى إِذَا فُتحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم من كُل حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾(سورة الأنبياء).. أي أنهم بفضل قوتهم الموهوبة واستعداداتهم المفطورة يغلبون على جميع ما في الأرض كأنهم في سير ارتقائهم وغلبتهم كالسيل الجارف الذي ينحدر من فوق الأنجاد إلى الوهاد. وإلى تنازُعهم الشديد وتضاربهم العنيف تشير الآية: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئذ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا، وَعَرَضْنَا جَهَنمَ يَوْمَئذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا، الذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ﴾ الآية من أواخر سورة الكهف. (الملخص من كتاب إزالة الأوهام صفحة ٢٥١ – ٢٥٣).

"وقصارى القول أن ليس ثمة اختلاف بين ما يُنذر القرآن الحكيم وبين ما تصفه الأحاديث النبوية، فالفتنة المسيحية التي تكاد السموات يتفطرن منها إلخ، وفتنة الدجال الأعور وفتنة يأجوج ومأجوج ليست إلا شيئًا واحدًا في اعتقادنا. وإنما سميت الفتنة المعهودة فتنة الدجال من أجل أن القائمين بها يتوسلون بالتدجيل والتمويه والمكر والحيلة في جميع أعمالهم، وفتنة يأجوج ومأجوج (انظر الحاشية المرفقة المصورة)[٢٣]، باعتبار قوميتهم، وفتنة المسيحية

---

[٢٣] يقول الإمام الأصفهاني في المفردات في معنى يأجوج ومأجوج ما نصه: "من قولهم أجيج النار وأجتها وقد أجت وائتج النهار، ويأجوج ومأجوج منه. شبهوا بالنار المضطربة والمياه المتموجة لكثرة اضطرابهم". فاشتقاق الاسم يدل على أن هؤلاء الناس يسخرون الماء والنار في أشغالهم وتنفيذ برنامجهم خاصة!، وهذا هو المشاهد في حالات أقوام أوروبا. منه

نظرًا إلى ديانتهم. إن القرآن العظيم هو المحور العظيم والمحور الأول لجميع معتقداتنا الأساسية وبميزانه ومعياره نزن ونقيس ونؤول الأحاديث المروية، فما خالفه ظاهرًا وباطنًا ولا يقبل تأويلاً ما.. نضرب عنه صفحًا، لأن القرآن العظيم هو المقدم قبل كل شيء ثم الأحاديث المقدسة بعده".

العلامة السادسة عشرة: خسوف القمر وكسوف الشمس

من آثار القيامة وأخبار آخر الزمان وأمارات ظهور المسيح الموعود والمهدي المعهود خسوف النيّرين في شهر رمضان. إن الله تبارك وتعالى قد أخبر عن هذا النبأ العظيم في القرآن الحكيم، حيث قال ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ، وَخَسَفَ الْقَمَرُ، وَجُمِعَ الشمْسُ وَالْقَمَرُ، يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئذٍ أَيْنَ الْمَفَر﴾ سورة القيامة. ويؤيد قولنا هذا ما جاء في سنن الدارقطني "إن لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خلق السموات والأرض ينخسف القمر لأول ليلة من رمضان وتنكسف الشمس في النصف منه" (سنن دار قطني صفحة ١٨٨).

وكان هذا الخبر في حيز الخفاء والستر حتى ظهر المهدي الموعود عليه السلام وتجلت آية خسوف القمر وكسوف الشمس في سنة ١٣١١ هجرية تصديقًا لدعواه.

وليكن معلومًا أن رواية الدار قطني تحتوي على أربع حقائق:

(الأولى) خسوف القمر في رمضان لأول ليلة من ليالي الخسوف وهي ١٣، ١٤، ١٥.

و(الثانية) كسوف الشمس في رمضان ليوم وسط من أيام كسوف الشمس وهي ٢٧، ٢٨، و٢٩.

و(الثالثة) وقوع خسوف القمر وكسوف الشمس في شهر واحد أي في شهر رمضان.

و(الرابعة) ظهور المهدي قبل وقوع هذه الآية حتى تكون دليلاً على صدق دعواه.

والحق أن الآية قد ظهرت طبق الشروط المذكورة، وأنها مختصة بزمان المسيح الموعود والمهدي المسعود عليه السلام، وأنها لم تظهر كآية لأحد من المهديّين منذ خلق السموات والأرض، ولن تظهر مرة ثانية ما دامت السموات والأرض، وإن وقوعها تأييد للمهدي عليه السلام وإظهار لصدق أفضل الرسل ﷺ.

العلامة السابعة عشرة:

بعث المسيح ابن مريم ونزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق.

لا يخفى عليكم أن العلماء الأقدمين قد اختلفوا في تعيين موضع ظهور المسيح الموعود حسب الروايات المختلفة المدونة في كتب الأحاديث؛ فقد جاء في رواية: ينــــزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق (باب ذكر الدجال)، وفي رواية: بيت المقدس شرقي دمشق، وفي رواية: بمعسكر المسلمين.

وقد وفّق الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله بين هذه الروايات بقوله: "حديث نزول عيسى ببيت المقدس عند المصنف وهو أرجح ولا ينافيه سائر

الروايات، لأن بيت المقدس وهو شرقي دمشق وهو معسكر المسلمين إذ ذاك." (هامش على سنن ابن ماجة الجزء الثاني صفحة ٥١٠).

وكذلك قال الإمام ملا علي القاري بعد ذكر قول السيوطي ما نصه "قلت حديث نزوله ببيت المقدس عند ابن ماجة وهو عندي أرجح ولا ينافي سائر الروايات لأن بيت المقدس شرقي دمشق." (مرقاة شرح مشكاة المصابيح)[٢٤].

ولكن الحافظ ابن كثير يقول عن رواية نزول المسيح عند المنارة شرقي دمشق: هذا هو الأشهر في موضع نزوله (هامش على ابن ماجة).

فثبت من أقوال الأئمة الكبار أنه لم يكن ضروريًا أن يؤخذ من ألفاظ الحديث الذي ورد فيه عند المنارة البيضاء شرقي دمشق أن ينـــزل المسيح الموعود في دمشق، بل كان المراد منه أن يظهر في موضع يكون شرقي دمشق.

وأما انتظار المشايخ وقولهم أنه ينـــزل على المنارة الموجودة في الجامع الأموي، فهذه خرافة دخلت في الإسلام من النصارى، لأن في هذا المقام كانت كنيسة أولاً، ولم يكن أثر للجامع الأموي في وقت رسول الله ﷺ ولا توجد رواية بهذا المعنى. فالمسيح الموعود ظهر من قرية قاديان التابعة لولاية بنجاب وهي في شرق دمشق تمامًا، وأما بيت المقدس فهو ليس في شرقها بل واقع في الجهة الجنوبية الغربية من دمشق، وكذلك يثبت من بعض الأحاديث الأخرى أن ظهور المسيح الموعود يكون من البلاد الهندية، لأن رسول الله ﷺ قال عن مقام الدجال "بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق وأومأ بيده

[٢٤] انظر كيف كان العلماء الأقدمون يخطئون في بعض الأحيان ويصدقون أقوال من قبلهم من دون تفكر وتحقيق، فهل يوجد عاقل يقبل قولهم بأن بيت المقدس في شرقي دمشق.

إلى المشرق" (صحيح مسلم الجزء الثاني صفحة ٥٢ باب في خروج الدجال). فلما ثبت أن الدجال يخرج من البلاد الواقعة في مشرق الحجاز ثبت كذلك أن ظهور المسيح الموعود الذي هو مأمورٌ بقتله بالحجة والبرهان وإصلاح ما يفسد الدجال من العبث بعقائد المسلمين، يكون أيضًا من البلاد المشرقية وهي البلاد الهندية. وظاهرٌ أن دمشق ليست في شرق الحجاز بل في شمالها ولكن قاديان التابعة لولاية بنجاب واقعةٌ في شرق الحجاز، كما هي شرقي دمشق أيضًا، ولا يخفى أن فتنة المبشرين المسيحيين عند ظهوره كانت بلغت مفاسدها منتهاها في البلاد الهندية، وكان قد تنصر من الطوائف الهندية خمسمائة ألف من البشر كما كتب القسيس هيكر مفتخرًا في كتابه. وكانت الفئة المبشرة المسيحية تنشر كتبًا مشحونةً بالاعتراضات على الدين الإسلامي. وإن فتنتها أعظم بلاءٍ من جميع البلايا التي ابتليت بها الأمة الإسلامية منذ نشأتها، فكان من جرائها ما ذكر المسيح الموعود في خطبة عربية ألقاها صبيحة عيد الأضحى سنة ١٣١٧ هجرية فقال عن المسلمين ما يأتي:

"ومنهم قومٌ مالوا إلى الفلسفة التي أشاعوها وفي أمر الدين يتساهلون. وكم من كلم تخرج من أفواههم ويحقرون دين الله ولا يبالون. ومنهم قومٌ أكملوا أمر الضلالة وارتدّوا عن الإسلام وعادوه عن جهالةٍ، وكتبوا كتبًا في الرد عليه وشتموا رسول الله ﷺ وصالوا على عرضه، وتلك أفواجٌ في هذه البلاد، فإنا لله وإنا إليه راجعون" (صفحة ١٠٨).

ولذلك اقتضت حكمة الله أن يظهر المسيح الموعود الذي هو كالبدر لشمس العالم الروحاني أي محمد ﷺ من الشرق، كما يطلع البدر الظاهر من المشرق، وأما ظهوره من شرق دمشق فإشارةٌ إلى أنه يقتل تلك الوساوس التي كان أول ما زُرِع بذرها في أرض دمشق بيد بولس كما هو مذكورٌ في أعمال الرسل الإصحاح التاسع. فبشر رسول الله ﷺ أمته بأن فتنة ألوهية المسيح التي كانت دمشق منبعها ومبدأها تُجتاح وتزول من وجه الأرض كلها بواسطة البراهين النيرة والأنوار السماوية التي تكون مع المسيح الموعود الذي يظهر من شرقها.

ثانيًا بما أن غرض بعثته إظهار الدين الإسلامي على الأديان كلها بالبراهين لذلك كان ضروريًا أن يظهر في الهند، لأن هذا الغرض لا يتم إلا أن يبعث المسيح الموعود في موضعٍ يكون فيه المسلمون بكثرةٍ وتكون سائر الأديان الأخرى موجودةً والحرية الدينية تكون حاصلةً بكل معنى الكلمة. وغير خافٍ أن هذه الشروط الثلاثة ما وجدت مجتمعةً في بلدٍ من البلاد سوى البلاد الهندية لذلك صار ظهوره منها"[٢٥].

قد قلنا فيما سبق أن الأحاديث الواردة عن خروج الدجال ونزول المسيح بن مريم وعلامات ظهوره إنما هي كشوف ورؤى رسول الله ﷺ التي تشتمل على أنباءٍ غيبيةٍ واستعاراتٍ ليست بمحمولةٍ على ظاهرها، وقد وقع أكثرها من حيث التعبير كما بينا، ولا تعلم حقيقة الأخبار الغيبية إلا بعد وقوعها.

[٢٥] مأخوذٌ عن "جوهر الكلام" تأليف الأستاذ الفاضل جلال الدين شمس صفحة من ٢٦ إلى ٢٨.

ولقائل أن يقول إن تأويل الأنباء المتعلقة بالدجال ونزول المسيح وأماراته مخالفٌ لإجماع الأمة.

فالجواب أنه لا يفيد الإجماع في الأنباء الغيبية لأن الأمور التي هي من قبيل الغيب والتي لا تزال رهين المستقبل لا يمكن لإنسانٍ أن يعرف كيفية وقوعها قبل ظهورها. فكيف يصح الإجماع عنها؟ (ومعلومٌ أن الله تعالى قد يوحي إلى أنبيائه ورسله في حلل الاستعارات والمجازات والتمثيلات، ونظائره كثيرةٌ في وحي خير الرسل عليه الصلاة والسلام، منها ما جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: رأيت ذات ليلةٍ فيما يرى النائم كأنا في دار عقبة بن رافع فأتينا برطب من ابن طاب فأولت الرفعة لنا في الدنيا والعافية في الآخرة، وإن ديننا قد طاب. — صحيح مسلم باب تأويل الرؤيا". ومنها ما جاء في حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: "رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرضٍ بها نخلٌ فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب. ورأيت في رؤياي هذه أني هززت سيفًا فانقطع صدره، فإذا هو ما أُصيب من المؤمنين يوم أُحد، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين". (صحيح مسلم باب تأويل الرؤيا، وصحيح البخاري الجزء الثالث. كتاب المغازي باب من قتل من المسلمين يوم أحد).

ومنها ما روى الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن بعض أزواج النبي ﷺ قلن للنبي ﷺ أيّنا أسرع بك لحوقًا؟ قال أطولكن يدًا. فأخذوا قصبةً يذرعونها فكانت سودة أطوَلَهن يدًا. فعلمنا بوفاة زينب إنما كانت طول

يدها الصدقة وكانت أسرعنا لحوقًا به وكانت تحب الصدقة (صحيح البخاري باب الرؤيا في الصدقة). انظروا كيف أخطأن إذ حملن طول اليد على الطول الظاهري؟ فلما توفيت زينب رضي الله عنها أولا عرفن بأن المراد من طول اليد السخاء والصدقة لا الطول الظاهر (راجع فتح الباري الجزء الثالث باب صدقة السر).

ومنها: "قال رسول الله ﷺ بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه حتى أني لأرى الري يخرج من أطرافي فأعطيت عمر بن الخطاب، فقال مَن حوله فما أوَّلت ذلك يا رسول الله؟ قال العلم (صحيح البخاري كتاب الحيل، باب التعبير).

ومنها "بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما. فأوحي إلي في المنام أن انفخهما! فنفختهما، فطارا. فأوَّلتهما كذابَّينِ يخرجان بعدي أحدهما العنسي والآخر مسيلمة (البخاري الجزء الثالث صفحة ٤٩ كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة).

ومن هذا القبيل رؤيا إبراهيم عليه السلام المذكورة في القرآن المجيد ﴿فَلَما بَلَغَ مَعَهُ السعْيَ قَالَ يَا بُنَي إِني أَرَى فِي الْمَنَامِ أَني أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ مِنَ الصابِرِينَ، فَلَما أَسْلَمَا وَتَلهُ لِلْجَبِينِ، وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إبراهيم قَدْ صَدقْتَ الرؤْيَا إِنا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة الصافات).. أي أن الله تعالى لما أراد أن يتوب عليه ويزيده قربًا ويجعله خليله المجتبى أراه في الرؤيا بطريق التمثل كأنه يذبح ولده العزيز قربانًا لله الأعلى. ما كان تأويله إلا ذبح الكبش لا ذبح الولد! انظر كيف أوَّل

رؤياه؟ فإنه حمل هذه الواقعة أولا على الظاهر وأراد أن يذبح ابنه لكن الله تعالى لما فهَّمه تأويل هذه الرؤيا ترك الابن. فاعلم أن ذبح الابن في حلم إبراهيم عليه السلام ما كان إلا بسبيل التجوُّز والاستعارة ليصطفيه الله رحمة من عنده ويري الخلق إخلاصه وطاعته للمولى وليبتلي إبراهيم في صدقه ووفائه وانقياده لربه، فما لبث إبراهيم إلا تل الولد العزيز للجبين ليذبحه. كذلك رؤيا يوسف عليه السلام ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (سورة يوسف). وأنه ما علم تأويل رؤياه حتى أنه رأى أن أبويه وأخوته خروا له سجدًا! فقال ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِي حَقا﴾ (سورة يوسف). فثبت من ههنا أن وحي الأنبياء قد يكون من نوع المجاز والاستعارة.

هذه سنة الله مضت في الأوَّلين يبتلي بها عباده! وليست من قبيل الظلم بل من جميل إحسانات الله على عباده الصالحين، لأنهم يُبتلون عند الأنباء النظرية الدقيقة بابتلاء دقيق من ربهم ثم يعرفون بنور عقلهم ولطافة فراستهم الصراط المستقيم، فيتحقق لهم الأجر عند ربهم ويرفعهم الله درجات ويميزهم من غيرهم ويلحقهم بالواصلين. ولو كان الخبر مشتملاً على انكشاف تام وعلامات بديهة واضحة لجاوز الأمر من حدّ الإيمان، ولأقر به المفسد المعاند كما أقر به المؤمن المطيع، وما بقي على وجه الأرض أحد من المنكرين. ولضاع الثواب وبطل العمل! فتفكر فإن الله يهدي المتفكرين. ومن كان عالما صالحًا مجتهدًا في طلب الحق ينوِّر الله قلبه ويريه طريقه ويعطيه فراسة من عنده وإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

المبحث السادس

في عدم انقطاع الوحي

يزعم البعض أن الوحي قد انقطع بعد النبي ﷺ، وأن الله تعالى لا يكلم أحدًا من الناس، ولكن هذا الوهم باطل بالبداهة، لأن الوحي هو الشيء الوحيد الذي يزيل الشك والارتياب ويزيد الإنسان معرفة ويقينًا في ذات الله تعالى، وبه يطمئن القلب المضطرب وينطفئ عطش الغليل وتلتئم الجراحات ويتسلى المكروب ويتميز الإله الحق السميع البصير المجيب عن الآلهة الباطلة؛ لأنها لا تسمع ولا تتكلم ولا تجيب أحدًا؛ يقول الله تعالى:

﴿وَمَنْ أَضَل مِمنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ (الأحقاف: ٦)

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ، أَفَلا يَرَوْنَ أَلا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلا وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا﴾ (طه: ٨٩-٩٠)

﴿وَاتخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلا اتخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (الأعراف ١٤٩).

فإذا كان الله لا يجيب دعاء الناس ولا يرد عليهم ولا يكلمهم، فإذن ما الفرق بين الإله الحق والأصنام؟ ثم إن النبي ﷺ أخبرنا أن الله تعالى يوحي إلى عيسى عليه السلام حين يرسله؛ "وكذلك إذ أوحى الله إلى عيسى" (صحيح مسلم باب ذكر الدجال وصفته). وهكذا اتفق الأئمة الكبار والعلماء العظام على

أن المسيح الموعود لما يأتي يوحي الله إليه. والوحي الذي هو منقطع بعد رسول الله ﷺ هو وحي التشريع لا الوحي مطلقًا، يقول العلامة الآلوسي البغدادي ما نصّه "وادّعى بعضهم الوحي إلى عيسى .. وقد سئل عن ذلك ابن حجر الهيثمي فقال نعم يوحى إليه عليه السلام كما في حديث مسلم .. فبينما هو كذلك إذ أوحى الله تعالى يا عيسى.. وذلك الوحي على لسان جبرائيل . وخبر: (لا وحي بعدي) باطل، وما اشتهر أن جبرائيل لا ينـــزل إلى الأرض بعد موت النبي ﷺ فهو لا أصل له، ولعله نفى الوحي عليه السلام بعد نزوله وأراد وحي التشريع (راجع روح المعاني الجزء السابع صفحة ٦٥).

والوحي ليس بمختص بالأنبياء فقط؛ إن الله تعالى يكلم في بعض الأحيان غير الأنبياء أيضًا يقول الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ (الشورى: ٥٢) وثبت من هذه الآية أن الله تعالى يوحي إلى غير الأنبياء بالطرق التي يوحى بها إلى الأنبياء؛ لأن الله تعالى لم يقل في الآية المذكورة وما كان لنبي أن يكلمه الله، بل قال ما كان لبشر سواء كان نبيًا أو غير نبي؛ ولهذا نرى أن الله تعالى أوحى إلى أم موسى كما قال في سورة طه: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمكَ مَا يُوحَى﴾ (طه: ٣٩)، وإلى الحواريين: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ (المائدة: ١١٢) وإلى مريم: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِن اللهَ يُبَشرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (آل عمران: ٤٦).

والأسف كل الأسف أن الله قد أوحى إلى كثير من رجال ونساء بني إسرائيل، ولكنه سدّ هذا الباب على الأمة المحمدية حسب زعم بعض العلماء.

فكيف تعتبر هذه الأمة أفضل الأمم وخيرها؟ ولكن الأمر الحق هو ما بيَّنه القرآن الكريم من بقاء الوحي حتى نزول الملائكة على المؤمنين الصالحين. يقول الله عز وجل ﴿إِن الذِينَ قَالُوا رَبنَا اللهُ ثُم اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنةِ التِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدنْيَا وَفِي الآَخِرَةِ﴾ (فصِّلت: ٣١-٣٢)

وأيضًا بيَّن سبحانه وتعالى بأنه يجيب دعاءنا وتضرّعاتنا ولكن بشرط أن نستجيب ونؤمن به كما قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَني فَإِني قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الداعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٧).

المبحث السابع

مجيء المسيح الموعود نبيًا في الأمة المحمدية

من الناس من يعتقد أن باب النبوة قد انغلق وأن سلسلة الرسل قد انقطعت كليًا، ولا يستطيع أحد في المستقبل أن يحصل على مرتبة النبوة ولو كان ذلك باقتداء أفضل الرسل محمد ﷺ، فلذا ينكرون دعوة المسيح الموعود عليه السلام، ولكن هذا الوهم ليس بجديد بل تورَّطت فيه أقوام شتى من قبل لما أخطأوا في فهم رسالة الرسل الذين كانوا أرسلوا إليهم؛ وقد مضى قوم زعموا بأن الله لن يبعث أحدًا وإذا هم بعد زمان يسمعون صوت الحق ونداء المنادي يدعوهم إلى ربهم، يقول الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَك مِما جَاءَكُمْ بِهِ حَتى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولا كَذَلِكَ يُضِل اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ، الذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ (غافر: ٣٥-٣٦). فأصحاب يوسف عليه السلام لم يؤمنوا به أوَّلا وبدأوا يناصبونه العداوة ويخالفونه في حياته ثم زعموا بعد موته: لن يبعث الله من بعده رسولاً. حتى إذا جاءهم موسى بعد يوسف عليه السلام كذبوه بناءً على اعتقادهم الفاسد، ولما توفي موسى عليه السلام اتفق اليهود على العقيدة نفسها كما قيل "إجماع اليهود على أن لا نبي بعد موسى (مُسلَّم الثبوت، الجزء الثاني ص١٧٥ طبع مصر).

وكذلك لما بعث سيدنا ومولانا محمد ﷺ كانت الجن والإنس يعتقدون أن الله لا يرسل أحدًا كما ورد في سورة الجن ﴿وَأَنهُمْ ظَنوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ

يَبْعَثَ اللهُ أَحَدًا﴾ (الجن: ٨). وكذلك اعتقد بعض الناس بعد وفاة النبي ﷺ مثل ما اعتقد الذين خلوا من قبلهم بعد وفاة أنبيائهم. وكان ضروريًا أن يقال للنبي ﷺ كما قيل للرسل من قبله، يقول الله تعالى: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلا مَا قَدْ قِيلَ لِلرسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾(فُصّلت: ٤٤). لكن اعتقادهم هذا وإجماعهم لم يمنع بعثة الرسل بل هلكوا بما كانوا يكفرون، فليتعظ الذين ينكرون نبوة المسيح الموعود عليه السلام، لأن العاقل يتَّعظ بغيره.

اعلم أن النبوة تكون على قسمين: تشريعية وغير تشريعية، يقول الله تعالى: ﴿إِنا أَنْزَلْنَا التوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النبِيّونَ الذِينَ أَسْلَمُوا لِلذِينَ هَادُوا﴾ (المائدة: ٤٥) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرسُلِ﴾ (البقرة: ٨٨)، فالنبوة التشريعية كنبوة موسى وغير التشريعية كنبوة الأنبياء الذين جاءوا مؤيدين للتوراة، يقول الإمام راغب الأصفهاني في مفرداته: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النبِيّونَ الذِينَ أَسْلَمُوا﴾.. أي الذين انقادوا من الأنبياء الذين ليسوا من أولي العزم الذين يهتدون بأمر الله ويأتون بالشرائع. معنى أسلم". ويقول الإمام الرازي روي أن بعد موسى عليه السلام إلى أيام عيسى عليه السلام كانت الرسل تتواتر ويظهر بعضهم في إثر بعض والشريعة واحدة إلى أيام عيسى عليه السلام (الجزء الأول من التفسير الكبير ص٦١٣).

ثم إن النبوة غير التشريعية على نوعين: نبوة مستقلة ونبوة غير مستقلة؛ فالنبوة المستقلة هي نبوة الأنبياء الذين جاءوا قبل النبي ﷺ وكانوا حصلوا على درجة النبوة على الطريقة المستقلة، أي لم يكن اتِّباعُ نبيٍّ سابقٍ شرطًا للحصول عليها، وأما النبوة غير المستقلة فهي النبوة المستفادة باتِّباع نبي آخر

كنبوة أحمد المسيح الموعود عليه السلام؛ لأنه حصل على النبوة باتِّباع سيدنا محمد رسول الله ﷺ. فكلتا النبوّتين الأوليين أعني النبوة التشريعية والنبوة المستقلة قد انقطعتا بعد رسول الله ﷺ بآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾ (المائدة: ٤)، وآية ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النبيينَ﴾ (الأحزاب: ٤١)، وآية ﴿إِنا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ١٠). وأما النبوة غير المستقلة فإنها باقية إلى يوم القيامة بآية ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الذينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النّبيينَ وَالصِّدّيقينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصّالحينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٧٠)، وآية ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبونَ اللهَ فَاتبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ (آل عمران: ٣٢)، لأنها فيض نبوة خاتم النبيين ﷺ وظلها، وليس ثمة مقام الغيْريّة.

وإلى هذا أشار المسيح الموعود عليه السلام بقوله:

"وإن نبيّنا خاتم الأنبياء، لا نبيّ بعده، إلا الذي ينوَّر بنوره، ويكون ظهوره ظِلَّ ظهوره. فالوحي لنا حقٌّ ومِلْكٌ بعد الاتّباع، وهو ضالّةُ فطرتنا وجدناه من هذا النبيّ المطاع." (الاستفتاء ص ٢٩ طبع فلسطين)

وقال عليه السلام في كتابه (سفينة نوح) ما تعريبه:

"إنما يريد منكم سبحانه من حيث العقيدة أن تؤمنوا بأن الله واحد ومحمدًا رسوله وأنه خاتم النبيين وأفضل الناس أجمعين؛ لا نبي بعده إلا الذي ألبس رداء المحمدية على سبيل التمثل والبروز، فإن الخادم ليس بمنفصل عن مخدومه ولا الفرع بمنصرم عن جذعه، لذلك فمن كان بكليته فانيًا في سيده وينال

من الله لقب نبي فما هو مخلّ بختم النبوة، مثلما لا تكون أنت اثنين إذا نظرت في المرآة، بل إنما تكون واحدًا وإنْ يتراءى لك اثنان بادئ الرؤية، وليس الفرق ثمة إلا ما بين الظل والأصل" (التعليم، تعريب مولانا الأستاذ زين العابدين ولي الله شاه ص٢١").

والذين يزعمون بانقطاع النبوة كليًا بعد النبي ﷺ يستدلون بلفظ (خاتم النبيين) الوارد في حق النبي ﷺ قائلين بأنه آخر الأنبياء وإنه ختم النبوة وسدّ بابها. وأما نحن فنقول أن لفظ خاتم لا ينحصر في معنى الأخير بل يحتمل معاني شتى، وفوق ذلك إذا أخذنا لفظ الخاتم بمعنى الأخير فلا يوجد فيه أي فضل للنبي ﷺ على الأنبياء الآخرين لأن الذي يأتي أخيرًا ليس بضروري أن يكون أفضل ممن تقدَّمه؛ كما ترون أن داود وسليمان وزكريا وعيسى وغيرهم من المتأخرين ليسوا بأفضل من موسى وإبراهيم من المتقدمين، وكذلك إن عيسى ابن مريم إذا أتى مرة ثانية بعد النبي ﷺ حسب اعتقاد العلماء فلا يكون أفضل من النبي ﷺ. ولا شك أن لفظ (خاتم النبيين) ورد في مقام المدح للنبي ﷺ ويدل على أفضليته، وإلى هذا أشار ﷺ بقوله: "فُضّلتُ على الأنبياء بستٍّ: أُعطيتُ جوامعَ الكَلِمِ، ونُصرتُ بالرعب، وأُحلّتْ لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأُرسلتُ إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون" (صحيح مسلم الجزء الأول كتاب المساجد).

فالواجب علينا أن نتحرّى الأمر الذي يظهر به فضل النبي ﷺ، فحقيق بنا أن نعرف أولاً معنى الخاتم من حيث اللغة؛ فالخاتم (بفتح التاء وكسرها) حُلِيّ

الأصبع أو ما يختم به أي الطابع، وقد يطلق على النهاية والعاقبة والتمام.
وبعدما علمنا معنى الخاتم، نريد أن نبين حقيقة خاتم النبيين.
فاعلم أن لفظ (النبيين) جمع محلى باللام، يجوز فيه أمران: (الأول) أن يكون اللام فيه للاستغراق فيكون معناه كل النبيين لكونه شاملاً للأولين والآخرين، القدماء والجدد والمشرّعين وغير المشرعين على وجه العموم.
و(الأمر الثاني) أن يكون اللام فيه للعهد كما في قوله تعالى ﴿يقتلون النبيين﴾ ويكون المراد حينئذ من (النبيين) الأنبياء السابقين المستقلين أو المشرّعين فقط، ولا يخفى أن النبي ﷺ ليس بحُلِيٍّ ولا طابع يستعمله الأنبياء، فلذا لا بد من تأويل لكون الرسول خاتمًا للنبيين. وها هو التأويل الصحيح:
(أولا) أنا إذا أخذنا الخاتم بمعنى حُلِيٍّ فظاهر أن الحليّ يُلبَس للزينة، فمعنى خاتم النبيين أن الرسول الأكرم ﷺ هو زينة الأنبياء كما ذكر صاحب "فتح البيان" أن محمدًا ﷺ "صار كالخاتم لهم الذي يختمون به ويتزينون بكونه منهم" (الجزء السابع ص٢٨٦). وكذلك ورد في مجمع البحرين ما نصه: "محمد خاتم النبيين يجوز فيه فتح التاء وكسرها؛ فالفتح بمعنى الزينة مأخوذ من الخاتم الذي هو زينة للابسه" (الجزء الأول). فالأنبياء يتزينون بكونه منهم ويتفاخرون بوجوده المبارك فيهم؛ فهو رئيسهم ونورهم، وبه يتنوَّرون ويباهون.
(ثانيًا) إذا أخذنا الخاتم بمعنى ما يختم به أي اسم الآلة الذي يستعمل للتصديق على القراطيس كما ورد في الأحاديث: "لما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الروم قيل أنهم لا يقرءون كتابًا إلا أن يكون مختومًا فاتخذ خاتمًا من فضة"

(صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب دعوة اليهودي والنصراني). فيكون معنى خاتم النبيين مصدقهم، فالنبي الذي لا يكون عليه ختم تصديق رسول الله ﷺ لا يُعَدّ رسولا صادقًا؛ قديمًا كان أو جديدًا ولا نؤمن به! وهذه حقيقةٌ لا تُنكر، لأنه لو لم يبعث رسول الله ﷺ لم يكن في إمكان أحدٍ أن يثبت نبوة الأنبياء السابقين الذين أرسلوا إلى أممٍ مختلفةٍ لو لم ينــزل في القرآن: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُل أُمةٍ رَسُولا﴾ (النحل ٣٧)؛ فالنبي ﷺ هو مصدقٌ للكل؛ والذي يأتي بعده لا يُقبل إلا إذا كان مصدقًا من قبله مطبوعًا بطابع نبوته مؤيدًا لشريعته.

فلذلك يقول أحمد المسيح الموعود عليه السلام ما نصه: "وإنه خاتم النبيين وعَلَمُ المقبولين. ولا يدخُل الحضرةَ أبدا إلا الذي معه نقشُ خاتمه، وآثار سنته، ولن يُقبَل عمل ولا عبادة إلا بعد الإقرار برسالته، والثباتِ على دينه وملته". (مواهب الرحمن صفحة ٦٧)

(ثالثًا) ثم كما أن الخاتم يحيط بالإصبع كذلك رسول الله ﷺ مستجمعٌ لجميع صفات الأنبياء الكرام وكمالاتهم، وهو أكملهم وأفضلهم على الإطلاق. ولنِعْمَ ما قال المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام:

تمّتْ عليه صفاتُ كلِّ مَزِيّةٍ   خُتِمتْ به نَعْماءُ كلِّ زمانِ

ولإظهار الكمال يُستعمل لفظ الخاتم في اللغة العربية، وقد قال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه:

أ- أنا خاتم الأنبياء وأنت يا علي خاتم الأولياء. (تفسير الصافي)

ب- وكذلك يقول الشاعر في مرثية أبي تمام الطائي:

فُجِعَ القريضُ بخاتَمِ الشعراءِ وغديرِ روضتها حبيبِ الطائي

(وفيات الأعيان لابن خلكان، الجزء الثاني صفحة ١٨، دار صادر بيروت)

ج- طبعت المطبعة الأزهرية بمصر كتاب الإتقان للسيوطي وعلى صفحته الأولى ما نصه: "الجزء الأول من كتاب الإتقان في علوم القرآن لخاتمة المحققين وأوحد المجتهدين حافظ العصر ووحيد الدهر الإمام جلال الدين السيوطي".

د- وكذلك ورد في الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير الجزء الأول صفحة (٢): فإن كتاب الجامع الصغير لخاتمة الحفاظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي السيوطي. وهكذا على الصفحة الأولى من الجامع الصغير.

هـ- وورد أيضًا في حق العلامة الشيخ إبراهيم السقاء المصري: "خاتمة المحققين". (الفتح الكبير الجزء الأول الصحفة ٩)

وكذلك يُستعمل لفظ خاتم المحدثين وخاتم العلماء وخاتم الشهداء، ولا يراد بلفظ الخاتم الآخر بكل معنى الكلمة. فظهر مما سبق أن الآية المذكورة لا تدل مطلقًا على انقطاع النبوة بل تدل على بقائها، لأن كمال النبي لا يتحقق إلا بكمال الأمة، وفضيلة الأستاذ لا تظهر إلا بفضل التلميذ.

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"نعني بختم النبوة خَتْمَ كمالاتِها على نبينا الذي هو أفضل رسل الله وأنبيائه، ونعتقد بأنه لا نبي بعده إلا الذي مِن أمته ومن أكملِ أتباعه، الذي وجد الفيض كله من روحانيته، وأضاء بضيائه". (مواهب الرحمن، الخزائن الروحانية مجلد ١٩ ص ٢٨٥-٢٨٧)

وخلاصة القول إن لفظ الخاتم إذا كان مضافًا، ويكون قومٌ ذوو مناصب مضافًا إليهم، ويكون استعمال هذا المركَّب الإضافي على سبيل المدح، فلا

يكون معنى ذلك المركب أن الموصوف هو آخر ذلك القوم زمانًا ووقتًا، بل معناه أنه أفضل ذلك القوم وأكبرهم درجةً ومرتبةً.

وكذلك قد يستعمل لفظ (آخر) مضافًا إلى قومٍ ويكون استعماله للمدح والثناء، فهو كالخاتم بمعنى أفضل القوم، مثلاً: "آخر العلماء"، "آخر المجتهدين".

(رابعًا) إذا كان الخاتم بمعنى النهاية أي الآخر أيضًا، فمعناه المصدِّق كما قال العلامة ابن خلدون مبينًا أن هذا قد يطلق على النهاية والتمام: "ويكون هذا من معنى النهاية والتمام، بمعنى صحة ذلك المكتوب ونفوذه، كأن الكتاب إنما يتم العمل به بهذه العلامات وهو من دونها ملغى ليس بتمام". (مقدمة ابن خلدون صفحة ٢٢١)

فيكون معنى خاتم النبيين أن محمدًا ﷺ آخر مصدقٍ للنبيين بمعنى أنه مصححٌ للأنبياء لأن نبوتهم لم تكن لتصح وتثبت بدونه، وكذلك قال الإمام راغب الأصفهاني في مفرداته: "وخاتم النبيين لأنه ختم النبوة أي تممها بمجيئه" (ص١٤٢).. أي أن النبوة وصلت إلى درجة النهاية والتمام، حيث ما بقيت مرتبة فوق مرتبة نبوته يرجى حصولها.

فالحاصل أن لفظ الخاتم لا ينحصر في معنى الانتهاء، بل له معان عديدة، ولا توجد في الآية قرينة تخصه بهذا المعنى، وإنْ أصرَّ أحد على أنه بمعنى الآخر زمانًا فيمكننا أن نجعله مطابقًا للمعاني الأخرى بكل سهولة، ونقول أن المراد من النبيين هم المشرعون والمستقلون، والنبي ﷺ ختم النبوة التشريعية والمستقلة، لأن النبوة التشريعية والمستقلة كانت موجودة قبل النبي ﷺ، وأما

النبوة غير المستقلة أي النبوة الظليّة فما كانت موجودة قبله، فما معنى الختم إذاً؟ فيكون المعنى أن الرسول ﷺ سدّ فيوض الأنبياء السابقين ونسخ شرائعهم، وغلّق أبواب الرحمة على من لم يؤمن به ﷺ ولو كان من أتباع موسى وعيسى وغيرهما، وأنه ختم إبراهيم وإسحق وختم موسى وعيسى وإدريس ويعقوب وغيرهم من الرسل السابقين، ولكن ما ختم نفسه بل فتح بابه، والآن لا يستطيع أحد أن يرتقي درجة سامية إلا إذا كان من الأمة المحمدية وبواسطة النبي ﷺ، والنبوة كانت توهب سابقًا من الله بلا واسطة اتباع نبي، ولكن لا توهب اليوم إلا بواسطة اتباع النبي ﷺ وباتباع شريعته الغراء. والحق أن لفظ ﴿خاتم النبيين﴾ يمنع رجوع عيسى بن مريم لأنه كان مبعوثًا إلى بني إسرائيل لقوله تعالى ﴿وَرَسُولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (آل عمران: ٥٠)، وكان رسولا مستقلا لم يبلغ إلى النبوة باتباع محمد ﷺ وبرجوعه يُنقض الختم المحمدي.

(خامسًا) أن آية ﴿مَا كَانَ مُحَمدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ (الأحزاب: ٤١) نزلت في السنة الخامسة من الهجرة لما تزوج رسول الله ﷺ زينب رضي الله عنها (تاريخ الخميس الجزء الأول صفحة ٥٦٤). ثم ولدت له مارِيةُ بالمدينة المنورة إبراهيمَ في ذي الحجة سنة ٨ من الهجرة، فمات وهو ابن ١٨ شهرًا في السنة العاشرة من الهجرة (تاريخ الخميس الجزء الثاني صفحة ١٦٢). وعند ذلك قال رسول الله ﷺ: "لو عاش لكان صِدِّيقًا نبيًّا" (سنن ابن ماجة الجزء الأول باب ما جاء في الصلاة على ابن رسول الله).

يقول الشهاب علي البيضاوي في الجزء السابع ص١٧٥: "أما صحة الحديث فلا شبهة فيها لأنه رواه ابن ماجة وغيره كما ذكره ابن حجر". ويقول العلامة علي القاري: "له طرق ثلاث يقوى بعضها ببعض" الموضوعات الكبيرة ص٥٨.

وهذا قول نطق به النبي ﷺ بعد نزول آية خاتم النبيين وبعد وفاة إبراهيم. فلو كان معنى خاتم النبيين أنه لا يكون بعده أي نبي فكيف يصبح قول النبي ﷺ: "لو عاش لكان صِدِّيقًا نبيًّا".

فظهر من قوله ﷺ أنه لم يفهم من خاتم النبيين انقطاع النبوة بالكلية، بل فهم عكس ذلك بأن نوعًا من النبوة باق بعده. أما القول بأن موت ابنه إبراهيم يدل على أنه لا نبي بعده ﷺ، لأنه لو كان وجود الأنبياء بعده ممكنًا لما مات، فخطأ محض؛ إذ ليس بضروري أن يكون ابن النبي نبيًا كما لا يخفى على من طالع التاريخ.

ثم إذا كان الله أمات إبراهيم مخافة أن يكون نبيًا لأن وجود نبي بعد محمد ﷺ كان مستحيلا فما الداعي إذن لخلقه. فالمانع الوحيد في كون إبراهيم نبيًا هو عدم حياته لا الآية (خاتم النبيين) فالنبوة ممكن الحصول عليها إذن. ثم لا يخفى أن قول رسول الله ﷺ عن ابنه إبراهيم ورد في مقام المدح ولو كان وجود النبوة مستحيلا بعده فما معنى المدح والثناء بأمر مستحيل؟ لأن المدح والثناء بأمر مستحيل استهزاء وسخرية، وإذا كان قصد رسول الله ﷺ من قوله هذا إظهار عدم بقاء النبوة بعده فكان أولى أن يقول لو عاش إبراهيم لما كان نبيًا، ولا شك أن هذه الجملة كانت أدعى للتعبير عن المفهوم الذي

يذهب إليه العلماء، إذ لو أن وجود الأنبياء في اتباعه ممتنع بعده ﷺ لكان القول في نبوة ابنه لغوا لا معنى له والعياذ بالله.

وإن قولنا لو عاش زيد لكان طبيبًا معناه التسليم بوجود الأطباء وإمكان صيرورة زيد من جملتهم، فإذا كانت الأطباء قد انقطع وجودهم بالكلية وأصبح غير ممكن أن يكون أحد طبيبًا، لكان قولنا في زيد قولا باطلا لا معنى له قطعًا. يقول العلامة على القاري: "قلت مع هذا لو عاش إبراهيم وصار نبيًا وكذا لو صار عمر نبيًا لكانا من أتباعه عليه السلام" (الموضوعات الكبيرة صفحة ٥٨-٥٩).

(سادسًا) لا شك أن الآية الواردة في سورة الأحزاب ﴿مَا كَانَ مُحَمَدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النبيينَ وَكَانَ اللهُ بِكُل شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤١) نزلت في قصة زواج النبي ﷺ من زينب رضي الله عنها كما ورد في الترمذي عن عائشة رضي الله عنها حينما قال الناس أن محمدًا ﷺ تزوج حليلة ابنه زيد (الجامع الترمذي أبواب التفسير سورة الأحزاب)، وهي كانت مطلقة زيد، فَرَدَّ الله عليهم بقوله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ (الأحزاب: ٤١).. أي القول بأنه تزوج حليلة ابنه قول باطل، لأن النبي ﷺ ليس بأب حقيقي لأحد من رجالكم، وهذا ردٌّ مقنع.

ولكن هنا تنشأ شبهة أخرى، وهي أن الله تعالى قال في أوائل سورة الأحزاب: ﴿النبي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب: ٧)، وإذا كانت أزواجه أمهات المؤمنين فهو يكون أباهم طبعًا.

فهذه الآية أثبتت أبوته بصفته نبيًا لأن كل نبي أب لأمته (راجع المفردات للإمام راغب ص٦٢)، لكنه بعد ذلك حين قال: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ يتطرق إلى بعض الأذهان أن نفي أبوته يدل على نفي نبوته أيضًا، فاستدركه الله بحرف (لكن) وقال: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النبِيينَ﴾.. أي رسالته قائمة على حالها، وبصفته رسولا هو أبو المؤمنين، ولكن بما أن كل رسول هو أب لأمته فما المزيّة إذًا للنبي ﷺ؟ فجوابه قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النبِيينَ﴾ فهو ليس أبًا للمؤمنين فحسب، بل هو أبو الأنبياء كلهم وسيدهم ففي لفظ: ﴿رَسُولَ اللهِ﴾ أثبت أبوته لأمته عامة وبكلمته ﴿خَاتَمَ النبِيينَ﴾ أثبت أبوته لأعلى درجات البشر وهم الأنبياء خاصة. ويجوز أن يكون حرف (لكن) في هذه الآية للاستدراك من جهة أخرى، وهي أن الكفار كانوا يعيرون النبي ﷺ بأنه أبتر ليس له ولد ذكر يخلد ذكره بعده، والآية ﴿إِن شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ (الكوثر ٤) كانت جوابًا لأولئك المعيرين، ولكن الله لما نفى عنه ﷺ الأبوة بقوله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ فكان من الممكن أن يظن الأعداء من هذه الآية كون النبي ﷺ أبتر، وكون خبر الله خلاف الواقع، فأبطل الله وهْمهم بقوله: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النبِيينَ﴾ أي إن محمدًا رسول الله وبصفته رسولا هو أب لأمته وله لسان صدق في الآخرين ثم هو خاتم النبيين؛ وبصفته خاتم النبيين هو أبو الأنبياء؛ أي أن الله جعل النبوة في أمته، ولا يمكن لأحد أن يحوز درجة النبوة بغير اتباعه وإطاعته وكونه خادمًا لشريعته، فقول القائلين بأن محمدًا ﷺ أبتر باطل.

أحاديث انقطاع النبوة

ومن الناس من يستدل من بعض الأحاديث على انقطاع النبوة بعد النبي ﷺ فلذا وجب علينا أن ننظر في تلك الأحاديث ونبحث عنها مفصلاً ليتبين الحق جليًا لقوم طالبين، وما توفيقنا إلا بالله.

الحديث الأول

خرج النبي ﷺ إلى تبوك واستخلف عليًّا فقال: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ أَلا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلاّ أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي. (صحيح البخاري الجزء الثالث باب غزوة تبوك وفي رواية (إلا أنه لا نبي بعدي).

الجواب

هذا الحديث واضح لا يحتاج إلى إقامة برهان على أن المراد من بعدي ليس بعد الموت إلى يوم القيامة بل بعد ذهابه إلى تبوك، لأن هذا القول إنما قاله لعلي لما خرج ﷺ إلى غزوة تبوك واستخلفه على المدينة، وقد استدل الروافض من هذا الحديث على خلافة علي بعد وفاة النبي ﷺ فأجابهم الشراح كما أجاب العلامة العيني في شرحه للبخاري:

"فضرب له المثل باستخلاف موسى هارون على بني إسرائيل حين خرج إلى الطور، ولم يُرِد به الخلافة بعد الموت؛ فإن المشبه به وهو هارون كانت

وفاته قبل وفاة موسى عليه السلام. إنما كان خليفةً في حياته في وقت خاص فليكن كذلك الأمر في من ضُرب له المثل به". فلما شبّه خلافته بخلافة هارون وكان هارون نبيًا فكان من الممكن أن يخطر ببال أحد أن عليا أيضًا نبي بعد النبي ﷺ، فأزال هذا الخطر بجملة لا نبي بعدي.

وتؤيد قولنا هذا الروايةُ الثانية في بحار الأنوار: "ألا ترضى أن تكون مني بمنـــزلة هارون من موسى إلا أنه ليس معي نبي" (بحار الأنوار الجزء التاسع صفحة ٢٧٧).

وفي الطبقات الكبرى لابن سعد لفظه: "قال يا علي أما ترضى أن تكون مني كهارون من موسى غير أنك لست نبيًا قال بلى يا رسول الله" (الجزء الخامس صفحة ١٥).

فالحديث مختص بعلي رضي الله عنه فقط، ولفظ (بعد) استعمل للغياب كما في القرآن الكريم:

﴿ثُم اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (البقرة: ٥٢)،

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيهِمْ عِجْلا) (الأعراف: ١٤٩)،

﴿بِئسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ (الأعراف: ١٥١)،

﴿فَإِنا قَدْ فَتَنا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلهُمُ السامِرِي﴾(طه: ٨٦).

ولا شك أن قوم موسى اتخذوا العجل بعد غيابه عنهم وذهابه إلى الطور.

الحديث الثاني

قال النبي ﷺ: "لو كان بعدي نبي لكان عمر" (رواه الترمذي).

الجواب

لا يدل هذا القول قطعًا على أنه لا يُبعث بعده نبي من أمته ﷺ؛ لأن (بعد) قد يُستعمل بمعنى (مع) كما قال صاحب أقرب الموارد: "و(بعد) نقيضُ (قبل)، وقد يَرِدُ بمعنى (مع) كقول الشاعر:

فقلتُ لها فِيئي إليكِ فإنني   حرامٌ وإني بعد ذاك لبيبُ

وكما استعمل رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه في حديث "لا نبي بعدي" وفي حديث "إلا أنه ليس معه نبي"، فيكون معنى هذا الحديث: لو كان معي نبي لكان عمر.

وقد يستعمل لفظ (بعد) للمرتبة، وفي معنى (غير وسوى)، يقول الله تعالى ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (الجاثية: ٧)، ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلناسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (فاطر ٣).

فمعنى الحديث لو لم يكن رسول الله ﷺ نبيا لكان عمر يستحق أن

يكون نبيا، لأنه قد وافق رأيه في عدة مسائل مع القرآن المجيد كمسألة تحريم الخمر والحجاب.

وتفسير هذا الحديث الروايةُ الثانية المذكورة في المرقاة شرح مشكاة المصابيح بأن رسول الله ﷺ قال "لو لم أبعث لبُعثتَ يا عمر" (الجزء الخامس صفحة ٥٣٩ من المرقاة).

وفي كنوز الحقائق لفظه هكذا: "لو لم أبعث لبعث بعدي عمر" (كنوز الحقائق ص٢٨٩ طبع الهند).

ومع ذلك إن هذا الحديث كما قال الترمذي غريب فلا يُحْتَجّ به.

الحديث الثالث

(قال رسول الله ﷺ أنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون دجالون كلهم يزعم أنه نبي الله وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي) رواه أبو داود.

الجواب

أولاً- إن هذا الحديث قد ظهر صدقه وتم هذا العدد منذ مدة طويلة، قال الإمام أبو عبد الله المتوفى سنة ٨٢٨هـ: "هذا الحديث ظهر صدقه لو عُدَّ من تنبأ من زمنه ﷺ إلى الآن لبلغ هذا العدد، ويعرف ذلك من يطالع التواريخ)" (إكمال الإكمال شرح صحيح مسلم الجزء السابع صفحة ٢٥٨).

ثانيًا- تعيين العدد يدل على إمكان مجيء نبي صادق، وإلا لقال رسول الله ﷺ إن كل من يدعي النبوة يكون كذابًا دجالا بدون أن يذكر عددًا معينًا.

ثالثًا- قد يستعمل لفظ (بعد) للمخالفة كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ ذَا الذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (آل عمران ١٦١). وفي الحديث "أن رسول الله ﷺ قال بينما أنا نائم رأيتُ في يدي سوارين من ذهب فأهمَّني شأنهما فأوحي إلي في المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا، فأوَّلتهما كذّابَيْن يخرجان من بعدي أحدهما العنسي والآخر مسيلمة". وقال في حديث متصل بعده: "فأوّلتُهما كذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة" (صحيح البخاري ج ٣ كتاب المغازي).

فثبت أن لفظ بعد يستعمل للمخالفة أيضًا، فإذن معنى لا نبي بعدي: لا يأتي بعدي نبي يخالف شرعي.

رابعًا- حرف لا لنفي الجنس، وكثيرًا ما يراد نفي الموصوف ونفي الجنس الكامل مثل: لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار، وكذلك قول النبي ﷺ: "لا دين لمن لا عهد له ولا إيمان لمن لا أمانة له"، وقوله ﷺ: "إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده"(صحيح البخاري ج٢ ص١٢٠، كتاب الجهاد). قال الخطابي معناه فلا قيصر بعده يملك مثل ما يملك (فتح الباري شرح البخاري الجزء الثاني). فيُحتمل أن يكون معنى الحديث لا يكون نبي كامل صاحب شرع أو لا يكون نبي مثلي.

الحديث الرابع

(كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء) صحيح البخاري.

الجواب

أولاً- قد يستعمل لفظ بعد للزمن بعد الموت متصلا كما في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصلاةَ﴾ (مريم: ٦٠) وللزمن بعد الموت منفصلاً كما في قوله تعالى: ﴿إِنا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ (الأحقاف: ٣١). فيمكن أن يحمل الحديث على البعديّة المتصلة أي لا يكون بعدي نبي متصلا، وإن جملة (كلما هلك نبي) تُعيّن هذا المعنى.

ثانيًا- إذا كان من المستحيل مجيء نبي بعده ﷺ فلم قال رسول الله ﷺ: "ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه" (صحيح مسلم باب ذكر الدجال وصفته).

الحديث الخامس

قال النبي ﷺ: "أنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي". (مسلم باب أسماء النبي ﷺ)

الجواب

تفسير العاقب ليس من رسول الله ﷺ كما قال العلامة على القارئ: (الظاهر أن هذا تفسير للصحابي أو من بعده وفي شرح مسلم قال ابن العربي العاقب الذي يخلف في الخير من كان قبله) (مرقاة شرح مشكاة الجزء الخامس ص٣٧٦).

كذلك ورد في هامش تنوير الحوالك شرح موطأ مالك: "وأنا العاقب، زاد مسلم وغيره من طرق ابن عيينة. (والعاقب الذي ليس بعده نبي) وهو مُدْرَج من تفسير الزهري]. تنوير الحوالك الجزء الثالث باب أسماء النبي ﷺ.

ثانيًا- ورد هذا الحديث في كتب أخرى ولم تذكر جملة "العاقب الذي ليس بعده نبي" (راجع البخاري كتاب التفسير تفسير سورة الصف، والموطأ للإمام مالك).

ثالثًا- يمكننا أن نقول في تأويل هذا القول أن المراد من بعده: بعد زمن نبوته، وبما أن زمن رسالته ﷺ ممتد إلى يوم القيامة فلا يمكن وجود نبي مستقل صاحب شرع جديد، ولكن يجوز كون النبي بعده في زمنه إذا كان تحت حكم شريعته ومن أمته لتجديد دينه، ومثل هذا النبي لا يُعَدّ منفصلا عن رسول الله ﷺ، يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"إني أحد من الأمّة النبوية، ثم مع ذلك سمّاني الله نبيًّا تحت فيض النبوّة المحمّديّة، وأَوحَى إليّ ما أوحى. فليست نبوّتي إلا نبوّته، وليس في جُبّتي إلا

أنواره وأشعّته، ولولاه لما كنت شيئًا يذكر أو يسمَّى". الاستفتاء المطبوع بالمطبعة الأحمدية بفلسطين صفحة ٢٤.

الحديث السادس

(إن الرسالة والنبوة انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي) رواه الترمذي.

الجواب

المراد من هذا الحديث أن النبوة المشرعة والمستقلة قد انقطعت، وأن زمان نبوته ﷺ ممتد إلى يوم القيامة، وتفسير الحديث كما ذكرنا آنفًا، و(بعد) هنا أيضًا يتضمن معنى (المخالفة) أي لا يكون نبي يخالف شرعي.

الحديث السابع

(قال رسول الله ﷺ مَثَلي ومَثَل الأنبياء من قبلي كمَثَل قصرٍ أُحسِن بنيانُه ترك منه موضع لبنة، فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة. أنا سددت موضع اللبنة خُتم بي النبيون وخُتم بي الرسل) وفي رواية (فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين).

الجواب

إن النبي ﷺ قيّد الأنبياء بلفظ (من قبلي) وفيه إشارة صريحة بأنه يمكن

مجيء الأنبياء من بعده أيضًا، ولكن هؤلاء لا يكونون مستقلين بل يدخلون في لبنته ويقتبسون من نوره. ولنعم ما قال المسيح الموعود عليه السلام:

ووالله إني قد تبعتُ محمدًا	وفي كل آنٍ مِن سناه أُنَوَّرُ
وفوَّضني ربي إلى روض فيضه	وإني به أجنِي الجَنَى وأُنَضَّـــرُ

والمراد من خاتم النبيين النبي الكامل كما قال ابن خلدون في مقدمته:

"فيفسرون خاتم النبيين باللبنة حتى أكملت بنيانه، ومعناه النبي الذي حصلت له النبوة الكاملة" (صفحة ٢٧١).

ثانيًا- إذا كان الاستدلال بحديث القصر صحيحًا، فيلزم أن يُعترف بعدم رجوع عيسى ابن مريم عليه السلام أيضًا، لأنه خَرْق الجدار ونَزْع اللبنة القديمة يجعل القصر على صورته القديمة ناقصًا بعد خاتم النبيين ﷺ أيضًا.

ثالثًا- المراد من القصر قصر الشريعة، وكل نبي وضع لبنة لبنة حتى جاء سيد الرسل ﷺ وأنزل الله عليه القرآن وقال فيه ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام ﴾(المائدة ٤)، فلا يأتي بعده نبي صاحب شرع جديد. يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"لا كتاب لبني نوع الإنسان إلا القرآن، ولا شفيع لبني آدم من بعد اليوم إلا محمد المصطفى، ﷺ ... مَن الناجي؟ هو ذاك الذي يوقن بأن الله حق وأَن محمّدا ﷺ شفيع وسيط بينه وبين الخلق كله. وأن لا كفوَ له من رسول ولا مثيلَ للقرآن من كتاب مكانةً تحت أديم السماء." (سفينة نوح المسمى (التعليم)، صفحة ١٨).

الحديث الثامن

"لم يبق من النبوة إلا المبشرات. قالوا ما المبشرات يا رسول الله؟ قال: الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو يُرى له".

الجواب

أولا- أراد النبي ﷺ به زمان الفترة قبل بعثه لأنه قال: (لم يبق من النبوة) وهذه الكلمة تدل على الزمان الماضي، لأن الحرف (لم) إذا دخلت على المضارع أفادت نفي حصول الفعل في الزمان الماضي فمعنى الحديث أن الصلحاء كانوا يرون الرؤيا الصالحة فقط قبل بعثه ﷺ في زمان الفترة.

ثانيًا- إذا أريد به الزمان بعد بعثه ﷺ فالمراد منه أنه لا يبقى من النبوة إلا النبوة التي تشتمل على المبشرات فقط أي لا يوجد فيها تشريع، وأن رسول الله ﷺ ذكر منها المثال الأدنى وقال بأن الرؤيا أيضًا داخلةٌ في المبشرات، فالمبشرات هي عين النبوة، يقول الله تبارك وتعالى في القرآن المجيد: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إلا مُبَشرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ (الأنعام ٤٩). فالنبوة غير التشريعية ثابتة بعد النبي ﷺ.

ثالثًا- إن أريد أنها بقيت من المبشرات الرؤية الصالحة فقط وأن الله تعالى لا يكلم أحدًا إلى يوم القيامة فهذا يخالف القرآن والأحاديث الأخرى، يقول الله تعالى: ﴿إِن الذِينَ قَالُوا رَبنَا اللهُ ثُم اسْتَقَامُوا تَتَنزلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا

تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَةِ التِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فُصِّلت: ٣١)

وفي الحديث (١) قال رسول الله ﷺ: (لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يك في أمتي فعمر).

(٢) لقد كان (في من كان) قبلكم من بني إسرائيل رجال يُكَلَّمون مِن غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن في أمتي أحد فعمر. (صحيح البخاري باب مناقب عمر).

الحديث التاسع

من أسمائه ﷺ (المقفّي) أي أنه آخر الأنبياء.

الجواب

قال الإمام أبو عبد الله (معناه المتبع للنبيين) إكمال الإكمال شرح صحيح مسلم ج٢ ص١٤٣. وقال العلامة الشيخ (الملا) علي القاري في تفسير المقفّي (الذي قفّى آثار من سبقه من الأنبياء وتبع أطوار مَن تَقَدَّمَه مِن الأصفياء لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِه﴾ (الأنعام: ٩١). وحاصله أنه متبع الأنبياء في أصل التوحيد ومكارم الأخلاق وإن كان مخالفًا في بعض الفروع) المرقاة.

الحديث العاشر

(إني آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم).

الجواب

معنى الحديث واضحٌ جدًا؛ أي أن النبي ﷺ هو آخر الأنبياء الذين يأتون بالشرائع، فالآن لا شريعة بعد شريعته ولا أمة بعد أمته ﷺ ولا نبي بعده الذي ينسخ ملته وشريعته ولم يكن من أمته. وبهذا المعنى قال رسول الله ﷺ: (فإني آخر الأنبياء وإن مسجدي آخر المساجد – مسلم باب فضل الصلاة في مسجد المدينة ومكة).

وظاهر أن مسجد النبي ﷺ ليس بآخر المساجد لأنه بنيت بعده مساجد كثيرة بل معناه لا يبنى مسجد بعد مسجدي إلا على طرازه وغراره وتابعًا له ولا يأتي نبي بعدي إلا على منهاجي ومنوالي، وزبدة القول أنه لا يأتي بعد النبي ﷺ نبي إلا من أمته وعلى طريقه والله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب.

تفسير خاتم النبيين

"ولا نبي بعدي" من حيث أقوال السلف

١– قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي ما نصه:

(لقد كان من جملة ما فيها تنزيل الشرائع فختم الله هذا التنزيل بشرع محمد ﷺ فكان خاتم النبيين.. إن محمدًا ﷺ خاتم النبوة لا نبوة تشريع بعده) (إنما ارتفعت نبوة التشريع فهذا معنى لا نبي بعده... فعلمنا أن قوله لا نبي بعده أي لا مشرع خاصة، لا أنه لا يكون بعده نبي. هذا مثل قوله إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده) الفتوحات المكية ج٢ الباب ٧٣.

ثم قال: "وهكذا معنى قوله ﷺ: "إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي بعدي".. أي مَن يكون على شرع يخالف شرعي، بل إذا كان يكون تحت حكم شريعتي" (الفتوحات المكية).

٢- قال السيد عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي في كتابه الإنسان الكامل: "فانقطع حكم نبوة التشريع بعده وكان محمد ﷺ خاتم النبيين" (الجزء الأول ص٦٩).

٣- قال الإمام عبد الوهاب الشعراني في كتابه اليواقيت والجواهر: "قوله ﷺ "لا نبي بعدي ولا رسول"، المراد به لا مُشَرِّع بعدي" (ج٢ ص٤٢).

٤- قال المحدث محمد طاهر في كتابه مجمع البحار ما نصه: "هذا أيضًا لا ينافي حينئذٍ لا نبي بعدي لأنه أراد لا نبي ينسخ شرعه" (تكملة ص ٨٥).

٥- قال العلامة الملا (الشيخ) علي القارئ ما نصه: "فلا يناقض قوله خاتم النبيين إذ المعنى أنه لا يأتي نبي بعده ينسخ ملته ولم يكن من أمته"

(الموضوعات الكبيرة حديث لو عاش إبراهيم (ابن رسول الله ﷺ) لكان صِدِّيقًا نبيًّا. صفحة ٥٨-٥٩).

٦- قال المحدث الكبير السيد ولي الله الدهلوي في كتابه تفهيمات إلهية: "ختم به النبيون أي لا يوجد من يأمره الله سبحانه بالتشريع على الناس" (تفهيم ٥٣).

٧- قال العلامة محمد قاسم مؤسس مدرسة (ديوبند) العربية بالهند ما تعريبه حرفيا: "لو فرضنا كون نبي بعد النبي ﷺ فلا تُنقض الخاتمية المحمدية بشيء ما" (تحذير الناس ص ٢٨).

٨- قال المحدث السيد صديق حسن في كتابه اقتراب الساعة ما تعريبه: "نعم! قد ورد "لا نبي بعدي"، ومعناه عند أهل العلم أنه لا يأتي نبي بعدي بشرع ناسخ." (اقتراب الساعة ص١٦٢)

٩- قال الشيخ بالي في شرحه على شرح فصوص الحكم للمتصوف عبد الرزاق القاشاني: "وأما نبوة التشريع والرسالة فمنقطعة وفي محمد عليه السلام قد انقطعت فلا نبي بعده يعني مشرعًا... فإن عيسى عليه السلام نبي يجيء داخلا تحت شريعته أو مشرعًا له (أي داخلا تحت شريعته نبي مشرع وتابعًا لشريعته كأنبياء بني إسرائيل عليهم السلام فإنهم على شريعة موسى عليه السلام". (فصّ حكمة قدرية في كلمة عزيرية).

ولقائل أن يقول إن هؤلاء الأئمة ذكروا أن هذه الأقوال في إثبات مجيء

عيسى بن مريم عليه السلام. فالجواب عنه أن غرضنا من سرد أقوالهم هو بيان حقيقة معنى خاتم النبيين ولا نبي بعدي وأنهم فسروا معناهما حسب تفسيرنا أي لا يأتي نبي بعده بشريعة جديدة وأيضًا لم يكن من أمته. وإن قال أحد أن عيسى عليه السلام كان نبيا من قبل، فهذا أيضًا لا يبطل استدلالنا بل يثبت أن معنى خاتم النبيين ليس آخر النبيين لأن عيسى عليه السلام يجيء بعد محمد ﷺ بصفته نبيًّا فلا يجوز لأحد أن يقول لا نبي بعد النبي ﷺ مطلقًا. فإذن لا فرق بيننا وبين خصومنا سوى أنهم ينتظرون مجيء نبي من بني إسرائيل آتيًا من السماء وأما نحن فنقول إن النبي الإسرائيلي الذي جاء لإصلاح بني إسرائيل فقط حسب قوله تعالى ﴿وَرَسُولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (آل عمران: ٥٠) لا يأتي مرة ثانية لإصلاح الأمة المحمدية لأن فيه توهينًا للأمة المحمدية وللنبي ﷺ أيضًا؛ لأنه إذا فسدت الأمة فوقتئذٍ يحتاج النبي ﷺ إلى الأمة الإسرائيلية ويأتي نبي إسرائيلي لإصلاح أمته ولا يقوم أحد من أمته من يهدي المسلمين ويصلح بالهم؛ لذلك نحن نعتقد بأنه عند وقت فساد الأمة وضعفها يرسل الله رجلا من الأمة المحمدية ويوصله إلى مقام النبوة باتباع محمد ﷺ ويسميه مسيحًا، لكي يظهر أن محمدًا ﷺ هو سيد الأولين والآخرين من حيث إفاضته الروحانية. ونقول بأن ذلك المسيح قد أتى من الأمة المحمدية، وهو سيدنا (أحمد بن مرتضى) فطوبى لمن آمن به واهتدى.

ثبوت بقاء النبوة من القرآن المجيد

لقد ظهر مما سبق أنه لا يوجد في آية ﴿خاتم النبيين﴾ والأحاديث التي

يُستدل منها عدم بقاء النبوة ما يدل حتمًا على انقطاع النبوة كليًّا، والحقّ أنه لو كان المراد من لفظ ﴿خاتم النبيين﴾ سد باب النبوة كليًّا لكان ضروريًّا أن توجد آيات أخرى في القرآن المجيد تؤيد هذا المفهوم صراحة، لأن القرآن يفسر بعضه بعضًا، ولما اكتفى بذكر آية واحدة التي تحتمل ألفاظها معاني شتى، بل بالعكس توجد آيات كثيرة في القرآن المجيد تدل على بقاء النبوة بعد النبي ﷺ وإليكم بيانها:

الآية الأولى

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النبِيينَ وَالصديقِينَ وَالشهَدَاءِ وَالصالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٧٠). إن هذه الآية تصرح جليًّا أن النبوة باقية في الأمة المحمدية، ومعنى الآية أن الذي يطيع الله ومحمدًا ﷺ فعلى قدر إطاعته يكون من الصالحين أو الشهداء أو الصديقين أو النبيين.

ولا ينخدعنّ أحدٌ بلفظ (مع)، فيظن بأن معنى الآية أن الله يجعل المطيعين مع الصالحين والشهداء والصديقين والنبيين ولا يكونون منهم، لأن (مع) كثيرًا ما تستعمل بمعنى (من) كما في قوله تعالى: ﴿وَتَوَفنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ (آل عمران: ١٩٤)، وقوله تعالى ﴿إلا الذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ للّه فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النساء: ١٤٧) وفي حق إبليس قوله: ﴿أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ الساجِدِينَ﴾ (الحجر: ٣٢) وفي مقام آخر ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ الساجِدِينَ﴾ (الأعراف: ١٢).

وإن قال أحد إن حرف (مع) لا يتضمن معنى (من) في الآية المذكورة، فيلزم أن الأمة المحمدية قد حُرِمَت بأسرها من نِعَم الله، ويكون معنى الآية حينئذٍ أن المطيعين لله والرسول لا يكونون صالحين ولا شهداء ولا صِدّيقين بل يكونون معهم فقط، فكيف تثبت أفضلية الملة وتكون خير الأمم؟ والحق أن إطاعة الأنبياء السابقين كانت توصل متّبعيهم إلى درجة الصدّيقية فقط، لقوله تعالى: ﴿وَالذينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِدِّيقُونَ وَالشهَدَاءُ عِنْدَ رَبِهِمْ﴾ (الحديد: ٢٠)

وإن إطاعة النبي ﷺ توصل متّبعيه إلى مرتبة النبوة، وبه يظهر فضل النبي ﷺ وتفوق الأمة سائر الأمم.

الآية الثانية

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِما يَأْتِيَنّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأعراف ٣٦).

إن هذه الآية تدل على مجيء الرسل بعد النبي ﷺ. وإذا خطر ببال أحد أن المراد من بني آدم هم الأمم السابقة قبل البعثة النبوية فهذا ليس في محله، لأن لفظ بني آدم استعمل في نفس السورة ثلاث مرات قبل هذه الآية كقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾ (الأعراف ٢٧﴾ و﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنّكُمُ الشيْطَانُ﴾ (الأعراف ٢٨) و﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُل مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف ٣٢)، وهو عام شامل

للجميع، فالآية تخبر ببقاء النبوة في الأمة المحمدية، لأنه لا يُعقل مطلقًا أن تخرج الأمة المحمدية من مجموعة بني آدم، وإذا قلنا إن الخطاب موجَّه إلى الأمة المحمدية، كما يدل عليه سياق الآية، فهو أصوب. يقول الإمام السيوطي في بيان أنواع خطابه تعالى [الرابع والثلاثون خطاب المعدوم ويصح ذلك تبعًا لموجود نحو (يا بني آدم) فإنه خطاب لأهل ذلك الزمان ولكل من بعدهم. الإتقان الجزء الثاني).

الآية الثالثة

﴿رَفِيعُ الدرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الروحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التلاقِ﴾ (غافر ١٦)، فالمراد من الروح الوحي أو روح القُدُس (انظر تفسير الكشاف ومفردات القرآن للراغب). فالآية تصرح بأن النبوة باقية، لأن صيغة يلقي تدل على الاستمرار، فكما أن الله أخبر بنـــزول الملائكة في المستقبل كذلك أخبرنا بالإنذار، والإنذار من صفة الرسل إذا كان الأمر من الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاّ مُبَشّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ (الأنعام ٤٩) وآية ﴿إِنَمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُل قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد ٨).

الآية الرابعة

﴿إِنا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولا﴾ (المزمل ١٦) وقوله تعالى ﴿وَعَدَ اللهُ الذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (النور ٥٦).

إن الله شبَّه الرسول ﷺ وأمتَه بموسى وأمتِه في هاتين الآيتين، وظاهر أن الاستخلاف في الأمة الموسوية كان بواسطة النبوة، ولتكميل المماثلة بين السلسلة الموسوية والسلسلة المحمدية لا بد أن يُرسَل أحدٌ رسولاً في الأمة المحمدية وإلا: أية مناسبة بين موسى عليه السلام ومحمد ﷺ وبين أمتيهما؟

الآية الخامسة

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِنَةٍ مِنْ رَبِهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ (هود ١٨).

إن هذه الآية تصرح بمجيء شاهد بعد النبي ﷺ من أمته، يشهد له كما كان من قبله موسى عليه السلام، كقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ (الأحقاف ١١) فالشاهد المذكور في الآية هو النبي.

الآية السادسة

﴿هُوَ الذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيينَ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكيهِمْ وَيُعَلمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ، وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَما يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الجمعة ٣-٤).

فقوله تعالى ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ يدل على أن البعثة الثانية للنبي ﷺ في الآخرين الذين يأتون بعد زمن الصحابة رضي الله عنهم تكون منهم لا من غيرهم؛ ومعلوم أن النبي ﷺ لا يُبعث بذاته مرة ثانية، فليس المراد إذن إلا بعثة

المسيح الموعود بكونه نبيًا في الآخرين من الآخرين باسم النبي ﷺ، فكأن بعثة المسيح الموعود تكون بعثة محمد ﷺ ويكون ظهوره ظهور محمد ﷺ، ولهذا قال سيدنا أحمد المسيح الموعود عليه السلام:

"مَن فَرَّق بيني وبين المصطفى، فما عرَفني وما رأى". (الخطبة الإلهامية الخزائن الروحانية المجلد ١٦ ص ٢٥٩)

وهذا هو المعنى الصحيح الذي يفسر قوله تعالى ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ (هود ١٨)، وقوله تعالى ﴿ثُلّةٌ مِنَ الأَوّلِينَ، وَثُلّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾ (الواقعة ٤٠-٤١).

الآية السابعة

﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلا وَمِنَ الناسِ إِن اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (الحج ٧٦).

فكلمة يصطفي تدل على الاصطفاء دائمًا لأنها بصيغة المضارع، فالآية تقتضي الاصطفاء دومًا، ولو كان الله تعالى سَدَّ باب النبوة مطلقًا لاقتضى ذلك أن يقطع إرسال الملائكة أيضًا لأن إرسال الأنبياء يقتضي إرسال الملائكة و لم تنقطع رسالة الملائكة.

الآية الثامنة

﴿اهْدِنَا الصِرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الفاتحة ٦-٧).

يبشرنا هذا الدعاء بأن الله تعالى يعطي المؤمنين مقام الذين أنعم عليهم سابقًا ويعطيهم كل نعمة أعطاها للأولين ويتمها عليهم. والنعمة نعمتان نعمة دينية ومنتهاها النبوة، ودنيوية ومنتهاها الحكومة والسلطنة، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة ٢١).

الآية التاسعة

﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطيبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران ١٨٠).

الآية صريحة الدلالة على أن الله لا يترك المؤمنين من دون تفريق بين الخبيث والطيب والقاسط والصالح، بل هو يجتبي دائمًا من رسله من يشاء عند ضرورة ماسّة، ولهذه الغاية والحكمة الإيمان بجميع الرسل واجب.

الآية العاشرة

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾ (المائدة ٤)

ذكر الله في هذه الآية إكمال الدين وهو فيما شرعه في القرآن المجيد، وذكر أيضًا إتمام النعمة، ومعلومٌ أن النبوة هي أعظم نعمة من أَنْعُمِ الله، فلو كانت منقطعةً لما كانت النعمة تامة، بل كانت ناقصة، وقد قال الله تعالى في حق يوسف عليه السلام ﴿وَيُتِم نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ (يوسف ٧)، وظاهر أن المراد من إتمام النعمة إتمام نعمة النبوة، قال الإمام راغب الأصفهاني في مفرداته كما مر سابقًا ما نصه:

(وخاتم النبيين لأنه ختمها أي تممها).

فلفظ تمّمها يدل على أن النبي ﷺ أعطى للنبوة صفة الكمال والتمام كما أن الله تعالى أتم نعمته، وإلا إذا أخذنا إتمام النبوة وختمها بمعنى سدّها وقطعها فيكون قول الله عز وجل: ﴿وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (المائدة ٤) أي سددها ومنعتها فلا تعودون ترون منها شيئًا، وهذا مخالف لصراحة القرآن واللغة ولا يؤيده عقل ولا نقل ولا لغة.

إن هذه الآيات العشر تثبت بقاء النبوة غير التشريعية في الأمة المحمدية بإطاعة الله ورسوله محمد ﷺ، وهذا ما نقوله في تفسير خاتم النبيين. فالقرآن المجيد يصدِّق تفسيرنا ويؤيِّد المعنى الذي نختاره.

ثبوت بقاء النبوة من الأحاديث

الحديث الأول

قال النبي ﷺ حينما توفي ابنه إبراهيم في السنة العاشرة من الهجرة (لو عاش لكان صِدِّيقًا نبيًّا – سنن ابن ماجة، كتاب الجنائز) مع أن آية خاتم النبيّين نزلت في السنة الخامسة، فلو كان معنى خاتم النبيين آخرهم زمانًا لا يأتي بعده نبي للزم أن يقول النبي ﷺ لو عاش إبراهيم لما كان نبيًّا لأنني خاتم النبيين.

الحديث الثاني

قال رسول الله ﷺ في حق المسيح ابن مريم الموعود به للأمة المحمدية (نبي الله) أربع مرات (صحيح مسلم، باب ذكر الدجال).

الحديث الثالث

قال النبي ﷺ: (أبو بكر أفضل هذه الأمة إلا أن يكون نبي – نور الأبصار للشيخ المؤمن ص٨٩، وكنوز الحقائق ص٥، والفتح الكبير الجزء الأول ص١٩، والجامع الصغير باب ألف الجزء الأول ص١٣).

الحديث الرابع

قالت عائشة رضي الله عنها: (قولوا خاتم الأنبياء ولا تقولوا لا نبي بعده — تكملة مجمع البحار ص٨٥، والدر المنثور للسيوطي الجزء الخامس ص٢٠٤).

الحديث الخامس

روى الديلمي قول النبي ﷺ عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أنا سيد الأولين والآخرين من النبيين ولا فخر).

الحديث السادس

ورد في صحيح مسلم قوله ﷺ: (فُضِلتُ على الأنبياء بست — كتاب المساجد) وذكر فيها خاتم النبيين. وهنا يجب علينا أن نفسر خاتم النبيين بما يثبت به أفضليته على سائر الأنبياء عليهم السلام، وقد مر ذكره سابقًا.

فاتضح أن النبوة لم ترتفع بكليتها، وطريقة التوفيق بين الآيات والأحاديث الدالة على بقاء النبوة وبعض الأحاديث التي يستدل منها انقطاع النبوة.. هي أن النبوة المشرعة والمستقلة قد انقطعت وأما النبوة غير المستقلة أو الظلية فهي باقية إلى يوم القيامة في أمة سيد الرسل ﷺ؛ فالمسيح الموعود به هو نبي الله وخليفة رسول الله ﷺ طبق قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللّهُ الذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (النور ٥٦). فلا مجال للمسيح عيسى بن مريم الذي كان ﴿رسولا

إلى بني إسرائيل﴾ أن يأتي إلى الأمة المحمدية.

والنبوة التي نعتقد ببقائها في خير الأمم لا تقدح في شأن محمد ﷺ، بل تزيد في شرفه وفضله، لأن كمال النبي لا يتحقق إلا بكمال الأمة، وفضيلة الأستاذ لا تظهر إلا بفضل التلميذ. يقول سيدنا أحمد المسيح الموعود عليه السلام:

ونعني بختم النبوة ختم كمالاتها على نبينا الذي هو أفضل رسل الله وأنبيائه، ونعتقد بأنه لا نبي بعده إلا الذي هو من أمّته ومن أكمَلِ أتباعه، الذي وجد الفيضَ كله من روحانيته وأضاء بضيائه. فهناك لا غير ولا مقام الغيرة، وليست بنبوة أخرى ولا محلَّ للحيرة، بل هو أحمَدُ تجلّى في سَجَنْجَلٍ آخرَ، ولا يغار رجل على صورته التي أراه الله في مِرْآة وأظهَرَ. فإن الغيرة لا تهيج على التلامذة والأبناء، فمن كان من النبي.. وفي النبي.. فإنما هو هو، لأنه في أتمّ مقام الفناء، ومصبَّغ بصبغته ومُرْتَدٍ بتلك الرداء، وقد وجَد الوجودَ منه وبلَغ منه كمالَ النشوّ والنماء. وهذا هو الحق الذي يشهد على بركات نبينا، ويري الناسَ حُسْنَه في حُلل التابعين الفانين فيه بكمال المحبة والصفاء، ومن الجهل أن يقوم أحد للمِراء، بل هذا هو ثبوت من الله لنَفْيِ كونِه أبتَرَ، ولا حاجة إلى تفصيل لمن تدبَّرَ. وإنه ما كان أبا أحد من الرجال من حيث الجسمانية، ولكنه أب من حيث فيض الرسالة لمن كمّل في الروحانية. وإنه خاتم النبيين وعَلَمُ المقبولين. ولا يدخُل الحضرةَ أبدا إلا الذي معه نقشُ خاتمه، وآثار سننه، ولن يُقبَل عمل ولا عبادة إلا بعد الإقرار برسالته، والثباتِ على دينه وملته. وقد هلك من تركه وما تبِعه في جميع سننه، على

قدر وُسْعِه وطاقته. ولا شريعةَ بعده، ولا ناسخَ لكتابه ووصيته، ولا مبدِّلَ لكلمته، ولا قَطْرَ كمُزْنته. ومن خرج مثقالَ ذرّة من القرآن، فقد خرج من الإيمان. ولن يفلح أحد حتى يتّبع كلَّ ما ثبت من نبينا المصطفى، ومن ترَك مقدار ذرة من وصاياه فقد هوى. ومن ادّعى النبوة من هذه الأمة، وما اعتقد بأنه رُبّيَ من سيدنا محمدٍ خيرِ البريّة، وبأنه ليس هو شيئا من دون هذه الأسوة، وأن القرآن خاتم الشريعة، فقد هلك وألحَقَ نفسه بالكفَرة الفجَرة. ومن ادعى النبوة ولم يعتقد بأنه من أمته، وبأنه إنما وجَد كلَّ ما وجَد من فيضانه، وأنه ثمرة من
بستانه، وقطرة من تَهْتَانِه، وشَعْشَعٌ من لمعانه، فهو ملعون ولعنة الله عليه وعلى أنصاره وأتباعه وأعوانه.

لا نبيَّ لنا تحت السماء من دون نبيّنا المجتبى، ولا كتابَ لنا من دون القرآن، وكلُّ من خالفه فقد جرّ نفسه إلى اللظى) (مواهب الرحمن صفحة ٦٨، طبع قاديان).

ثم يقول عليه السلام: "ولا يقول هذا العبد إلا ما قال النبيّ - صلى الله عليه وسلم - ولا يُخرج قدمًا من الهدى. ويقول إن الله سمّاني نبيًّا بوحيه، وكذلك سُمِّيتُ من قبلُ على لسان رسولنا المصطفى. وليس مُراده من النبوة إلا كثرة مكالمة الله وكثرة أنباءٍ من الله وكثرة ما يُوحى. ويقول: ما نعني من النبوة ما يُعنَى في الصحف الأولى، بل هي درجة لا تُعطَى إلا من اتّباع نبيّنا خير الورى. وكلّ من حصلتْ له هذه الدرجة.. يكلّم الله ذلك الرجل بكلام أكثر وأَجْلى، والشريعة تبقى بحالها.. لا ينقص منها حُكمٌ ولا تزيد هُدى ويقول إني أحد

من الأمّة النبوية، ثم مع ذلك سمّاني الله نبيًّا تحت فيض النبوّة المحمّديّة، وأَوحَى إليّ ما أوحى. فليست نبوّتي إلا نبوّته، وليس في جُبّتي إلا أنواره وأشعّته، ولولاه لما كنت شيئًا يذكر أو يسمَّى. وإن النبيَّ يُعرَف بإفاضته، فكيف نبيّنا الذي هو أفضل الأنبياء وأزيدهم في الفيض، وأرفعهم في الدرجة وأعلى؟"[٢٦]

[٢٦] الاستفتاء صفحة ٤٢

المبحث الثامن

حجج صدق أحمد المسيح الموعود عليه السلام[٢٧]

إن جميع المعايير التي وُجِدَتْ في الأنبياء السابقين وعرف الناس بواسطتها صدقهم وجدت أيضًا في أحمد المسيح الموعود عليه السلام، وكانت حجة ناصعة وآية بيّنة على صدق دعوته وما جاء به من الله. وبما أن القرآن المجيد هو أساس لمعرفة تلك المعايير فلذلك نرجع إليه في بيانها وتطبيقها على المسيح الموعود عليه السلام.

١- (المعيار الأول) يقول الله تعالى في إثبات صدق نبينا محمد ﷺ ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (يونس ١٧) ففي هذه الآية أربعة شروط إذا وجدت في أي مدعٍ فلا بد أن يكون صادقًا (١) أن يكون موجودًا في قومه قبل دعواه لا أن يكون غريبًا عنهم (٢) أن لا يكون لبث فيهم سنين قليلة بل عمرًا طويلاً: طفلا صغيرًا ومراهقًا وشابًا قويًا وكهلاً وكان محل اختبار وتجربة بالصدق في جميع هذه الأدوار (٣) أن يكون معروفًا في قومه غير مجهول عنهم، لأن التنوين في قوله تعالى (عمرًا) يدل على الشأن والتعظيم حتى إذا عمل عملاً غير لائق يُشار إليه بالبنان ويفشو خبره بسرعة (٤) أن تكون هذه الصفات الثلاث كلها موجودةً قبل دعواه. فكل من يدعي بدعوى وكان متصفًا بهذه الصفات الأربع لا بد أن يكون

---

[٢٧] توجد حاشية وهي: هذا البحث منقول عن مجلة البشرى التي تصدر في جبل الكرمل حيفا فلسطين.

صادقًا. وإن جميع الأنبياء كانوا متصفين بذلك قبل دعواهم ولذلك نجد الخطاب في الآية الكريمة موجهًا لأهل العقول يتحدّاهم بها بقوله: ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ ومن المعلوم أن النبي ﷺ عندما نزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾، وذلك عند بدء دعوته، كان أول ما فعله هو أخذه الإقرار والشهادة من قومه على صدقه إذ ذهب إلى جبل الصفا وصاح يدعوهم بأعلى صوته قائلاً: (يا صباحاه! فاجتمعوا حوله واشرأبَّت أعناقهم إليه، فقال لهم ﷺ: لو قلت لكم أن وراء هذا الجبل جيشًا عرمرمًا فهل أنتم مصدقي؟ فكان جوابهم له ما جربنا عليك كذبًا). فصِدق الأنبياء طوال حياتهم قبل النبوة دليل قوي على صدقهم فيما يدَّعون وهذا أمر عظيم له خطره. وكم من الناس يمرّون عليه بدون التفات ولا انتباه ويهزءون به ويضحكون منه، مع أنه يُبنى على أعظم أساس بُنيت عليه المعارف والعلوم ألا وهو الاستقراء؛ وإن كل من يكذب هذا الدليل العلمي الذي بينه القرآن المجيد عليه أن يستقري صفحات التاريخ وحياة العظماء كلهم هل وُجد منهم شخص واحد وُجدت به الصفات الأربعة المذكورة آنفًا وكان كاذبًا فيما يدعيه؟ ولذلك كان سيد عقلاء الصحابة سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه أسرع الناس إلى تصديق الرسول الأعظم ﷺ من دون أن يطلب منه أي دليل أو برهان جديد سوى ما كان يعرفه من صدقه في حياته السابقة للدعوة. وأيضًا هرقل قيصر الروم لم يختلج قلبه بأي شك أو ارتياب في صدقه ﷺ حينما بلغته الدعوة وحقق وبحث عن حياة النبي ﷺ وعرف من أشد أعدائه وألد خصومه إذ ذاك أبي سفيان رضي الله عنه أنه كان صادقًا

قبل دعواه. وقد قال كلمته المشهورة في حق النبي ﷺ: (أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله – صحيح البخاري، الجزء الأول ص٤)، وبهذا الاستدلال القوي استدل المسيح الموعود عليه السلام على صدقه وقال ما تعريبه:

(إنكم لعمري لا يمكنكم أن تتهموني بكذب أو افتراء أو خداع في أوائل حياتي بينكم فتحسبون أنه من كان هذا شأنه من عادة الكذب والافتراء لا يبعد أن يكون قد اختلق هذا الأمر من عنده. ألا فهل منكم من أحد ينتقد شيئًا من شؤون حياتي؟ وما ذلك إلا فضل منه أنّه أقامني على التقوى منذ نعومة أظفاري! إن في ذلك لآية للمتفكرين) (تذكرة الشهادتين صفحة ٦٢).

ويكفينا هنا أن نذكر شهادة أكبر أعدائه الشيخ محمد حسين البطالوي وماذا كان يعتقد فيه قبل دعواه. قال مقرظًا كتابه (البراهين الأحمدية) ما تعريبه:

"إن الكتاب المذكور لم يؤلف نظيره قط في العالم الإسلامي ولا علم لنا بمستقبل الأيام لعل الله يحدث بعد ذلك من أمره شيئًا. وإن مؤلفه أيضًا لعديم المثال مثل كتابه؛ إذ قلَّ أن أتى الزمان بمثله في الثبات الغريب للخدمة الإسلامية ونصرة الدين الحق بالنفس والنفيس والقلم واللسان والحال والقال. ومن يحمل قولنا هذا على الاعتساف فليأت بقرينه الذي يقدر أن يبيّن الإسلام كما بيّنه هو ويَرُدّ كما رَدّ على أهل الملل الباطلة مطاعنهم العمياء

وحملاتهم الشعواء على الإسلام ونبيه المعصوم؛ إنه رَدّ كل ذلك بقوة البراهين الناطقة التي لم يُعْطَهَا أحد من قبل ...... إن مؤلف البراهين الأحمدية في تجارب أعدائه واختبارات أصدقائه - والله حسيبه - لقائم بالشريعة الإسلامية وتقي، ورع وصدوق" (إشاعة السنة المجلد السادس).

وإن المسيح الناصري عليه السلام كان يتحدى قومه بمثل ذلك بقوله المشهور: "من منكم يُبَكِّتني على خطيئة".

٢- و(المعيار الثاني) الذي بيَّنه القرآن المجيد هو في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنّ الذينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾ (يونس ٧٠) وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ، لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُم لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (الحاقة ٤٥-٤٨).

فهاتان الآيتان وأمثالهما في القرآن المجيد توضحان بأجلى بيان أن الذي يفتري الكذب على الله ويتقول عليه الأقاويل لا يفلح في دعوته ولا ينجح مطلقًا؛ وإن التاريخ في جميع صفحاته لم يحدّثنا عن نبي كاذب تثبتُ له دعوةٌ في الوجود بقيتْ له أتباع على وجه الأرض، بل كل من ادعى النبوة مفتريًا وكذابًا على الله تفرقت جماعته عنه بعد قليل وهلك بعد دعوته؛ وكل مَن يُكذِّب هذا الدليل الذي بيَّنه القرآن المجيد عليه أن يذكر لنا رجلاً واحدًا ادّعى النّبوة وكان كاذبًا في دعوته ثم نجح فيها وبقي لها من أثر.

يقول ابن القيم في كتابه زاد المعاد: "نحن لا ننكر أن كثيرًا من الكاذبين

قام في الوجود وظهرت له شوكة، ولكن لم يتم له أمره ولم تطُل مدته، بل سلَّط الله عليه رسله فمحقوا أثره وقطعوا دابره واستأصلوا شأفته؛ هذه سنته في عباده منذ قامت الدنيا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها" (زاد المعاد ج١ ص٥٠٠).

وذكر صاحب "النبراس" في الصفحة ٤٤٤ ما نصه: "وقد ادعى بعض الكاذبين النبوة كمسيلمة اليمامي والأسود العنسي وسجاح الكاهنة، فقتل بعضهم وتاب بعضهم، ولم ينتظم أمر الكاذب في النبوة إلا أيامًا".

وبما أن النبي ﷺ بقي ثلاثًا وعشرين سنة يدعو إلى الله فإن هذه المدة أصبحت معيارًا للصادقين، ولا يمكن لكاذب أن يبقى مثل هذه المدة وهو على كذبه وهذه هي عقيدة السلف الصالح.

وقد ورد في شرح العقائد للنسفي في الصفحة ١٠٠ ما نصه: "إن العقل يجزم بامتناع اجتماع هذه الأمور في غير الأنبياء في حق مَن يعلم أنه يفتري عليه ثم يمهله ثلاثًا وعشرين سنة".

وإن المسيح الموعود عليه السلام بقي بعد جهره بالدعوة أكثر من ثلاثين سنة يدعو الناس كافة إلى الإسلام والعمل بأحكام كتاب الله الفرقان، فهل يمكن أن يكون كاذبًا والعياذ بالله وينقض معيار القرآن المجيد وما أثبته أئمة المحققين من المسلمين وما دَوَّنه التاريخ من أن الكاذب في دعوة النبوة لا تقوم له قائمة ولا ينتظم له أمر في الوجود؟

٣- و(المعيار الثالث) الذي ذكره القرآن المجيد هو في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجكَ فِيهِ مِنْ بعدما جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُم نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران ٦٢)

فكل من يُكذِّب نبيًّا من الأنبياء يكون من معايير النبي الدالة على صدقه أن يدعو مكذِّبه إلى المباهلة، وأن يتفق الفريقان؛ أي مدعي النبوة ومكذبه بأن يجعلا الله حكمًا بينهما، فينـــزل لعنةً على الفريق الكاذب في حياة الصادق أو في مدة معينة. وإن المسيح الموعود عليه السلام باهل الكثيرين من أعدائه، وأهلكهم الله سبحانه ورماهم بالذلة والخزي والخسران، وقد ذُكرت أسماؤهم وأحوالهم بالتفصيل في كتاب (حقيقة الوحي) للمسيح الموعود عليه السلام. وبما أن المباهلة تبقى معيارًا للصادق في جماعته أيضًا فإن جماعة المسيح الموعود عليه السلام مستعدة تحت لواء أمير المؤمنين مولانا الخليفة نصره الله لأن تباهل كل مكذب معاند بعد إقامة الحجة عليه. ولا بد أن يُظهر الله لعنته في خلال المدة التي يتفق على تحديدها على الفريق الكاذب، فهل من أحد من كل من يكذب المسيح الموعود عليه السلام يتقدم لهذا الميدان الذي يكون الحكم فيه لله وحده القاهر فوق عباده؟

٤- و(المعيار الرابع) الذي ذكره القرآن المجيد هو في قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا، لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا

لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُل شَيْءٍ عَدَدًا﴾ (الجن ٢٧-٢٩)

فهذه الآية الكريمة تصرح بأن الله يختص النبي بإطلاعه على كثرة المغيبات. وأن المسيح الموعود عليه السلام قد أطلعه الله على الألوف من الأمور الغيبية؛ منها ما تم وقوعه، ومنها ما لم يئن أوانه بعد. ومن جملة أنبائه المشهورة التي تمت في زمنه عليه السلام إخبارُه عن أولاده كلهم قبل ولادتهم ذكورًا وإناثًا وتسميته إياهم قبل الولادة، وأيضًا إخبارُه عن الحرب الكبرى وويلاتها، وأن قيصر روسيا يكون بحالةٍ يرثى لها، وإخبارُه عن الطاعون قبل وقوعه، وعن بلاء دمشق، وعن الزلازل العظيمة في الهند، وإخبارُه عن (نادر خان) ثم تسميته إياه (نادر شاه)، وإخبارُه عن نفسه أنه يعيش عمرًا طويلاً وإعلانه هذا النبأ قبل وفاته بأكثر من ثلاثين سنة، وإخباره عن أعمامه أنه ينقطع نسلهم ويبدأ منه، وأن الله يريه نسلاً بعيدًا، وإخباره عن أنه يموت موتًا طبيعيًا ولا يستطيع أحد أن يقتله وأن الله يعصمه كما أوحى إليه بذلك بقوله: ﴿إذ قال اللهُ يا عيسى إني مُتَوَفّيك)، وأمثال هذه المغيبات كثيرة جدًا وكلها تمت وظهر بها صدقه عليه السلام.

٥- و(المعيار الخامس) في معرفة النبي الصادق من الكاذب هو قوله تعالى ﴿فَإنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِني بَرِيءٌ مما تَعْمَلُونَ، وَتَوَكلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرحِيمِ، الذي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ، وَتَقَلُّبَكَ فِي الساجدِينَ، إِنّهُ هُوَ السميعُ الْعَلِيمُ، هَلْ أُنَبئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشيَاطِينُ، تَنَزَّلُ عَلَى كُل أَفّاكٍ أَثِيمٍ، يُلْقُونَ السمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ، وَالشعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنّهُمْ فِي كُل وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنّهُمْ

يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ، إِلا الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحَات﴾ (الشعراء ٢١٧-٢٢٨)

فالله سبحانه يبيّن الفرق بين الوحي الرحماني والوحي الشيطاني. وإنّ الأول لا يتّكل صاحبه إلا على الله، والله يراه ويشاهده حين يقوم وتقلّبه في الساجدين ويسمع له ويعلم صدقه وإخلاصه، بخلاف الوحي الشيطاني الذي وصف صاحبه بأنه أفّاك أثيم كذّاب، ومَثَّلَ الكاذبين بالشعراء الخياليين الذين لا يستقرّون على رأي وليس لهم من هدف شريف يسعون من أجله، بل هم تبع لأهوائهم وأغراضهم الدنيئة الحقيرة، ولذلك تراهم يهيمون في كل واد، ولا يتبعهم سوى أهل الخلاعة والاستهتار من مغنين ومغنيات وراقصين وراقصات وخبيثين وخبيثات، ولهذا وصفهم الله سبحانه بأنهم يقولون ما لا يفعلون، وأما جماعة النبي الصادق فهم على العكس يكونون لا هدف لهم إلا عمل الخير وإزالة الشرور، ولا مظهر لهم إلا التقوى والورع ولا سعي لهم إلا لنشر السلام والتبشير بدين الله وإحياء دينه الحنيف. وإنَّ كل من يلقي نظرة ولو صغيرة على حياة المسيح الموعود عليه السلام وعلى جماعته لا يمكنه إلا أن يعترف ويقر بصدقه عليه السلام، وأنه حقًا هو المسيح الموعود والمهدي المعهود والإمام المسعود الذي أخبرنا عنه سيد الكائنات نبينا ﷺ بأن الله سيظهر الإسلام على يديه ويُعْلي به كلمة الإسلام على ممالك الأرض ولو كره الكافرون.

٦- ومن (المعايير) على صدق المسيح الموعود عليه السلام قوله تعالى:

﴿كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَن أَنَا وَرُسُلِي﴾ (المجادلة ٢٢) وإن الغلبة قسمان: (١) الغلبة العلمية بالحجة والبرهان كما في قوله تعالى: ﴿فَلِلهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ (الأنعام ١٥٠)، وهي أول ما يؤتاه الأنبياء ويتغلّبون به على خصومهم. وقد أخبر المسيح الموعود عليه السلام بأن أتباعه لا يزالون غالبين على الآخرين، وأن الجماعة الأحمدية تتحدى جميع من يكذبها من جميع الطوائف لأن ينازلوها في ميدان المناظرة وحلبة الجدل بالطرق العلمية الصحيحة، وها هي بنشراتها تتحدى الناس كلهم في ذلك في كل حين، (٢) والغلبة المادية وهذه أيضًا تنمو وتزيد رويدًا رويدًا حتى يظهر أمر الله وأعداء الحق كارهون. يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (الرعد ٤٢).

وهناك معايير أخرى ذكرها القرآن المجيد نجتزئ الآن بما ذكرناه فإن فيه الكفاية.

والسلام على من اتبع الهدى.

شروط المبايعة

وللانضمام إلى الجماعة الأحمدية

معرَّبًا من كلام أحمد المسيح الموعود عليه السلام

أولاً: أن يعاهد المبايع بصدق القلب على أن يتجنب الشركَ حتى الممات.

ثانيًا: أن يجتنبَ قولَ الزور، ولا يقرَب الزنى وخيانةَ الأعين، ويتنكب جميعَ طرق الفسق والفجور والظلم والخيانة والبغي والفساد؛ وألا يَدَعَ الثوائرَ النفسانية تغلبه مهما كان الداعي إليها قويًّا وهامًّا.

ثالثًا: أن يواظب على إقامة الصلوات الخمس بلا انقطاع تبعًا لأوامر الله ورسوله، وأن يداوم جهدَ المستطاع على أداء صلاة التهجد، والصلاةِ على النبي ﷺ، والاستغفارِ وطلبِ العفو من ربه على ذنوبه كل يوم؛ وأن يذكُرَ نعمَ الله ومِنَنَه بخلوص القلب كل يوم، ثم يتخذ مِن حمده وشكره عليها وِردًا له.

رابعًا: ألا يؤذيَ، بغير حق، أحدًا من خلق الله عمومًا والمسلمين خصوصًا من جراء ثوائر النَّفْس.. لا بيده ولا بلسانه ولا بأي طريق آخر.

خامسًا: أن يكون وفيًّا لله تعالى وراضيًا بقضائه في جميع الأحوال: حالةِ التَرَح والفَرَح، والعسرِ واليسر، والضنكِ والنعم؛ وأن يكون

مستعدًّا لقبول كل ذلة وأذى في سبيله تعالى، وألا يُعرِضَ عنه سبحانه وتعالى عند حلول مصيبة، بل يمشي إليه قُدُمًا.

سادسًا: أن يكُفَّ عن اتِّباع التقاليد الفارغة والأهواء النفسانية والأماني الكاذبة، ويقبَلَ حكومةَ القرآن المجيد على نفسه بكل معنى الكلمة، ويتخذَ قولَ الله وقولَ الرسول دستورًا لعمله في جميع مناهج حياته.

سابعًا: أن يُطلّق الكبرَ والزهو طلاقًا باتًّا، ويقضيَ أيامَ حياته بالتواضع والانكسار ودَماثة الأخلاق والحلم والرِّفق.

ثامنًا: أن يكونَ الدِّينُ وعزُّه ومواساةُ الإسلام أعزَّ عليه من نفسه وماله وأولاده ومن كل ما هو عزيز عليه.

تاسعًا: أن يظلّ مشغولاً في مواساة خَلْق الله عامةً لوجه الله تعالى خالصةً، وأن ينفع أبناءَ جنسه قدر المستطاع بكلّ ما رزَقه الله من القوى والنعم.

عاشرًا: أن يعقِدَ مع هذا العبد عهدَ الأخوة خالصًا لوجه الله.. على أن يطيعني في كل ما آمره به من المعروف، ثم لا يحيد عنه ولا ينكُثه حتى الممات، ويكون في هذا العقد بصورة لا تعدِلها العلاقاتُ الدنيوية.. سواء كانت علاقات قرابة أو صداقة أو خدمة.

(إعلان "تكميل التبليغ"، المنشور في يناير ١٨٨٩ - مجموعة الإعلانات ج ١ ص ١٨٩ - ١٩٠)